



الأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة

دكتور
أحمد بنمايا قنوت
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٩



دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش. بونير - الإسكندرية
٤٨٣٠١٦٢ : ٤

الأفعال غير المنصرفة
وشبه المنصرفة

الأفعال غير المنصرفة وشبه المنصرفة

الدكتور
أحمد سليمان ياقوت
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش. سويف - الإسكندرية
٤٨٣-١٦٣ : ٤

الإهداء

إلى روح أستاذي الجليل

الأستاذ الدكتور السيد أحمد خليل

رحمة الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته

أحمد سليمان بالمرحوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
////////////////////

مقدمة

هذه مجموعة من الأفعال ، نجدُها متناثرةً في أبواب النحويِّ المختلفة وقد اصطلح معظم النحويين على تسميتها بالأفعال الجامدة وشبه الجامدة. ومنهم من يسميها - وهو الأليق - بالأفعال غير المتصرفية وشبه المتصرفية. ويجمع بين هذه الأفعال كما يستبين من اسمها أنها :-

(أ) إما لا تتصرف إطلاقاً ، أي تبقى على صورة واحدة لا تتعداهما .

(ب) وإما تتصرف تصرفاً جزئياً فتجوز على صورة أو صورتين. وهذه الأفعال هي :-

١ - ما يدخل في باب (كان وأخواتها) وهي : ليس ودام وزال وفتىء وبرح وانفك .

٢ - ما يدخل في باب أفعال المناربة، وهي كاد وكرب وأوشك .

٣ - ما يدخل في باب أفعال الشرع - "نزلها شرعاً وأنشأ وطلق وأخذ وعلق وهب وجعل وهلّل" .

٤ - ما يدخل في باب أفعال الرجاء وهي عسى وخرى وأخلوق

٥ - ما يدخل في باب أفعال القلوب وهي تتعلم وهب .

٦ - ما يدخل في بابي المدح والذم وهي نعم وبس وحسب

٧ - ما يدخل في باب الاستعجاب وهي ما أفعل وأفعل بسببه
وسا .

٨ - هنا يدخل في باب الاستثناء ، وهي : لا يكونُ وليسَ وحاشاً
وَحَلًّا وَقَدًّا .

٩ - مالا يدخل في باب من أبواب النحو وهي وَذَرَ وودع وكذب
(عليك) وتشارك، وقد في مثل " قلَّ رجل يفعل ذلك " وسقط
في مثل (سقط في يده) وعِمٌ وَيَنْبِغِي وَأَهْلَمٌ وهات وتَعَمَّالَ
ويَهِيظُ ويسوي ونِكِرُ وَهَدًّا .

والأفعال التي لا تتصرف تصرفاً كاملاً ليست مقصورة على
العربية ، ففي الإنجليزية ما يعرف بالأفعال الناقصة ، defective verbs
can; could; shall; should; will would; may; might; must; ought to.

وهي أفعال لا تأتي إلا على صورتين ليس غير .

ولقد رأينا أن نجمع أفعال العربية غير المتصرفية أو المتصرفية
تصرفاً جزئياً ، وقد أطلقنا عليها شبه المتصرفية ، وأفردنا لها
هذا البحث ولم نجد - فيما أطلقنا عليه من مراجع - بحثاً
يتناول هذه الأفعال بالدرس والتحليل .

فكل أصحاب المراجع النحوية - عدا السيوطي فيما أعلم -
لا يخصصون باباً لهذه الأفعال ، بل إنهم يتناولون بعضها في
الأبواب الخاصة بها ، ف (ليس) مثلاً يتناولونها في النواصب
(وحاشا) في الاستثناء ،... وتبقى بعد ذلك أفعال لا تخص بابها
من أبواب النحو مثل وذر وكذب عليك وينبغي وسقط في يده
وهات وتعال - ولا تكاد نجد لها ذكراً في تلك المراجع .

أما السيوطي فقد اكتفى بجمع هذه الأفعال جمعاً ليس غير ،
دون تفصيل أو شرح أو بيان للاستعمال ، اللهم إلا كلمة أو بفتح

كلمات لبعض هذه الأفعال ، حتى إنَّ جَمَعَهُ لها لم يستغرقَ إلاَّ صفحةً
من همعِ الهوامع ، وكذلك فعل في المزهرِ نقلا عن التسهيل لأبوسن
مالك .

وقد يسألُ سائلٌ : لِمَ لمْ تتناولِ أسماءَ الأفعالِ في بحثك
هذا ، وهي أفعالٌ عند بعضِ النحاة ، وغيرُ متصرفةٍ عند الجميع ؟
وأجيب عن هذا السؤال بأن هناك رسالةً للدكتوراه موضوعها : أسماءُ
الأفعالِ وأسماءُ الأصواتِ في اللغة العربية للدكتور محمد عبدالله جبر ،
وقد تناول الباحث في تلك الرسالة بالدرس والتحليل أسماءَ الأفعالِ
المرتجلةً مثل آمين ورؤيدَ وبنةَ وهيهاتِ وهلمَّ ومةَ ومةَ الخ .
ثم تناول أسماءَ الأفعالِ المنقولةً من أحرفِ الجرِّ مثل إليك وعليك
ومنك ... والمنقولةً من الظروف مثل أمامك وبعدهك وخلقك نسيم
تناول بعد ذلك صيغةَ فعَالٍ في الأمر لذلك لم نشأ أن نكرِّرَ
ما قاله ، بل ابتدأنا من حيث انتهت .

هذه واحدة ، وأخرى أن موضوعَ رسالتي للماجستير هـــــــــــــــــــــ
(النواسخُ الفعليةُ والحرفيةُ) وربما كان هناك تداخلٌ بينها وبين
موضوع هذا البحثِ وذلك في باب (كان وأخواتها) ، ولكن الاختلافَ
بين الموضوعين واضحٌ ظاهرٌ ، فهذا البحثُ يُعنى بالتصرفِ وعســم
للتصرف في هذه الأفعال ، في حين أن رسالة الماجستير تتعمـسـسـس
لاستعمال هذه الأفعالِ ولوظائفِ النسخ فيها . على أن هذا لا يُعني

أنني لم أرجع إلى رسالة الماجستير بل فعلتُ ، وأشرتُ إلى كلِّ مواطنٍ رجعتُ فيه إليها ، وهي مواطنٌ معدودةٌ . يضاف إلى ذلك أن مـــــــرَّ السنين يطورُ فكرَ الباحثِ ويغيّرُ نظرتَه العلميّةَ تجاه كثيرٍ مــــن الموضوعاتِ .

واللّه سبحانه وتعالى نسألُ أنْ يوفّقنا فيما بدأنا فيه . إنّه هو السميعُ العليمُ .

أحمد سليمان باتوت

الفصل الأول

مسئله الامتحان : حل من جامعة أو غير جامعة ؟

هذه الأفعال كلها اصطلح بعنّ النحاة على تسميتها بالأفعال
الجامدة، وهذا اللفظ عندهم عكس المتصرف . واصطلح بعضهم على
تسميتها بالأفعال غير المتصرفية ، يدلّ على ذلك ما ذكره السيوطي
في تقسيم الفعل إلى " متصرف وهو ما اختلفت أبنيتها باختلاف زمانه
وهو كثير ، وجامد بخلافه وهو... " (١) . وبذلك وضع السيوطي الفصل
الجامد عكساً للفعل المتصرف ، وقد حدا حدّوه الشيخ محمد محيي
الدين عند ما أورد أدلة النحاة على أن (ليس) حرف نقسّال ؛
" إنّه (اي ليس) جامد لا يتصرف كما أنّ الحرف جامدٌ
لا يتصرف " (٢)

ونجد هذا اللفظ (الجامد) في معنى ابن هشام ومعناً لهذه
الأفعال ، فقد قلّد لعلّاً عنوانه " هل تتعلق الظروف والجمائر
والمجوزة بالفعل الجامد " (٣)

ويقول المرحوم عباس حسن " هذه الأفعال (يُلمد المسّال
الشروع) جامدة ، لأنها مقصورة على الماضي ، إلا (طلق) و(جعل)

(١) مع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ج ٢ ، ص ٨٢
بيروت دون تاريخ .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج ١ هامش ص ٢٦٢ تحقيق
محمد محيي الدين . التجارية الكبرى بدمر سنة ١٩٦٤ .

(٣) المعنى لابن هشام ص ٥٧١ تحقيق الدكتور مازن المبارك وآخرين
بيروت ١٩٧٩ .

فلهما مضارعان ^(١) .

ويقول في أفعال الرجاء " هي أفعال ماضية في لفظها جامدة ^(٢) في الصيغة " .

وهناك مواضع أخرى في النحو الوافي وصفت فيها هذه الأفعال وغيرها (بالجمود) وليس (بعدم التصرف) .

وكذلك نجد في (شذا العرف) ^(٣) تقسيمات عديدة للفعل منها :-

- (١) الماضي والمضارع والأمر .
 - (٢) الصحيح والمعتل، ولكل أقسامه .
 - (٣) اللازم، والمتعدي .
 - (٤) التام والناقص .
 - (٥) المبني للمعلوم والمبني للمجهول .
 - (٦) الجامد والمتصرف .
- فوضع الجامد بجانب المتصرف .

على أن هناك من النحاة من وصف هذه الأفعال بعدم التصرف ،
فابن يعقوب يقول في شرحه على مفصل الزمخشري " وهذه (عسسي)

(١) النحو الوافي ج١ ص ٢٠ دار المعارف ط ٤ .

(٢) السابق ج١ ص ٦٦٢ .

(٣) شذا العرف في فن العرف للشيخ أحمد الحملوي ص ٤٢ الحلبي .
بمصر سنة ١٩٦٥ .

قد خالفت غيرهما من الأفعال ومنعت من التصرف ^(١) .

ويقول أيضا عن (نعم وبئس) : " وأیضا فان آخرهما يُبنسى على الفتح من غير عارضي عرض لهما ، كما تكون الأفعال الماضية كذلك ، إلا أنّهما لا يتصرفان ، فلا يكون منهما مفاعٌ ولا اسمٌ فاعلٌ ، والعلّة في ذلك أنّهما تشمنا ما ليس لهما في الأمل ، وذلك أنّهما نقلتا من الخبر إلى نفي المدح والذم ، والأمل في إفساد المعاني إنّما هي الحروف، فلما اُطّادت فائدة الحروف خرجت عن بابها، ومنعت من التصرف كليين وعسى ^(٢) .

ويقول صاحب الإنصاف " ذهب الكوفيون إلى أنّ (نعم وبئس) اسمان مبتدآن ، وذهب البصريون إلى أنّهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ^(٣) .

ويقول في موضع آخر " الدليل على أنّهما ليسا بفعلين أنّهما غير متصرفين " ^(٤) . ولكنه في موضع آخر يقول عن أفعل المتعجب : " أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أنه اسم أنه جامد لا يتصرف ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف " ^(٥) فجَمَعَ بين (جامد) و (لا يتصرف) معاً .

(١) شرح المعمل ج ٧ ص ١١٦ المنيرية بالقاهرة دون تاريخ .

(٢) السابق ج ٧ ص ١٢٧ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن أبي سعيد الأنباري ج ١ ص ٦٦ تحقيق محمد محيي الدين ج ١ صبيح سنة ١٩٥٣ م .

(٤) الإنصاف في مسائل ج ١ ص ٦٩ .

(٥) السابق ج ١ ص ٨١ .

أما سبويه فإنه يذكر أوصافاً أخرى لهذه الأفعال ، كقوليه
عن حَبَّذا ونِعَمَ في لزومهما صورةً واحدةً " فلزم هذا في كلامهم
ولأنه صار كالمثل^(١) ويقول عن (أفعل) التعجب : " هذا بابٌ ما
يعمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكن تمكّنه وذلك لولاك ما
أحسنَ عبدُ الله " ^(٢) . وفي موضع آخر يقول عن ليس : " وأما
ليس ، فإنه لا يكون فيها ذلك ، لأنها وقعت موقفاً واحداً ، ومن
ثم تَصَرَّفَ تَصَرَّفَ الفعل الآخر " ^(٣) .

ونتساءل بعد هذا العرفي لأقوال طائفة من النحاة : انْظِلُّوا
على هذه الأفعال (الأفعال الجامدة) أو نطلق عليها (الأفعال
غير المتحركة) ؟

ولعل من اللائق قبل أن نجيب عن هذا التساؤل أن نُلقيَ
الفتوة على ماهية الجامد وماهية المشتق ، ونفتح أيضاً معنسر
التصريف .

فأما الجامد فقد جاء ذكره في كتب العربيين عندما يتسمون
الاسم إلى جامدٍ ومشتق ، فالجامد عندهم ما لم يُؤخذ من غيره ^(٤) .

أي أنه أصلٌ وليس ناتجاً عن صورة سابقة مشتقٌ منها ،
أو كما يقول المرجوم الأستاذ عباس حسن " إنه وقع على صورته

(١) الكتاب ١ ص ٣٠٢ ط المشنى ببغداد .

(٢) السابق ١ ص ٣٧ .

(٣) السابق ١ ص ٢١ .

(٤) شد العرف ص ٦٧ .

الحالية ابتداءً ، وليس له أصل يرجع إليه أو يُنتخب لسه (١) . وله
الاسم .

(١) اسم ذات كرجل وشجر وبقر .

ويطلقون عليه اسم عين بمعنى أنه محسوب من الممكنين
رويته .

(ب) اسم معنى : مثل فيم وقيام وتعود وزمان ، فهو لا يشتق
في دافرة المحسوسات كمثل إنه شيء مضمون لا يدرك وعنده معنى
المصادر التي يشتق منها .

على أن هناك بعض الجوامع التي تلحق بالمشق في بعض
استعمالاتها ، كاسماء الإشارة والاسم الجامد المنسوب أو العنصر .

وقد اشتق العرب الأفعال من المصادر (٢) ، أي من أصلها
المعاني الجامدة ، هذه هي القاعدة ، غير أن هناك من الباحثين من
رأى أن العرب قد اشتق الأفعال من أسماء الأحيان الجامدة أحياناً ،
وقد أتى بأمثلة كثيرة لذلك منها الفعل رأس من الرأس ، فلانوا :

(١) انظر الوافي ج ٢ هامش ص ١٤٤ وقد رجعنا في ذلك أيضا
للمراجع التي أشار إليها الأستاذ عباس حسن وهي مجلة مجمع
اللغة العربية ج ١ ص ٢٨١ ، و ج ٢ ص ١٩٥ ، ٢٤٥ كما أن
هناك بحثاً آخر في هذا الموضوع في الجزء الرابع ص ٣٢٨ .

(٢) هذا هو مذهب البحرانيين الذين يرون أن المصدر أصل والفعل فسرع
فيه ، والكولبيون يرون العكس ، وينرجع إلى ذلك بعد التيسل ،
وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ج ١ ص ١٤٤ .

رَأَسَهُ إِذَا أَمَابَ رَأْسَهُ ، وَالْفِعْلُ بَأْرَ مِنْ الْبِشْرِ وَمِنْهُ يَبْرُ فُلَانٌ بِعَرَأٍ إِذَا حَفَرَهَا ، وَالْفِعْلُ زَبَدَ مِنَ الزَّبِيدِ ، فَفَعَّلُوا زَبَدْتُ الرَّجُلَ زُبْدًا ؛ أَيِ أَطْعَمْتَهُ الزَّبِيدَ ، وَمِنْ هَذَا الْاِسْتِثْقَاقِ أَيْضًا الْفِعْلُ ذَوَّبَ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الزَّبِيدِ ، أَيِ صَارَ مِثْلَهُ خَبْثًا وَدِهَاءً ^(١) .

وقد أورد السيوطي قولهم استجر الطين واستنوق الجمال ^(٢) .

هذا من الجامد ، فماداً عن المشتق ؟ لقد كتب كثيرون لسي الاستثاق وأُفْرِدَتْ لَهُ مَوْلُفَاتٌ ، يَقُولُ السُّيُوطِيُّ : أَفْرَدَ الْاِسْتِثْقَاقَ بِالتَّأْلِيفِ جَمَاعَةً مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مِنْهُمْ الْأَمْعِيُّ وَقَطْرِبُ وَأَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشِيُّ وَأَبُو نَمْرٍ الْبَاهَلِيُّ وَالْمَغْفَلُ بْنُ سَلَمَةَ وَالْمَعْبُرِدُ وَأَبُو دَرِيدٍ وَالرَّجَاجُ وَابْنُ السَّرَاجِ وَالرَّمَانِيُّ وَالنَّحَّاسُ وَابْنُ خَالَوَيْهِ ^(٣) .

وأما كتبُ الاِسْتِثْقَاقِ الْمُحَدَّثَةِ فَمِنْهَا (الْعِلْمُ الْخَفَاقُ فِي عِلْمِ الْاِسْتِثْقَاقِ) مُحَمَّدٌ صَدِيقٌ بَهَادِرٌ ، وَالاِسْتِثْقَاقُ وَالتَّعْرِيبُ لِعَبْدِ الْقَادِرِ الْمَغْرِبِيِّ وَكِتَابُ الْاِسْتِثْقَاقِ لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ اللَّهِ آمِينَ ^(٤) .

(١) من بحث للأستاذ عبدالله آمين بمجلة مجمع اللغة العربية - الجزء الرابع : أكتوبر ١٩٢٧ ص ٢٢٨ بعنوان " بحث في الطرق التي سلكها العرب عند اشتقاقهم الأفعال من أسماء الأعيان .

(٢) المزهر - ١ ص ٢٥٠ تحقيق محمد جاد المولى وآخرين - مطبعة الطبعة دون تاريخ .

(٣) المزهر - ١ ص ٢٥١ .

(٤) من مقدمة كتاب الاِسْتِثْقَاقِ لابن دريد ، وهو الذي حققه الأستاذ عبدالسلام هارون - مكتبة المشني ببغداد سنة ١٩٧٩ .

" والاشتقاق هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفائهما معنـــــياً
و " مادة " أصلية وهيئة تركيب لها ، ليبدل بالشانية على معنـــــى
الأصل ، بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئةً كضارب من
قرب وحذر من حذر " (١) .

ويعرّفه الأستاذ عبدالله أمين بأنه أخذ كلمة من كلمـــــية
أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعاً (٢) ، وهو
تعريف قريب من تعريف الأستاذ هارون " هو أخذ كلمة من كلمـــــية
أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى " (٣) .

والاشتقاق وسيلة من وسائل نمو اللغة وتطورها وزيادة ثروة
الألفاظ فيها ، وقد اتخذها بعض اللغويين أساساً في تقيـــــيم
اللغات إلى فصائل (٤) .

وقد بيّن السيوطي التغييرات بين الأصل المشتق منه والفـــــرع
المشتق وحصرها في خمسة عشر :

-
- (١) المزهر ج ١ وص ٢٤٦ .
 - (٢) كتاب الاشتقاق ص ١ لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ،
١٩٥٦ .
 - (٣) مقدمة كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٦ .
 - (٤) يطلق بعض اللغويين على اللغات التي تتميز بالاشتقاق (فصيلة
اللغات المتصرفة) Flexionnelles أو التحليلية Analytiques
وذلك كاللغة العربية فإن كلماتها تتغير معانيها بتغيير
بنيتها ، فنقول علمٌ للدلالة على المصدر ، وعلمٌ للدلالة على
الفعل الماضي ، وعلم (بتشديد اللام) للدلالة على تعدي الفعل . . .
والمعلوم للدلالة على ما وقع عليه العلم وهلم جرا .
علم اللغة دكتور علي عبدالواحد واقي ص ٨٦ مكتبة
النهضة سنة ١٩٤٤ .

- الأول : زيادة حركة - كَعْلُم - وَعَلِيم -
- الثاني : زيادة مادة كطالب وطلب .
- الثالث : زيادتهما كضرب وضرب .
- الرابع : نقصان حركة كالفرس من الفرس (بتسكين الواو)
- الخامس : نقصان مادة كثبت وثبات .
- السادس : نقصانها كترا وتزوان .
- السابع : نقصان حركة وزيادة مادة : كغلب وغلب .
- الثامن : نقصان مادة وزيادة حركة كحرم وحرمان .
- التاسع : زيادتهما مع نقصانها كاستنوق من الناقة .
- العاشر : تغيير الحركتين كيطر بظرا .
- الحادي عشر : نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف كاضرب من الضرب .
- الثاني عشر : نقصان مادة وزيادة أخرى كرافع من الرضاة .
- الثالث عشر : نقصان مادة بزيادة أخرى وحركة كخاف من الخوف ؛ لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب .
- الرابع عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حركة لفظ ، كعد من الومسد ، فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة .
- الخامس عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حرف ، كفاخر من الفخار ، نعمت ألف وراحت ألف وفتحة . (المزهر ١/٢٤٨) .

والاشتقاق عند ابن جنى نومان :

الأول الاشتقاق الأمشج " كان تأخذ أصلا من الأصول

فتتقراه ، فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك كتركيب (سلم) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تعرفه نحو سلمهم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والتسليم ... " (١)

والنوع الثاني الاشتقاق الأكبر " وهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، فتجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد عليه " (٢) . ويضرب مثلاً لذلك مادة قَوْل ، فيقول " إن معنى (قول) ابن وجدته وكيف ولعت من تقدّم بعض حروفها على بعض وتأخره منه إنما هو للخفوف والحركة " (٣)

وقد تعرفت لهذا النوع بالدراسة التفصيلية، ورأيت أن ابن جنى قد جانبه الصواب عندما قال إن تقاليب المادة الواحدة تعطي معنى واحداً أو معاني متشابهة (٤) .

هذا وقد أورد السيوطي أمثلة أخرى للاشتقاق لا تدخس في تحت هذين النوعين ، هذه الأمثلة التي ذكرها السيوطي أوجت لنسبها بتقسيم الاشتقاق إلى نوعين :

الأول الاشتقاق بمعناه العام Derivation وهو الذي أسماه

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٢٤ تحقيق محمد علي النجار . دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥ .

(٢) الخصائص ج ٢ ص ١٢٤ .

(٣) الخصائص ج ١ ص ١٢٤ .

(٤) كتابنا " دراسات نحوية في خصائص ابن جنى " ص ٢٧٧ وما بعدها ، دار النشر الجامعي ، سنة ١٩٨٠ .

ابن جنى اشتقاقاً أصغر . كان تشتق من الكلمة اسم فاعلٍ أو اسم مفعول أو اسم مكان أو صفةً مشبهةً، وهو الاشتقاق المتعارف عليه مدرسياً .

والثاني الاشتقاق التاريخي ^(١) Etymology ، وهو التتبُّع التاريخي لمعاني المشتقات من الكلمة الواحدة أو إرجاع معنًى من المعانى إلى اشتقاقه من كلمة ما لعلاقة دلالية تجمع بينهما ، أو هو — كما يقول فندريس — " أخذُ الفاظِ الغاموسِ كلمةً كلمةً ، وترويضُ كلِّ واحدةٍ منها بما يشبه أن يكونَ بطاقةً شخصيةً يُذكرُ فيها من أين جاءتْ ومتى وكيف صيغتْ والتقلباتُ التي مرتْ بها " ^(٢) .

والأمثلة التي ذكرها السيوطي وأوجت لنا بهذا التقسيم تدخل جميعها في نطاق القسم الثاني ومنها :-

- (١) سُميت (مِنى) بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء .
- (ب) يقال (شَجَرْتُ فلاناً بالرَّمحِ) من الشجرة ، لأنك تجعله في الرمح كالغصن في الشجرة .
- (ج) شَادِقٌ : اسمُ فرسٍ مشتقٌّ من (شَدَقَ المطرُ) إذا سال وانصب فهو شادق (فكانَ الفرسَ هذا في سرعتِه كالْمَطَرِ إذا سال وانصب .

(١) لم يكن ذكر هذين النوعين عبثاً أو إطالةً للبحث دون داعٍ فالشور الثاني وهو الاشتقاق التاريخي Etymology هو الذي سنعتمد عليه في تأميل بعض الأفعال غير المتصرفة .

(٢) اللفظة ص ٢٢٦ . ترجمة الأستاذين الدواخلى والقصاص، الأنجلو-المصرية ١٩٢٠ .

(د) الشور : سُمِّي بهذا الاسم لأنه يشير الأرض .

(هـ) الجَرَجِير : سُمِّي كذلك لأن الريح تُجَرِّحُهُ أي تَحْرُجُهُ ^(١) .

وقد ذكر فنندريس مثلاً لهذا النوع من الاشتقاق، السراي أن ماريشال وهي أكبر رتبة عسكرية — إنما كان اشتقاقها من خادم الاصطبل في الألمانية القديمة ^(٢) .

ومما يدخل في هذا النوع أيضا ما لاحظهُ الأستاذُ عبد السلام هارون ^(٣) في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ، فقد لاحظ أنسبه قد جرى في كتابه على بيان اشتقاق أسماء البلدان العربية ، وترجَّح في هذا إلى الاشتقاق التاريخي والرجوع بالكلمة إلى أصلها في كلمات أخرى أو في مناسبات أخرى .

من ذلك قوله عن السُّد بكسر أوله وسكون ثانيه ، وأخسره دال مهملة " بلاد بين الهند وكرمان وسجستان . قالوا السنسند والهند كانا أخوين من ولد بولير بن يقطن بن حام بن نسوج ، يقال للواحد من أهلها سندي والجمع سند مثل رنجي وزنسج ^(٤) " .

وكأوله " سباب بالفتح ثم بالتشديد وساء أخرى من مسبب

(١) المزهر ١ هـ ص ٢٥١ وما بعدها بتصريف .

(٢) اللغة ص ٢٢٧ .

(٣) كتاب الاشتقاق لابن دريد " المقدمة التي كتبها محققه عبد السلام هارون " ص ٢٠ .

(٤) معجم البلدان، ان لياقوت الحموي ٢ هـ ص ٢٧٧ بيروت ١٩٥٥ .

الماء يصبُّ فهو صَبَابٌ . جفرفى ديار بني كلاب كثير النحل ^(١) .

وكتوله " صباح بالفم ثم التخفيف ، قاله أبو منصور، رَجُلٌ أصبح اللحية الذي يعلو شعرَ لحيته بياضاً مشرباً بحمرةٍ ومنه صباح النهار ، ومن ذلك قيل دم صباحي لشدة حمرة . قال : عبيسسط صباحي من الحروف أشقر . وذو صباح موضح في بلاد العرب ومنه يوم ذو صباح ، وقيل صبغ وصباح ما أن من جبال نملي لبني قريظ...^(٢) .

لم يبق لنا إلا أن نبيِّن معنى التصريف ، وأمره حين فهو علم يبحث فيه عن أحكام بنية الكلمة العربية وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك ^(٣) .

" وليس من التصريف عند جمهرة النحاة ... تحويلُ الكلمة إلى أبنيةٍ مختلفةٍ ، ليؤدِّيَ معانيَ مختلفةً كاللتصغير والتكسير والتشبية والجمع والاشتقاق...^(٤) .

ويرى بعضُ النحاة أن التصريفَ أمٌّ من الاشتقاق لأن بنيةً مثل تردد من الضرب يسمى تصريفاً ولا يسمى اشتقاقاً ، لأنه خاصٌّ بما بنته العرب ^(٥) .

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨١ .

(٢) السابق ج ٣ ص ٣٩١ .

(٣) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٢٩ .

(٤) النحو ألوانى ج ٤ ص ٥٦٢ .

(٥) المزهر ج ١ ص ٣٥١ .

يحسن بنا بعد هذا العرض أن نجيب عن التساؤل الذي عرضنا له في أول الفصل .

إن تسمية هذه الأفعال بالجامدة خطأ ، وذلك :

(١) لأن الجمود والاشتقاق تسمان للاسم ، يدل على ذلك بيت الألفية في خبر المبتدأ عندما يكون جامدا .

والمفرد الجامد فسسارغ وإن

يشتق فهو ذو ضمير مُستَكِين (١) .

(٢) وأن التصرف وعدم التصرف تسمان للفعل ، وقد اصطلح على ذلك جمهور النحاة في معظم كتبهم ، إلا أنهم عندما جاؤا إلى الأفعال موضوع بحثنا أطلقوا عليها الأفعال الجامدة . وهذا لبس وقعوا فيه ، وربما كانوا يظنون بالجامد عكس المتصرف ، وليس مكن المشتق .

(٣) وأن هذه الأفعال ليست جامدة ، بمعنى أنها لم تؤخذ من غيرها ، أو أن الصورة التي عليها هي الصورة الأولى ، لا بل إنَّها مشتقة ، أو قل إنَّ معظمها مشتق ، واشتقاقها يرجع في

(١) شرح ابن عقيل ٢٠٥/١ .

(٢) لابد أن نفترض هنا أن الفعل فرع يستدر من الأصل ، أي إن الفعل مشتق من المصدر ، موافقين في ذلك رأي البصريين . إذ إننا لو فرضنا العكس ، أي أن الفعل هو الأصل ، لكانت كل الأفعال جامدة غير مشتقة (اسم مفعول) ، وتكون هذه الصورة التي نراها عليها هي الصورة الأولى الأصلية . ولا أصل لها قيل يرجع إليه ، هذا إلى أننا في بحث سابق رأينا أن المصدر ربما كان هو الأصل ، ذلك لأن الفعل إنما هو تجريد ، أي أنه فكرة غير مشخصة أو غير ملموسة مثل (أكل) ، أما الاسم فهو في بعض أحواله مشخص أو ملموس مثل (الأكل) . والملموس أو المشخص هو الذي يقرع الذهن أولا ثم يأتي بعد ذلك المجرد (وانظر اللغة لفندريس ص ١٨١ ، وكتابنا " في علم اللغة التقابلي ص ١٥٥ ") دارالمعرفة الجامعية سنة ١٩٨٥ .

الأغلب الأعم إلى الاشتقاق بمعناه التاريخي Etymology، أي أن هذا الاشتقاق ليس جارياً على سنن العرب كأن تشتق من الكلمة اسم فاعل أو اسم مفعول أو اسم مكان أو صفة مشبهة.... حسب القواعد المذكورة عندهم، بل إن الاشتقاق يستبين فيها بتتبع المراحل التاريخية التي مرت بها هذه الكلمة أو تلك، وبمقارنتها... في بعض الأحيان - بكلمات أخرى من الفصيلة نفسها - وهو بحثٌ صعبٌ مرآةٌ مسيرٌ نواله، وليس في استطاعة الباحث تطبيقه على كلِّ الأعمال.

ولنأخذ مثلاً على ذلك الفعل (ليس)، فستجده مكوناً أو قسلاً مشتقاً من لا النافية بإضافة إلى فعل الكينونة في العبرية يسس فأصبح (ليس) وهذا مطابق لتعريف الاشتقاق عند العرب، فقد قالوا عنه "هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر". وقد أخذنا هذا الفعل من كلمتين.

وقد لطن إلى ذلك الخليل - رحمه الله عليه - عندما تسأل آيس ولا آيس - هذا مثال، مثال آخر (نعم) آيست هذه المسادة الثلاثية دالة على الترف وسعة العيش والرخاء.... بل هي كذلك، وليس غريباً إذاً أن يؤخذ منها معنى المدح والاطراء في عصر من العصور. وإذا انتقلنا إلى نقيضها (يس) وجدنا فكسرة الاشتقاق التاريخي متحقةً أيضاً، فالمادة الثلاثية تُشير إلى الضنك والخيق والبؤس والفقر وما إلى ذلك، فيرجع أنها في عصر من العصور استعملت في معنى متقارب لهذه المعاني وهو الذم، ثم استمر هذا المعنى مستعملاً إلى الآن.

ثم نأتي إلى حَبَّاء وهي حَبَّ و د ا وقد كُتبت كلمة واحسبده
وكانت في الأصل كلمتين ، فأما (حب) فواضح أن معنى المصحح
قريبٌ منها ، بل ملتصقٌ بها ، وأما (دا) فهو اسمٌ إشارة يدل على
الشيء المحبب الذي أشير إليه ونظن أنهما كانتا من فعلتين
(حب + دا) ثم إنَّه بتطور الاستعمال اتصلت الذال بالياء ، فأصبحتا
على هذه الصورة (حبدا) . ولو أن الياء كانت حرفاً آخر لا يتصل بما
بعده كالراء مثلاً لبقينا من فعلتين .

والفعل (لا يكره) انشزع من استعماله كفعل ناقص ، ووضوح
في أساليب الاستثناء على حالته تلك دون أن يتعداهما إلى مسسورة
أخرى . ويبدل على هذا (الانتزاع) أنه محدود الاستعمال إن لم
يكن نادره في أسلوب الاستثناء ، وهذا لم يتم في فترة محددة
بل هو نتيجة للتطور في الاستعمال .

وهكذا إذا تتبعنا معظم الأفعال غير المتصرفة نجدها في
الأغلب ترجع إلى كلمات لها صلة اللزب في المعنى أو في التركيب
بهذه الأفعال ، ثم اشتقت منها في زمن ما ، ثم صارت شاعرة
مستعملة .

وقد قلت غير المتصرفة وهي تشبه صحيحة ، لأن المقصود
بذلك أنها لا تتصرف ، أي لا تأتي في الأزمنة المختلفة كالماضي
والعوارق والأمر وباقى التماريف كاسم الفاعل واسم المفعول . الخ .
بل تأتي على صورة واحدة أو صورتين . وقد قلت (معظم
الأفعال) و (في الأغلب الأعم) ، لأن هناك أفعالاً لا صلة
بينها وبين ما أخذت منه . وإلا لما العلاقة بين المادة الثلاثية

(كرب) والفعل (كرب) بمعنى دنا ؟^(١) وما العلاقة بين (عسى)
كفعل من أفعال الرجاء وبين ما تدل عليه هذه المادة وهو الكبر :
يقال عسى الشيخ يعسو أي كبر وهف وتلّ بهمه^(٢) .

ويعد أن أجمعنا القول في هذه الأفعال من حيث عدم التصرف أو
الجمود ، وراينا أن وصفها بغير المتصرفة اليق وأحسن لأن الجمود
ليس من طبيعتها ، بل إن كل فعل منها كان مشتقا أو ماخوذا
من كلمة أو كلمتين - أقول، بعد أن فعلنا ذلك نتناول هـ هذه
الأفعال بالدراسة طائفة طائفة ، ونبدأ بتلك الأفعال التي تنتمي
إلى باب النواسخ في النحو .

| | | | |
| | |
|

-
- (١) ربما تكون العلاقة في اللفظ والكلام والقاب من مخرجين متقاربين
وسنبين ذلك بالتفصيل في موضعه إن شاء الله .
(٢) سيأتي بحث هذه الأفعال كل على حدة في موضعه .

الفصل الثاني

كسان وأقواتها

أول ما يقابلنا من الأفعال غير المتصرفة في هذا الباب هما
الفعالان كان ، وليس .

فإنَّ الأول (كان) فهو غير متصرف في استعمال واحد خاص
به ، وليس في كل استعمالاته ، ذلك أنه كعمل ناقص ناسخ له كلُّ
أنواع التصاريف .

فالماضي (كان) كقولهِ سبحانه وتعالى « ودَمَّرْنَا مَا كَانَ يَفْنَعُ
فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ » (١) .

والمضارع والأمر كقولهِ سبحانه وتعالى :
« كُنْ فَيَكُونُ » (٢)

واسم الفاعل كقول الشاعر :

وَمَا كَلُّ مِنَ يُبْدِي الْبَشَاطَةَ كَأَنَّ

أَخَاكَ ، إِذَا لَمْ تُلْهِهِكَ مَنْجِدًا (٣)

والمصدر كقول الشاعر :

بِهَدْيٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتْمِيُّ

وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسْتَسِيرُ (٤)

(١) آية ١٣٧ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٤٧ من سورة آل عمران .

(٣) ابن عقيل ج ١ ص ٢٦٩ .

(٤) ابن عقيل ج ١ ص ٢٧٠ وهذا البيت والذي قبله من الشواهد

التي لم ينسبوها إلى فاضل معين .

أما الاستعمالُ الخاصُ الذي نتعده فهو (لا يكون) في أسلوب الاستثناء ، ويكون الفعلُ في حالة المضارع دون الماضي أو الأمر مبيوئاً بحرف النفي (لا) دون غيره من حروف النفي نحو ما ، وليس . فـ (لا يكون) دون غيره من التماريف الأخرى هو الذي يستعمل في أسلوب الاستثناء .

أما الثاني فهو (ليس) وهو غيرُ متصرف في كلِّ أحوالِه ؛ أي إذا استعمل فعلا ناقصاً أو استعمل في أسلوب الاستثناء . ونلاحظ أن أسلوب الاستثناء التي جاءت مستخدمةً هذين الفعلين قليلةٌ جداً بل نادرة ، مما يدل على أنهما ولما أملا للنسخ لا للاستثناء ، فمن شواهد استعمالهما للاستثناء قولُ روية :

مَدَدَتْ لَوْسِي كَعْدِيدِ الطَيْسِش إِذَا ذَهَبَ الْكِرَامُ لَيْسَ (١)

وَلَوْ لَه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " يُطِيعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خَلْقٍ لَيْسَ الْحَيَاةَ وَالْكَذِبَ " . وهذان الشاهدان وردا في هجج الهوامج في باب الاستثناء بليس ولا يكون ، كما ورد بيتُ روية في المغنسي (٢) حسرك القاف دون أن يشهد به ابن هشام على الاستثناء بليس ، كما سنا نقلهما (البيت والحديث) الاستاذ عباس حسن في النحوسو الوافي . ولقد أورد ابن هشام في المغنسي حديثاً رسول اللسه (٣)

(١) منيين بعد الليل أن كان فعلا أو حرفا .

(٢) عديد الطيس أي الرمل الكثير وقد استشهد به ابن هشام في حرف القاف ص ٢٢٧ وفي الخزانة (٢) ٤٢٥-٢٠٤٤ .

(٣) هجج الهوامج ص ٢٣٥ .

(٤) المغنسي ص ٢٢٧ .

(٥) النحوسو الوافي ص ٢٥٨ .

على الله عليه وسلم " ليس من أصحابي أحدٌ إلا ولو شئت لأخذتُ عليه
ليس أبا الدرداء " وقد قال محققُ المغنّي إنه بَحَثَ عن هـسدا
الحديث في كتب الصحاح فلم يجده .^(١) كما أنى بحثت في صحيح
مسلم عن الحديث الأول " ... ليس الخيانة والكذب فلم أجده ،
ووجدته في إحياء علوم الدين للفراي بنصٍّ آخر هو " كل خلسة
يُطبع عليها المؤمنُ إلا الخيانة والكذب "^(٢) . فلم يستعمل
(ليس) .

أما ما جاء في كتب النحو مشألاً على ذلك فهو نحو " أتاني
القومُ ليس زيدا و (لا يكون زيدا) (وقام القومُ ليس زيدا)
و (لا يكون زيدا) "^(٣) .

ويدل على أنهما وفيما أصلا للنسخ بالإضافة إلى ما ذكرناه
أن إعرابهما في أسلوب الاستشناء مطابق تماما لإعرابهما عندما
يكونان ناسخين . قال السيوطي في شرحه على بيت رؤية " وقوله
(ليس) ، أي ليس الذهاب أي أي ، فاسمُ (ليس) مستترٌ فيهما
وغيرها الضميرُ المتصلُ بها "^(٤) . ونجد أن هذا الإعرابَ متعلقٌ أيضا
في قولهم (قام القومُ لا يكون زيدا) فتأويله عندهم (قام القوم
لا يكون بعضهم زيدا)^(٥) .

(١) المغنّي ص ٢٨٧ (الهامش) .

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ١٢٢ ج ١ عيسى الحلبي مصر .

(٣) انظر مثلا سيبويه ج ١ ص ٢٧٦ وابن عقيل و ج ١ ص ٦١٦ .
والأشموني ج ٢ ص ١٢٥ .

(٤) شرح شواهد المغنّي ص ١٦٧ .

(٥) هناك إعرابان آخران يذكرهما النحاة في مرجع الضمير المستكن

ولكن لماذا استخدم هذان الفعلان دون غيرهما من الشواسخ
في أسلوب الاستثناء ؟ والإجابة عن هذا السؤال تتضح بعد أن
نعرف معنى هذين الفعلين ، إذ إن معنييهما واحد وهو عدم الوقوع
أو عدم الحدوث أو بمعنى آخر نفى الكون المطلق . ولنبيين تفصيل
ذلك .

فأما الفعل الأول (يكون) فهو في أصل معناه دال على
الحدوث والوقوع والشبات والإيجاب ، وهذا المعنى يتضح عندما
نستعمله تاماً مثل (كان الله ولا شيء معه) ومثل قوله تعالى
" وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ " (١) . ومما يدل على الشبات
والرسوخ قوله تعالى " الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَلَامُوا الصَّلَاةَ " (٢) .
وتقول " كان عبدالله ، أي خلق عبدالله ، وقد كان الأمر أي وقع
الأمر " (٣) .

ويتضح هذا المعنى أيضاً عندما نقارن العربية بغيرها من
الساميات فالفعل ܟܝܢ في العبرية يعني الرسوخ أو الوقوف على
شبات ، وكلمة ܟܝܢ فيها بمعنى (نعم) وهي تدل على الإيجاب . كما أن
في (لا يكون) (ليس) : الأول أن المرجح اسمُ الفاعلِ الماخوذ من
الفعل أي قام القوم لا يكون القائم زيداً ، والثاني أن المرجح
الفعلُ السابقُ العاملُ في المستثنى منه . أي قام القوم لا يكون
هو (أي القيام) قيام زيد . وواضح ما في هذين الوجهين من
التكلم وانظر الهامشين السابقين .

(١) آية ٢٨٠ من سورة البقرة .

(٢) آية ٤١ من سورة الحج . والشاهد في (مكانهم) .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٢١ .

هناك فعلين آخرين وهما קָרַח في السريانية و קָרַח في العبرية بمعنى (كان) ويقابها في العربية هوى أو سخط أو حدث ، وهذا الرأي مبني على أن (وقع) لها معنيان في العربية : معنى السقوط كقولك وقع على الأرض ، ومعنى الحدوث كما في قوله تعالى "إذا وقع الواقعة" (١) : (٢)

هذا عن المادة (كون) فعادا عن (ليس) ؟ إن الاشتقاق التاريخي Etymology يُرينا أن الفعل ليس في الأصل مكون مسن شقين : الأول (لا) النافية والثاني الفعل (أيس) التي تدل على الكون المطلق أو الوجود أو الحياة . وهذا الأصل يتضح كل الوضوح في قول العرب "أشتني به من حيث أيس وليس ، أي من حيث هو ولا هو" . وقولهم "لا يعرف آيس من ليس" ، أي لا يعرف ما يكون مما لا يكون (٣) وهذا الأصل فطن إليه الخليل بن أحمد عندما رأى أن (ليس) مكونة من لا أيس فطرحت الهمزة وأزالت اللام بالياء (٤)

ويتضح هذا المعنى أيضا عندما نقارن بين العربية وغيرها من الساميات ففي العبرية קָרַח وهي أداة النفي لا ، ثم أُفيد إليها

(١) الفعل في قواعد اللغة السريانية وآدابها ، والموازنسة بين اللغات السامية تأليف محمد عطية الأبراشي وآخرين ص ٣٢٩ . المطبعة الأميرية بولاق .

(٢) الآية الأولى من سورة الواقعة . وهذه المعاني عرفنا لها في كتابنا النواسخ الفعلية والحرفية ص ٤٣ . دارالمعاصر . ١٩٨٣ .

(٣) اللسان مادة ل ي س .

(21) W. Wright: A Grammar of Arabia Language P.96 V II

(٥) اللسان مادة ل ي س .

بمعنى يوجد أو يكون) ، وفي الأرامية ܐܝܢ وهي مكونة من لا (حرف نفي) وايت وهو فعل الكينونة . على أننا لـ^(١) في العربية لا نستعمل الفعل (ايس) منفردا ، بل لا بد أن يكون قبله الحرف (لا)^(٢) .

من هذا كله يتضح أن الأصل في (لا يكون) و (ليس) إنما هو نفي الوجود أو الكون المطلق أو الوقوع بوجه عام ، وليس هذا في العربية لحسب . بل في غيرها من الساميات . وهذا النفي العام دون تحديد للمعنى هو الذي سوغ للنحاة أن يقولوا بأنها جاءت في بعض الأساليب للاستثناء .

وربما كانت هناك علاقة بين نفي الكون المطلق الذي يفيد أنه ليس ولا يكون وبين (نفي في النفي) أو (الجحد)^(٣) اللذين ذكرهما النحاة ورأوا أن (ليس) و (لا يكون) يفيدانها ، ومن ثمَّ جاز الوصفُ بهما (أي بليس ولا يكون) بعكس (عدا ، وخلا) اللذين لا يفيدان ذلك فلا يوصفُ بهما .

يقول السيرافي فيما نقل عنه السيوطي " أجازوا الوصفَ بليس ولا يكون لأنها نفي في النفي عن الثاني وهو معنى الاستثناء ، وليس ذلك في عدا وخلا إلا بالتضمين ، فلم يوصفَ بهما ؛ لأنهما

(١) التطور النحوي لبرجستراسر ص ١١١ .

والفلسفة اللغوية والألفاظ العربية لجورجي زيدان ص ١٠٦ ط دار الهلال ١٩٥٨ . والنواسخ الفعلية والحرفية ص ٢١٠ و ٢١١ .

(٢) الجحد بمعنى الإنكار وهناك ما يسمى بلام الجحد قبل (ما كان) مثل قوله سبحانه وتعالى " لم يكن الله ليغفر لهم " النساء ، ١٢٧ ، ١٦٨ . وانظر المعنى حرف اللام ص ٢٧٨ .

ليس في موضعٍ جيدٍ فلا يقالُ ما أتتني امرأةٌ عدتٌ هندداً أو
خَلَّتْ هندداً^(١) .

والى مثل ذلك ذهب ابنُ يعيشٍ في شرحه على مفصل الزمخشري
حيث يقول : " قد يكون (ليس) و (لا يكون) وصفين لـ
قبلهما من النكرات تقول أتتني امرأةٌ لا هندداً ، فموضع
لا تكون (رفع) لأنه وصف لامرأة ، وكذلك تقول في النصب والجر :
(رأيت امرأةً ليست هندداً ولا تكون هندداً) و (مررت بامرأة
ليست هندداً ، ولا تكون هندداً) .

" ولا بوصف (بخلا وعدا) كما وصف (بليس ولا يكون)
فلا تقول (أتتني امرأةٌ خلت هندداً) وعدت جملاً ، وذلك أن (ليس
ولا يكون) لفظهما جدد ، فخالف ما بعدهما ما قبلهما ، فجريسا
في ذلك مجرى غير ، توصف بهما كما وصف بغير ، وأما خلا وعددا
فليس كذلك ، وإنما يستثنى بهما على التأويل ، لا لأنهما جدد"^(٢) .

ولم يختلف النحاة في أنّ (لا يكون) فعلٌ ، ذلك أنه متصرف
كل التصرف إلا في هذا الاستعمال الذي نحن بصدده في الاستثناء ، وأما
الخلافاً فكان في (ليس) : هل هي فعلٌ أو حرفٌ ؟

وقد ورد هذا الخلاف في الإنصاف لابن الأثيري ، ولكنه لم
يبرِّد بطريقه مباشرة بل وَّزَع بطريقه غير مباشرة تحت عنوان
" هل يجوز تقديم خبر (ليس) عليها " ؟ جاء في الإنصاف :^(٣)

(١) جمع الهوامع ١ ص ٢٢٤ .

(٢) المفصل ٢ ص ٧٨ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأثيري ١ ص ١٠٣ .

" ولا يجوزُ تقديمُ غيرِ ليسِ عليها والذي بَدَلُ على هَسْداً أَنْ
(أيس) في معنى ما ، لأنَّ ليس تنفي الحال كما أن ما تنفي الحال ،
وكما أن (ما) لا تنصف ولا يتقدم معمولها عليها فكذلك ليس ، على
أن من النحويين من يغلبُ عليها الحرفية ، ويحتج بما حَكَى بعضُ
العربِ أَنَّهُ قال (ليس الطَّيبُ إِلَّا المسك) فرفع الطيب والمسك جميعاً ،
وبما حَكَى أَنَّ بعضَ العرب قد قيل له (فلان يتهددك) فقال (عليه
رجلاً ، ليس) فأتى بالياء وحدها من غير نون الوقاية ، ولو
كانت فعلاً لوجب أن يأتِيَ بها كسائر الأفعال " ١٠١ .^(١)

وانظر إلى استعماله الفعل (يغلب) في قوله " ومن النحاة من
يغلب عليها الحرفية " ولم يقل " يقرر أنها حرف " . إنَّ هَسْداً
دليلٌ على أن هناك ترجيحاً بين الحرفية والفعلية ، أو أنها جمعت
بين الاثنين إلا أن الحرفية قد غلبت عليها . وهذا يدل بالتالي على
أنهم قد نظروا إلى أصلها عندما قالوا ذلك وقرئوا أنها مكونة
من الحرف (لا) والفعل (أيس) .

هذا من الكوفيين ، أما البصريون فرأوا أنها فعل ، ولهم
يقولوا بتغليب الفعلية عليها " بدليل إلحاق الضمائر وتاء التانيث
الساكنة بها ، وهي تعمل في الأسماء المعرفة والنكرة الظاهرة
والمضمرة كالأفعال المتحركة " .^(٢)

وهناك شواهدٌ كثيرةٌ ، غير التي ذكرها الكوفيون نجسداً

(١) الإنصاف ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) الإنصاف ج ١ ص ١٠٤ .

(ليس) فيها مستعملة استعمال الحرف حتى إنك لو استبدلت بها حرفاً مثل (ما) أو (لا) لم تلحظ ذلك كالقول الذي أورده سيبويه " ليس خلق الله مثله " ^(١) . وكقول ابن عمر رضي الله عنهما : " كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون ، فيتحننون الصلاة ، ليس يُنادى عليهم ، وكقول الشاعر : ^(٢)

من الشفاء لداشي لو ظفرتُ بها * * * وليس منها شفاء النفس مبدول ^(٣)

وكقول أبي الطيب :

وزاشرتي كأن بها حياء * * * فليس تزور إلا في الظلام ^(٤)

وما ورد في الحماسة

تمنى لي الموت المعجل خالد * * * ولا خير فيمن ليس يعرف حوسده ^(٥)

فكل هذه الشواهد استعملت فيها ليس استعمال الحرف . ^(٦)

(١) الكتاب ١ ص ٢٥ .

(٢) شواهد التوفيق والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ص ١٢٩ .
تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي دار العروبة بمصر
سنة ١٩٥٨ .

(٣) الكتاب ١ ص ٢٦ و ٧٣ . ولئله هشام بن عتبة أخو ذي الرمة .

(٤) الديوان : شرح العكبري ط الخطيب ١٩٥٠ ج ٤ ص ١٤٦ .

(٥) ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي صبيح
سنة ١٩٥٥ ج ١ ص ٢٢٢ .

(٦) عدا بين العتبي فهو مثال وليس شاهداً .

ولكن ماذا ننتج بالأدلة التي ذكرها البصريون على أن (ليس) فعلٌ ، إذ يتعمل بها الضماشر وتاء التانيث الساكنة وتعمل فـنـى الأسماء ... إلى آخر الأدلة التي ذكروها . ٩

الحقيقة أن اللغوي لا يستطيع أن يفتح حدا جامعاً مانعاً لكل الشاظر اللغة ، بحيث يُفتح كل لفظ تحت عنوان محدد : اسم أو فعل أو حرف ، ذلك أن الحدود اللغوية إنما وفعت بوجه عام ، ولم تفتح في الحسبان وجود كلمة مثل (ليس) ، لها قدر مسن خصائص الحروف وتقدر من خصائص الأفعال . ومن غير الممكن أن نفتح تعريفاً جامعاً مانعاً لها ولأمثالها ، أي جامعاً لها ولأمثالها ، مانعاً غيرها من الدخول في هذا التعريف .

واكتسابها قدرًا من خصائص الحرف وتقدرًا من خصائص الفعل يرجع إلى الأصل فيها ، فهي كما ذكرنا مكونة من حرف (لا) وفعل (ليس) .

وهذا لا يمنع من القول إنَّ الحرفية غلبت عليها . ويرى الدكتور مهدي المخزومي أنَّ ما يربطها من الفعل بنسب (كالعساق الضماشر وتاء التانيث الساكنة بها) إنما هو " من بقايا استعمالها القديمة التي كان لليس فيها ما للفعل من دلالة على حدثٍ وانترانٍ بالدلالة على زمنٍ ، وقد فقدت كل هذه الدلالات ، وأصبحت في الاستعمالات المتأخرة ، لا تدلُّ إلا على ما تدلُّ عليه (ما) فـنـى النفي ^(١) .

(١) في النحو : نقد وتوجيه ص ٢٥٨ ط بيروت ١٩٦٤ .

دام

والفعلُ (دام) متصرفٌ وله كثيرٌ من المعاني والاشتقاقات ومشارعُه يدوم ، والمصدرُ دَوَامًا ودَوَمًا وديمومةً ، واستدام الشيءُ أي استمر دَوَامُهُ ، ودامت السماءُ تديم ديمًا ، أي استمر مطرها . وأرضٌ مَدَيِّمةٌ ومَدَيِّمةٌ ، أصابها الديم ، والعدامُ المطرُ السدائم و (الخمير) .

والديموم والديمومة الغلاة يدوم السير فيها لبعدها ، ودَوَمُ الطائرُ إذا تحرك في طيرانه ، وقيل دَوَمَ الطائرُ إذا سَنَّ جناحيه كطيران الحداء ...^(١)

فها نحن نرى كثيرًا من المعاني والاشتقاقات لهذه المادة لما بال فعل (دام) كفعل ناقص من أخوات (كان) غير متصرفي ، فقد جاء في زمن الماضي ليس غير ؛ قال الله سبحانه وتعالى : " وأوماني بالملاة والزكاة ما دمت حياً "^(٢) .

إن الشواهد جميعها تؤيدُ مجيءَ (دام) في زمن الماضي مسبوقاً بـ (ما) المصدريّة الظرفيّة فـ (ما دمت حياً) أصلُه مدة دوامي حياً ، فحذف الظرف وخلفته (ما) وملتها ، كما جاء في المصدر الصريح نحو (جئتكَ صلاةً العصر) ؛ (آتيتك قدومَ الحاج)^(٣) .

(١) اللسان ج ١٥ ص ١٠٨ .

(٢) مريم : ٣١ .

(٣) المغنى ص ٤٠٠ فعل (ما) .

و(ما) هذه لها شأنٌ كبيرٌ في تفسيرِ عدمِ تصرّفِ الفعلِ (دام) ،
ذلك أنّ (ما) المصدريّةَ الظرفيّةَ لا تدخلُ في الأغلبِ الأعمِّ إلاّ على
الفعلِ الماضي . قال ابنُ عقيلٍ " ومنها - أي من الموصولاتِ الحرفيّةِ -
(ما) وتكونُ مصدريةً ظرفيةً نحو (لا أصبحُك مادمتَ منطلقاً) ،
أي مدّةً دوايمك منطلقاً ، وهيمرُ ظرفيةً نحو (عجبتُ مما ضربتُ زيداً)
وتُوصَلُ بالماضي كما مثَلُ وبالمضارع ، نحو (لا أصبحُك ما يقومُ
زيدٌ وبالجملّةِ الاسميّةِ نحو (عجبتُ مما زيدٌ قائمٌ)^(١) .

فمثَلُ للمصدريةِ بالماضي والمضارعِ والجملّةِ الاسميّةِ ، ولم
يذكرُ إلاّ الماضي في المصدريةِ الظرفيّةِ ، على أنه قد ذكرَ ذلك
صراحةً عندما قال " وأكثرُ ما توصلُ الظرفيّةُ المصدريّةُ بالماضي أو
بالمضارعِ المنفي بلَم " ^(٢) نحو (لا أصبحُك ما لم تُضربْ زيداً)
ويقلُّ وملؤها بالفعلُ المضارعُ الذي ليسَ منفيّاً بلَم نحو (لا أصبحُك
ما يقومُ زيدٌ) ومنه قولُ الشاعر :

أَطَوُّ مَا أُطَوُّ شُئْمٌ أَوْي

يَلْسِي بَيْتٍ لَعِيدَتُهُ لَكَاغٌ^(٣)

ومن شواهدِ دخولِ (ما) المصدريّةِ الظرفيّةِ على الفعلِ الماضي

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٣٩ .

(٢) وإنما كان تعيينه بالمضارعِ المنفي بلَم ، لأنّ (لم) تنقلبُ
المضارعُ إلى زمنِ الماضي وليسَ بعيداً عن قولِ النحاةِ : لَم
حول نفيِ وجزمِ وتلب .

(٣) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٣٩ . والبيتُ ينسبُ إلى الحطيئةِ هو من
شواهدِ ابن عقيل رقم ٢٥ والشاهد رقم ٣٧ لابن هشام لسي
الشذور، وذكره أيضاً في آخر باب النداء في أوضح المسالك ج ٢

وهو الغالبُ كما قلنا قولُ الله سبحانه وتعالى " إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ " و " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ " .^(١)

وقول امرئ القيس :

أجارتنا إِنْ الْخَطُوبَ تَنْسُوبُ * * * وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ .^(٢)

فسبق دام بـ (ما) الممدرية الظرفية هو الذي أوقف الفعل
(دام) عند الماضي لا يتجاوزُه إلى غيره من الأزمنة حتى لو كان
المضارع مستعملاً قليلاً أو نادراً . ومن هنا لم يفرق القبان بين
الماضي والمضارع والمصدر في استعمالها ناقمةً ، ولعله أيضاً
نظر إلى بيت الحطيئة :

أطوفُ ما أطوفُ

عندما قال - أي المبان - " وليس بالآدميين ومن والقهيم
أسوة " لعدم ظهور الفرق بين قولك : لا أكلمك ما دمت عاصياً
وقولك : لا أكلمك ما تدوم عاصياً ، بل الصحيح عندي أن لها
مصدرًا أيضاً ، بدليل أنهم شرطوا سبق (ما) الممدرية الظرفية
عليها . أو على دام ومن المعلوم أن (ما) الممدرية تقول مع ما
بعدها بمصدر ، وأن هذا المصدر مصدرٌ
وقد وقع هذا المصدر في عبارات كثيرين كالشارح

(١) هود - ٨٨ .

(٢) التفاسير - ١٦ .

(٣) البيت لامرئ القيس في الديوان ص ٧١ . شرح حسن السديدي ،
التجارية الكبرى سنة ١٩٥٣ .

(٤) يتقدم والقهم على أن ماضيها ومضارعها كليهما مستعملان .

عند قول المصنف كَأَمَطٍ .. الخ . ^(١) فلا يقالُ إِنَّهَا مع ما بعدها فسي
تأويل مصدر مقدر لا موجود ، والحكم عليهم بأن ذلك منهم اختراعٌ
لِعمَا لَمْ يَرِدْ عن العرب جورٌ وسوءٌ ظنٌّ ، فإذا قلت : أحبك مــــددةً
دوايك مالحا ، كان دوام مصدر الناقصة ومالحا خبره ، مثل : أحبك
ما دمت مالحا . والفرق تحكّمٌ محضٌ فتدبّر . ^(٢)

والمصنّفُ مصيَّبٌ في كلّ ما قاله ولكن من الناحية المعنوية
ليس غير ، أما من ناحية الشكل ، فقد شكّل الاستعمالُ فإنَّه
انحصر فيه على استعمال الفعل (دام) في حالة الماضي في الأغلب
الأعم ، ونادراً ما يستعمل غيره .

(١) يعتمد عند قول الأشموني شرحاً لقول ابن مالك : كأعط مــــددةً
دمت مصيَّباً درهما : أي مدة دوايك مصيَّباً .
(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني ج ١ ص ١٨٩ .

ما زال وما انفق وما فتي وما يبرح

ويبقى بعد ذلك من أخوات كان : زَالَ وَأَنْفَكَ وَفَتَيَّْ وَبَرِحَ
ويجمع بينها ثلاثة أمور :

الأول : أَنْ تَصْرَفَهَا غَيْرَ كَامِلٍ فَلَمْ يَسْتَعْمَلْ مِنْهَا الْأَمْرَ أَوْ الْمَعْدِرَ .

الثاني : أَنْ كَلَّمَ مِنْهَا لِأَبَدٍ أَنْ يَسْبِقَهُ نَفْسِي أَوْ شِبْهُهُ لَفْظًا
أَوْ تَقْدِيرًا .

الثالث : أَنْ كَلَّمَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ تَعطى معنى واحداً وهو الزوال ، أو
الذهاب أو المضي أو الشرك ، فكاننا عندما نُدْخِلُ عَلَيْهَا
حرفَ النَّفْسِ نطبق القاعدة التي تقول " نَفْسِي النَّفْسِي إِشْبَاتٌ " ،
وَمِنْ شَمَّ فِيهِ تَدَلُّ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ .

فأما الفعلُ الأولُ وهو زال من الزوال وهو الذهاب والاستحالة
والانحلال - ^(١) وزاله وانزال عنه فارقه . والزائلة كل ذي روح أو
متحرك ، فمنهايته إلى زوال ^(٢) .

وأما الفعلُ الثاني انفقَ بمعنى انفق ، تقول ففكك الشيءَ
فانفكَ بمعنى انفق الكتابَ المختومَ تفكُّكاً خاتمه ، كما تفكك الحنكيين
تفكلاً بينهما ، وفكَّ الرهنَ بملكه فكاً ، وكلُّ شيءٍ أطلقتَه ففككته
ففككته ، وفكَّ الأسيرَ فكاً ففككته من الأسر . قال تعالى " لم يكن الذين

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٤٠٢ .

(٢) اللسان ج ١٢ ص ٢٢٢ .

كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة^(١) . أي
منتهين عن كفرهم وهو قول مجاهد ، وقال الاخفش : منفكين :
زائلين عن كفرهم^(٢) .

وأما الفعل الثالث ففيه لغتان ما فتشت وما فتأت أذكره
بالكسر والنصب (يقعد الفتح) وما أفتأت تميمية ، أي ما برحت وما
زالت وفي نوادر الأعراب : فتشت عن الأمر أفتأ إذا نسيت وانقذت^(٣).

وأما الفعل الرابع الأخير وهو تَبَرَّحَ تَبَرَّحاً وَبُرُوحاً أي زال ،
وَبَرَّحَ فلان مكانه أي زال عنه وبرح الأرض فارتقا قال تعالى " فلن
أبَرِّحَ الأرض حتى يبأذن لي آيس " . وقال تعالى " لئن نبرحَ عليسه
عاكفين " أي لن نزال ، وبرح الخفاء أي زال . والبارحة أي التي
زالت ومضت ومنه قول العرب ما أشبه الليلة بالبارحة أي باللييلة
التي مضت وزالت^(٤) .

فالاعمالُ الأربعة تعطي معنى الزوال والتلاشي والنسيان
والغنى والذهاب فإذا أدخلنا على هذه المعاني حرف النفي (مسا)
دلّت على الاستمرار والاتصال كما بينا منذ قليل .

ولقد أثبتنا هذه الاعمال في بحثنا ، لأن الأمر والمعسدر
لم يستعملا منها ، هذا أمر طبيعي يستدعيه دخول النفي قبلها .

(١) البينة - ١ .

(٢) اللسان - ١٢ ص ٣٦٢ .

(٣) اللسان - ١ ص ١١٤ .

(٤) آية ٩١ سورة طه .

(٥) اللسان - ٣ ص ٢٢١ .

فأما عن الأمر فإنّ (لا) النافية بوجه عام لا تدخلُ عليه ، إذ إنّه حينئذ يصبح فعلاً مضارعاً مجزوماً بلا الناهية قبله ، نحو العـــــــباً ولا تلعب ، وكذلك الحالُ في تلك الأفعال ، فالأمر من زال ؛ زال فلاناً أدخلنا (لا) قبل الأمر صار بمثابة نهى وصار الفعل بعدها مضارعاً مجزوماً بها كقول الشاعر :

صاحِ شمرًا ولا تنزلْ ذاكرَ العـــــــو
تِ ، فنسيانهُ فلالٌ مبيـــــــنٌ (١)

أو بَقِيَّتْ نافيةٌ والفعلُ بعدها يكون مضارعاً مرفوعاً كقول الشاعر :

فقلتُ يمينُ اللهِ أبرحُ قاعسداً ولو قطعوا رأسي لديكِ وأوصالي (٢)
أي لا أبرحُ ، وقوله سبحانه وتعالى " تَسْأَلُهُ تَفْتُوْهُ تَذَكَّرُ
يوسف " (٣) . أي لا تفتوه . وأما (ما) النافية ، فهي لا تدخلُ على الأمر .

ولما كان المضارع يفارعُ اسمَ الفاعل جارِ استعمالُ اسمِ
الفاعلِ من هذه الأفعال كقول الشاعر :

(١) غير معروفٍ قائله وهو من شواهد الأشموني ؛ الشاهد رقم ١٧٢ .

(٢) القائل امرؤ القيس من قصيدة أولها :
أَلَا يَمُّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظُّلُّ البالي ، وهل يَعِيْنُ مَنْ كَانَ فِي العُمُرِ الخالي
وهي في الديوان ص ١٥٨ ، ومختار الشعر الجاهلي ص ٣٤ .

(٣) يوسف - ٨٥ .

لَفِي اللَّهِ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ رَأْسًا
أُحِبُّكَ حَتَّى يُغْمَضَ الْجِلْدَ مَغْمُضًا (١)

وأما المصدرُ فإنَّ استعماله ناقصًا ، أي عاملًا عملَ (كان) أمرًا
لم يجرِ الاستعمالُ به ، لأنَّ التركيبَ حينئذٍ لا يسمَحُ بذلك والمعنى
لا يَتَأَتَّى ، فمن البيتِ السابق إذا حاولنا استعمالَ المصدرِ للتعبيرِ
عن المعنى الذي قصدَه الشاعرُ نقول : ولا زوالَ لي في حبِّك أو عـ
حبِّك . ووافقَ ركازةُ التركيبِ وبعْدُ المعنى المقصودِ .

بل إن (كان) - وهي التي لا يُشترطُ لاستعمالها ناقصةٌ سبقها
بنفي أو شبهه - قلما يُستعملُ مصدرُها عاملًا عملها ، وقد جاء
ذلك في بيتٍ لم يردِّ النحاةُ غيره ولا يُعرفُ قائلُه وهو :

ببذلٍ وحِلْمٍ سادَّ في قومه الفُتَّى
وكونك إياه عليك يسيرًا (٢)

(١) القائلُ الحسين بن مطير بن مكمل وهو الشاهد رقم ١٨٢ من شواهد الأشموني .

(٢) الشاهد رقم ١٨١ من شواهد الأشموني و ٦٤ من شواهد ابن عقيـل .

الفصل الثالث

الفصل الرابع

أفعال المقاربة

وهي كاد وكَرَبَ وأوشك . فأما كاد فهو فعل شبه متصرف ، أي
أنه يأتى على صورة أخرى غير الماضي (كاد) ، وهي (يكاد) ، مع
أنَّ مِنَ النحاة مَنْ يأخذُ بيته كثير عزة :

أَمُوتُ أَسَى بِوَجْهِ الرَّجَامِ وَإِنَّنِّي
يَقِينًا لِرَهْنٍ بِالَّذِي أَنَا كَأَنَّكَ

دليلاً على استعمال اسم الفاعل من (كاد)^(١)

وأغلب الظنَّ أنَّ (كأعد) هنا ، إنما جاءت لإقامة التافهية
ولتوفيق حرف الروى ، ثم إننى يرجوع إلى الديوان وجدت تومساً^(٢)
بيرون البيت منتهياً بـ (كابد) بالياء ، معاً ينطق الشاهد على
استعمالهم اسم الفاعل من (كاد) ، بل يستعملون الماضي والمضارع ليس
غير ، على أننا لا نستطيع أن نقول إن استعمالهم الماضي أكثر من
استعمالهم المضارع ، ولا العكس أيضاً ، بل إن هناك شبه تساوي في
الاستعمالين . فقد أحصيت الآيات التى ورد فيها الماضي (كأساد)^(٣)
فوجدتها عشر آيات ، والآيات التى جاء فيها المضارع (يكساد)

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٢٩ .

(٢) ديوان كيثر عزة ص ٢٢٠ جمعه وشرحه د. إحسان عباس ، دار
الثقافة بيروت ١٩٧١ .

(٣) هي : من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ١١٧/التوبة ، إن
كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا ٤٣/الفرقان ، إن كانت
لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ١٠/القصص ، فذبحوها
وما كادوا يفعلون ٧١/البقرة ، إن القوم استخفونني وكادوا

أربع عشرة آية^(١) .

وقد رأى بعض النحاة أن نفي المضارع أي (يكاد) نفسي ،
ولكن نفي الماضي (كاد) إثباتٌ بدليل " فذبحوها وما كسبـادوا
يفعلون"^(٢) وقوله " لم يكـد يراها"^(٣) مع أنه لم ير شيئاً
والمحییح أن إثباتها إثباتٌ ونفيها نفيٌ ، لأن معناها المقاربة

يقتلونني ١٥٠/ الأعراف ، وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا
إليك ٧٣/ الإسراء ، وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك
منها ٧٦/ الإسراء ، وإنه لما قام عبد الله يدعوه كسبـادوا
يكونون عليه لبدا ١٩/ الجن ، لولا أن ثبتناك لقد كسبت
تركن اليهم شيئاً قليلاً ٧٤/ الإسراء ، قال تالله إن كدت لتردين
٥٦/ الصافات .

(١) إن الساعة آتية أكاد أخفيها ١٥/ طه ، تكاد السماوات يتفطرن
منه وتنشق الأرض ٩٠/ مريم ، تكاد السماوات يتفطرن من فواتهن
٥/ الشورى ، تكاد تميز من الغيظ ٨/ الملك ، يكاد البرق يخطف
أبصارهم ٢٠/ البقرة ، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ١٧/ إبراهيم ،
يكاد ريتها يضئ ولو لم تمسه نار ٢٥/ النور ، يكاد سنبا
برقه يذهب بالأبصار ٤٣/ النور ، أم أنا خير من هذا الذي هو
مبين ولا يكاد يُبين ٥٢/ الزخرف ، وإن يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ٥١/ القلم ، لما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون قولا ٩٣/ الكهف ، يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم آياتنا ٧٢/ الحج ، إذا أخرج يده لم يكـد يراها
٤٠/ النور .

(٢) من الآية ٧١ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٤٠ من سورة النور .

لمعنى (كاد يفعل) قارب الفعل ، ومعنى (ما كاد يفعل) لم يقاربها
فخبرها معنى دافعا . أما إذا كانت منفية فواضح ؛ لأنه إذا
انتفتت مقاربة الفعل اقتضى عقلا عدم حصوله ، وأما إذا كانت
المقاربة (منفية) ؛ فلأن الأخبار بقرب الشيء يقتضى عرفا عدم
حصوله وإلا لم يتجوز الإخبار بقربه ، فأما قوله تعالى " فذهبوها
وما كادوا يفعلون " فإنها منفية مع إثبات الفعل لهم في قوله
" فذهبوها " .^(١)

وربما كان في هذا ردًّا على ابن منظور عندما رأى أن (كاد)
مجردة تنبئ عن نفي الفعل، ومقرونة بالجهد تبني عن وقوع الفعل .^(٢)

وذكر سيبويه أن من العرب من يقول في كاد زيد يفعل (كيد
زيد يفعل) وما زيد زيد يفعل ذلك ، يريدون كاد و زال ؛ لأنهم
كسروها في فعل كما كسروها في فعلت ، حيث أسكنوا العين وحولوا
الحركة على ما قبلها ولم يرجعوا حركة الفاء إلى الأصل .^(٣)

وأورد ابن منظور لغة لبني عدي فهم يقولون كُدتُ العسل
كذا بضم الكاف .^(٤)

وأما الفعل (أوثك) فقد رأى بعض النحاة أن اسم الفاعل
قد استعمل كقول كثير مرة :

-
- (١) هكذا في البرهان والصحة التي يقتضيهما سياق الحديث (مثبتة) .
 - (٢) البرهان ج ٤ ص ١٣٦ بشصرف وانظر أمالي السيد المرتضى ج ٦ ص ١١ مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧ م .
 - (٣) اللسان ج ٤ ص ٢٨٦ .
 - (٤) الكتاب ج ٢ آخر صفحة ٣٦٠ .
 - (٥) اللسان ج ٤ ص ٢٨٦ ، والكتاب ج ٢ ص ٢٦١ .

لإنك موشك ألا تراهنا * * * وتعدو دون غاضرة العسوادي^(١)

" وزعم الأصمعي أنه لم يستعمل (يوشك) إلا بلفظ المضارع ولم تستعمل أو شك بلفظ الماضي ، وليس بجيد ، بل قد حكى الخليل استعمال الماضي وقد ورد في الشعر كتوله :

ولو سئل الناسُ الترابَ لاوشكوا * * * إذا قيلَ هاشوا أن يملوا ويمنعوا^(٢)

وقد رجعتُ إلى كتاب سيبويه في المظان المختلفة للفصائل (يوشك) فلم أجدَ حكاية الخليل هذه ، بل إن سيبويه أنشد الشاهد :

يوشكُ من فرٍّ من متيتيبي * * * في بعثي عرأتي بيواتيها^(٣)

على أن هذا لا ينفي أن العرب استعملت صيغة الماضي
فبالإضافة إلى الشاهد السابق وجدت ابن جني يُنشد :

إذا المرءُ لم يخشَ الكريهةَ أو شكته

حبالُ الهوينى بالفتى أن تقطعنا^(٤)

(١) الديوان ص ٢٢٠ .

(٢) الشاهد رقم ٨٩ من شواهد ابن عميل ج١ ص ٣٢٢ والنص فسسى ج١ ص ٣٢٨ وهو من شواهد العيني على هامش خزانة الأدب ج ٢ ص ١٨٢ ولم يعزه إلى أحد ولی أمالي الزجاجي ص ١٢٦ ط القاهرة سنة ١٢٨٢ .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٤٧٩ والبيت من شواهد العيني ج ٢ ص ١٨٧ وقاله أمية بن أبي العلت الثقفي من شعراء الجاهلية .

(٤) الخصائص ج ٢ ص ٥٣ وفي المفضليات القصيدة الثانية ص ٢٢ تحقيق أحمد شاکر وعبدالسلام هارون ط ٤ دار المعارف ١٩٦٤ .
ولمأثلة الكتلبة العربي .

وإذا كان الاختلاف في (كاد) و (أوشك) يأتيهما من حيث التصريف، فإنَّ (كَرَبَ) لم يختلف فيها أحدٌ من حيث إنَّها تاتسبى بلفظ الماضي، اللهم إلا ما ذكره السيوطي "وحكى قومٌ اسمَ الفاعل من كرب" ^(١) وواضحٌ أنَّ قولَ مبهمٍ لا يعتدُّ به، فهو لم يذكر من هؤلاء القوم ولم يأت بشاهدٍ على ذلك.

وَكَرَبَ لم تجيء إلا على هذه الصورة ليس غير، فلم يستعمل منها المضارع، كما استعمل مع (كاد) و (أوشك) وهي قليلة الاستعمال، بل إنَّها صادرة الاستعمال، والمستعمل الشائع من أفعال المقاربة (كاد)، ولم تات شواهدٌ على (كرب) إلا شاهدان.

١ - كَرَبَ الْقَلْبُ مِنْ جَوَاهِ يَذُوبُ

حين قال الوشاة هندٌ غصصاً ^(٢)

٢ - سَقَامَا ذُوو الْأَحْلَامِ سَجَلًا عَلَى الظَّمَا

وقد كَرَبَتْ أَمْنَانُهَا أَنْ تَقْطَعَ ^(٣)

ولم ينشد سيبويه شاهداً عليها. قال "وأما (كاد) فإنهم لا يذكرون فيها (أن) وكذلك (كرب يفعل) ومعناها واحد، يقولون كرب يفعل وكاد يفعل، ولا يذكرون الأسماء في موضع هذه الأفعال، أي لا يكون خبرها مفرداً. (الكتاب ١/٤٧٨).

(١) الجمع ج ١ ص ١٢٩.

(٢) الشاهد رقم ٩١ في ابن عقيل ج ١ ص ٢٣٥، والشاهد رقم ٢٤٢ في الأشموني ج ١ ص ٥٠٩، والإمام العيني ج ٢ ص ١٨٩ وقائله رجل من طبرستان، ويقال قائله كلقبة اليربوعي.

(٣) الشاهد رقم ٩٢ في ابن عقيل ج ١ ص ٢٣٥، ورقم ٢٤١ في الأشموني ج ١ ص ٥٠٧، والعيني ج ٢ ص ١٩٣ وقائله أبو زيد الأسلمي.

وَمَشَارُ الْعَجَبِ فِي (كرب) أَنَّ مِنْ مَعَانِيهَا الَّتِي وَرَدَتْ فِي اللِّسَانِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْغَمِّ وَالْحُزْنِ وَالْفَيْقِ ، وَهَذِهِ الْمَعَانِي بِعِيدَةٍ كَلَّ الْبَعْدِ مِنَ الْمَقَارِبَةِ ، لِيَذْكَرَ اسْمٌ مَنْطُورٌ أَنَّ الْكَرْبَ ؛ الْحُزْنَ وَالْغَمَّ وَجَمْعَهُ كَرُوبٌ ، وَكَرْبُهُ الْغَمُّ اشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَهُوَ مَكْرُوبٌ وَكَرِيبٌ وَكَارِبٌ ، وَكَيْدٌ مَكْرُوبٌ إِذَا كَانَ ضَيْقًا ، وَكَلُّ شَدِيدِ الْعَقْدِ مِنْ حَبْلِ أَوْ بِنْسَاءٍ فَهُوَ كَرْبٌ .

ثم يذكر أيضا أن من معانيها المقاربة فيقال كَرَبَ الْأَمْرُ يُكْرَبُ كَرُوبًا : دَنَا ، وَكُلُّ شَيْءٍ دَنَا فَقَدْ كَرَبَ وَكَرَبَتِ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ دَنَتْ ، وَفِي الْحَدِيثِ إِذَا اسْتَغْنَى أَوْ كَرَبَ اسْتَعْلَفَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كَرَبَ أَي دَنَا مِنْ ذَلِكَ وَقَرَبَ ، ثُمَّ يَأْتِي بِبَعْضِ الْمَعَانِي الَّتِي تَرْجِعُ إِلَى الْقَرَبِ نَحْوُ إِثَاءِ كَرِبَانٍ إِذَا كَرَبَ ، أَي قَارَبَ أَنْ يَمْتَلِئَ ، وَكَرَبُ النِّخْلِ أَي أَصُولُ السَّعْفِ الْقَلَاطِ الْعَرَافِ الَّتِي تَهْبَسُ ، وَسَمِيَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا اسْتَغْنَى عَنْهَا وَقَارَبَتِ الْقَطْعَ (١) .

فَمَا الْعَلَاةُ إِذَا بَيْنَ كَرَبِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْفَيْقِ وَالشَّدَةِ وَبَيْنَهَا الدَّلِيلُ عَلَى الْقُرْبِ ؟ لَعَلَّ أَوَّلَ مَا يَجُولُ فِي خَاطِرِ الْبَاحِثِ أَنَّ الْعَلَاةَ تَكْمُنُ فِي اللَّفْظِ وَلَيْسَ هُنَاكَ عِلَاةٌ مَعْنَوِيَّةٌ . فَكَلِمَةُ (كرب) هِيَ نَسَبُهَا (كرب) بَعْدَ إِبْدَالِ الْقَافِ كَافًا . وَلَا يَمْنَعُ أَيضًا أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ هُوَ الْفِعْلُ (قَرَبَ) الْمَتَمَرِّفُ تَمَرُّفًا كَامِلًا ، ثُمَّ إِنَّهُ لِنَطْقٍ مَعِينٍ أَوْ لِاسْتِعْمَالِ فَرْدِيٍّ أَوْ لَجَمَاعَةٍ أَوْ لِقَبِيلَةٍ مَعِينَةٍ خَفُّوا الْقَافَ فَصَارَتْ كَافًا ، لِأَنَّ الْحَرَفَيْنِ مِنْ مَخْرَجِينَ مَتَقَارِبِينَ ، فَمَخْرَجُ الْكَافِ مَسْنِ الْحَنْكِ الطَّرِيٍّ أَوْ الْحَنْكِ اللَّيْنِ Velar ، وَمَخْرَجُ الْقَافِ مِنَ اللَّهْسَاءِ

(١) اللسان ج ٢ ص ٢٠٦ .

أي هو موت لهوى uvular نسبة الى اللهاة وهو الجسسزء
المغير اللين الذي يتدلي من الحافة الخلفية للحنك اللين ، أي هسو
موت خلفي طبقي postvelar^(١) .

ويدل على ذلك أيضا أن ابن سيده ذكر تحت عنوان القسسزرب
الفعل قَرَّبَ قُرْبًا وَقُرْبَانًا ، وذكر معه أيضا الفعل كَرَّبَ : كَسَّرَب
الأمر يَكْرُبُ كَرُوبًا أي دنا " .

وهذا يماثل الفعل (حرى) أيضا فالسبب في عدم تفرقه -
كما نظن - أنه مأخوذ من الاسم (حَرِيٌّ) . وليس أملا في وضعه .

(1) Fundamental Problems of Phonetics; by J.c; catford, p.143
Indian University Press 1982.

وانظر أيضا
A Dictionary of Theoretical Linguistics, by M.El Khuli,
p. 250 & 222 Librairie du Liban 1982.

(٢) المخمس لابن سيده ، ج ١٢ ص ٦٠ ط بولاق ١٣١٩ هـ .

- ٥١ -

الفصل الرابع

المسائل التشريعية

أفعال الشروع

ومن الأفعال الناسخة غير المنصرفة أيضا أفعال الشروع ،
ونلاحظ أنها كثيرة ، والمستعمل منها قليل ، فهي شرع وأنشأ
وظيق وأخذ وعلق وهب وجعل وهلهل . ومن النحاة من زاد عليها
قام وقعد ، وجميع هذه الأفعال غير متصرفة ، فهي ملازمة لصورة
الماضي ، وذلك إذا استعملناها للشروع ، أما إذا استعملت لغير
الشروع فهي متصرفة .

وهي - لغير الشروع - لها معانٍ متعددة ، مما يجعلنا نقول
إنها استعملت للشروع نقلا وليس ارتجالا . وهذا القول ليس يذمما ،
فالنقل والارتجال متعلقان في ظاهرتين لغويتين أخريتين :

الأولى : العَلَمُ ، فهناك العلم المرتجل ، أي الذي وضع أملا ،
وفي أول أمره علما ، ولم يتسبق له أن استعمل استعمالا آخر غير
العلمية مثل عثمان وسعاد وغطسان . وهناك العلم المنقول عن شيء
سبق استعماله فيه قبل العلمية ، وذلك المنقول عنه قد يكون مصدرا
مثل (فعل) أو اسم عين مثل (أسد)

(١) همع الهوامع ج١ ص ١٢٨ .

(٢) السابق ج١ ص ١٢٩ وقد نقل السيوطي عن بعض النحاة (حكاياتهم)
من استعمال صور أخرى لهذه الأفعال كاستعمال المضارع من
(طلق) ومن (جعل) ، وهي نقول لا يُعتدُّ بها لعدم اقترانها
بشواهد . وانظر شرح ابن عقيل ج١ ص ٣٤١ .

(٣) انظر شرح الاشموني ج١ ص ١٢٧ وشرح التصريح على التوفيق ج١
ص ١١٥ وهمع الهوامع ج١ ص ٧١ .

ثانيتها : أسماء الافعال ، فمنها المرتجلة مثل أميستن
وهيهات وشتان ، ومنها المنقولة عن أحرف الجر مثل إليك وعليك أو
من الظروف نحو أمامك وبعدهك .^(١)

هذان هما النقل والارتجال في العلم وفي أسماء الأفعال
فماذا عنهما في هذه الأفعال ؟ إن لكل فعل من هذه الأفعال
استعمالات كثيرة تدل على أنه قد وقع أصلاً لها ، ثم إنّه قد نُقل
بعد ذلك لكي يُستعمل للشروع . يدل على ذلك أن شواهد استعمال
هذه الأفعال للشروع نادرة ، بل إنّها معدومة بالنسبة لبعضها
بعكس الشواهد التي تدل على معانٍ أخرى .

فالفعل (جعل) مثلاً يَدْخُلُهُ النُّحَاةُ في باب (ظن وأخواتها) التي
تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، فهو من أفعال التلويح
سواء أكانت تدل على اليقين والقطع أم تدل على الرجحان ، كقوله
تعالى : " وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا " وهو أيضاً
من أفعال التحويل أو التصيير كقوله تعالى : " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً " ، هذا إلى استعماله فعلاً بمعنى أوجد
أو خلق كقوله تعالى " تبارك الذي جعل في السماء بروجا " .^(٢)

وقد جاء له الزركشي بسبعة معانٍ هي :

(١) همع الهوامع ج٢ ص ١٠٥ ، ولم نتعرض لها تبيين الظاهرتين (العلم
وأسماء الأفعال) بالتفصيل لأنهما ليستا موضوع بحثنا ،
وكل ما نريده أن نستدل بهما على القول بأن أفعال الشروع
منقولة .

(٢) آية ١٩ من سورة الزخرف .

(٣) آية ٢٢ من سورة البقرة .

(٤) آية ٦١ من سورة الفرقان .

- ١ - بمعنى (سمى) كقوله تعالى "الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ" ^(١) .
- ٢ - بمعنى الخلق والاختراع كقوله تعالى: "وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ" ^(٢) .
- ٣ - "المقاربة" ولم يأت الزركشي بشاهد بل قال " نحو جعل - يفعل كذا " .
- ٤ - بمعنى النقل من حال إلى حال ، وللتعريف كقوله تعالى: " جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُؤُلَاً " ^(٤) ، " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا " ^(٥) .
- ٥ - بمعنى الاعتقاد كقوله تعالى " وجعلوا لله شركاء الجن " ^(٦) .
- ٦ - بمعنى الحكم بالشئ على الشئ، يكون في الحق والباطل فالحق كقوله :
" إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ " ^(٧) والباطل كقوله : " وجعلوا لله يمًا ذرآ من الحرث " ^(٨) .

-
- (١) آية ٩١ من سورة الحجر .
 - (٢) الآية الأولى من سورة الأنعام .
 - (٣) يقدم بالمقاربة (الشرع) ، لأن من النحاة من يفتح المقاربة والرجاء والشرع تحت عنوان واحد وهو (المقاربة) .
 - (٤) آية ١ من سورة فاطر .
 - (٥) آية ١٩ من سورة نوح .
 - (٦) آية ١٠٠ من سورة الأنعام .
 - (٧) آية ٧ من سورة القصص .
 - (٨) آية ١٣٦ من سورة الأنعام .

٧ - بمعنى (ألقى) كقوله تعالى " ويجعل الخبيث يحفه على مني ^(١) يعني " وكقوله تعالى : " وألقى فيها روايت ^(٢) " ، أي ألقى
بدليل قوله في الآية الأخرى التي عتلَّ فيها المراد بخلق
الجبال وإبان إنعائه فقال " وألقى في الأرض روايتي أن ^(٣) ، ^(٤)
تمتد بكم .

فإذا ما انتقلنا إلى استعمال هذا الفعل للشروع وجدنا
مقصورا على الماضي ليس غير ، ووجدناه أيضا - وهذا ما يدعى
للمجب - لا شاهد له إلا ما ذكره ابن هشام في الثدور وفي أوضح
المسالك وكذلك الأشموني في شرحه على الألفية ^(٥) .

وَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا قَعْتُ يُثَلِّفُنِي

ثوبي بانهن نهن الشارب السكير ^(٦)

وكذلك ما ذكره الشيخ محمد محيي الدين في تحليفه على

شرح الأشموني :

وَلَدَ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَةٌ مَرَّتْ

ببناي دارك أدلؤفا بالقرام ^(٧)

(١) آية ٢٧ من سورة الأنفال .

(٢) آية ٣ من سورة الرعد .

(٣) آية ١٥ من سورة النحل .

(٤) البرهان في علوم القرآن صفحات ١٢٩ - ١٣٤ بتصريف . ج ٤ .

(٥) أوضح المسالك ، الشاهد رقم ١٢٠ ص ٤٨ تحقيق محمد محيي الدين .

ط السعادة ١٩٤٩ وشرح الأشموني ج ١ ص ٢٤٥ مكتبة النهضة
المصرية ١٩٢٢ .

(٦) شرح الأشموني هامش ص ٥١٥ من الجزء الأول .

بالإضافة إلى أن البيت الأول فيه اختلاف في الرواية ، فمن النحاة
من يرويه :

وقد جعلت إذا ما قمت يوجعنسي

ظهري فقامت قيام الشارب السكر

وفيه أيضا اختلاف في نسبته إلى قائله ، فمنهم من ينسبه
إلى أبي حية النمري ومعه بيت آخر ليس غير ، ومنهم ينسبه إلى
عمرو بن أحمز الباهلي ومعه أربعة أبيات آخر^(١) .

هذه الاختلافات تشير الشك في هذا البيت ، وليس معنى ذلك
أننا ننفي استعمال الفعل (جعل) للشروع ، بل نقول إن استعماله
قليل بل نادر .

وقد ذكر ناظم الألفية هذا الفعل وتغيره من أفعال الشروع
دون شاهد قال :

" كأنشأ السائق يحدو وطفيق

كذا جعلت وأخذت وعليق "

ولم يأت ابن عقيل بهذا الشاهد ولا بغيره ، بل قال " وذلك
نحو أنشأ السائق يحدو ، وطفق زيد يدعو ، وجعل يتكلم ، وأخذ
ينظم وعلق يفعل كذا "^(٢) .

(١) الشيخ محمد محيي الدين في تحقيقه شرح الأشموني على الألفية
ص ٥١٢ من الجزء الأول .

(٢) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٢٧ .

وسبويه أيضا لم يأت بشاهدٍ على (جعل) عندما ذكر أنّ خبرها لابد أن يكون جملةً فعليةً دون (أن) . قال " ومثله - أي مثل كاد وكرب ... (جمل يقول) لا تذكر الاسم ههنا ومثله أخذ يقول ..."^(١)

وتد ذكر الزركشي شواهد لكل استعمالات (جعل) عدا استعماله كفعلٍ من أفعال الشروع .^(٢)

أفلا يحق لنا بعد ذلك أن نقول إن استعمال جعل كفعلٍ من أفعال الشروع إنما كان نقلاً وليس ارتجالاً ؛ أي أنّ الشروع لـم يكن أصلاً في استعمالها ، بل نُقلت هي إليه ، يقوي هذا القول أنّ الزركشي يُعدها من أمهات الأحداث فيقول عنها :

" ومن ذلك (جعل) وهي أحد الأفعال المشتركة التي هي أمهات الأحداث وهي فعل وعمل وجعل وطفق وأنشأ وأقبل"^(٣)

وما للنساء في (جعل) نقولُه في (أخذ) فهو كفعلٍ غير متصرفٍ مستعملٍ للشروع - منقولٌ عن الفعل (أخذ) المتصرفِ ذي المعاني العديدة فمن معانيه :

١ - عاقب : كقوله تعالى : " وكذّلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذهُ اليمّ شديدٌ "^(٤)

(١) الكتاب ج ١ ص ٤٧٨ .

(٢) البهرهان في علوم القرآن ج ٤ ص ١٢٨ .

(٣) السابق ج ٤ ص ١٢٨ .

(٤) آية ١٠٢ من سورة هود .

٢ - اعمل : كقوله تعالى " خذوا ما آتيناكم بقوة " (١) .

٣ - وتجيء قبل القسم نحو " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه " (٢) ، (٣) .

ويذكر الزركشي أنها تأتي للمقاربة أيضا ، ولا يذكر شاهداً على ذلك، بل يقول " أخذ يفعل كذا " (٤) (٥) .

وإذا كنا قد تلمسنا شاهداً أو اثنين على الفعل (جعل) فإننا لم نجد شواهداً للفعل (أخذ) كفعلٍ من أفعال الشروع، إلا ما أنشده الشيخ محمد محيي الدين :

فأخذت أسأل والرسوم تُجيبني ^(٦) إلا اعتباراً إجابةً وسؤالاً

مع ملاحظة أن الاستعمال الحديث قد هجر كل أفعال الشروع عدا هذا الفعل .

وما قلناه في جعل وأخذ ، نقوله في باقي الأفعال عسداً طلق . ولولا الإطالة لتناولنا باقي الأفعال فعلاً فعلاً وبيننا معانيها ثم نقلها إلى معنى الشروع . على أنه لا بد أن نذكر أن (علق) لها شاهدٌ واحدٌ هو :

أَرَأَيْكَ عَلِقْتَ ظِلْمٌ مِنْ أَجْرِنَا ^(٦) وَظَلَمُ الْجَارِ إِدْلَالُ الْمُجْبِرِ

(١) آية ٦٣ من سورة البقرة .

(٢) آية ١٨٧ من سورة آل عمران .

(٣) البرهان ج ٤ ص ١٦٣ و ١٦٤ بتصريف .

(٤) يلاعد بالمقاربة : الرجاء والشروع والمقاربة كما بينا مسن قبل .

(٥) البرهان ج ٤ ص ١٦٤ . (٦) شرح الأشموني ج ١ ص ٥١٠ .

ومع ذلك فهو مشكوك فيه ، ولم ينسبه أحد إلى قائل معين
وكذلك الفعل (هب) له شاهد واحد ، هو :

هَبَيْتُ النُّومَ القَلْبَ فِي طَاعَةِ الهَوَى * * * فَلَاحَ كَانِي كُنْتُ بِالنُّومِ مَغْرَمًا^(١)

وهذا البيت أيضا لم ينسبه أحد إلى قائل معين .

وتأهّد الفعل (هلهل) كفعل من أفعال الشروع

وَلَيْلُنَا دِيَارَ المَعْتَدِينَ لِهَلْهَلْتِ * * * نَفُوسُهُمْ قَبْلَ الإِمَاتَةِ تَزْهَقُ^(٢)

و(أنشأ) لها شاهد واحد أيضا :

لَمَّا تَبَيَّنَ مَيْلُ الكَاشِحِينَ لَكُم * * * أَنشَأْتُ أُرْبُ عَمَّا كَانَ مَكْتُوبًا^(٣)

كل ذلك يُرينا أن أفعال الشروع هذه لم تكن موضوعة أصلا لهذا الاستعمال ، بل إن لها من المعاني الكثيرة الأخرى المدغمّة بالشواهد ما يقوي الظنّ عندنا أن استعمالها للشروع كان نقسلا وليس أصلا ، ثم إنها عندما استعملت للشروع لم تزل مبهمة واحدة لا تتعداها ، بعد أن كانت متصرفّة في الاستعمالات الأخرى . إن الفعل (علق) مثلا الذي أوردنا له منذ قليل شاهدا واحدا ليس استعماله للشروع - هذا الفعل مع مشتقاته قد شغل من لسان العرب ما يزيد على أربع صفحات تشمل استعمالاته المختلفة

(١) شرح الأشموني . هامش ص ١١١ من الجزء الأول .

(٢) هجع الهوامع ص ١٠٨ ، ص ١٢٨ .

(٣) شرح الأشموني هامش ص ١١١ من الجزء الأول .

وشواهدها . ونحن نوردُ بعضَ هذه الاستعمالاتِ ملخصةً لنثبتَ أنها الأصلُ وأنَّ الشروعَ إنما كان نقلاً بعد ذلك .

عَلِقَ بالشيءِ ، عَلَقًا وَعَلَقًا وَنَشِبَ وهو عالقٌ به ، وَعَلِقَ الصيدُ فسي حبالته أي نشب ، يقال للصائدِ أَعْلَقَتْ فَأَدْرِكُ ، أي علق الصيدُ فسي حبالته ، وَعَلِقَتْ مراسي الأبلِ ، أي اطمانت وقررت عيونها بالمرتفع . وَعَلِقَ قلبُه أي أحبَّ . وتعلق بها . وانه لذو علقٍ بفلانسة ؛ أي ذو شغلٍ بها . والعَلَقُ ما فيه بُلْغَةٌ من الطعام إلى وقت الغسداءِ وَعَلَقَةٌ من طعامهم أي بقيتهُ ومنه ليس المتعلقُ كالمتأنقِ ؛ ليس من عيشه قليلٌ يتعلق به كمن عيشه كثير . والعَلِقُ أكلُ البهائمِ ورقَ الشجر . والعصبي يعلُقُ يمص أصابعه وَعَلَقَتْ أَدَابَتُهَا إِذَا شربت الماءَ .^(١)

فإذا ما أتينا إلى استعماله كفعل من أفعال الشروع لم نجدُ لهذا الاستعمالِ إلا شاهدًا واحدًا غيرَ معروفِ القائل أنشده الأشموني :

أراك علقْتَ تظلم من أجرنا ﴿١﴾ وظلم الجار الدلال المجبوس^(٢)

أما الفعل (طلق) فله ميزةٌ خاصةٌ به ، فقد ورد في القرآن الكريم كفعل من أفعال الشروع دون باقي الأفعال ، وقد ورد مرتين ، وفي كليهما كان بصيغة الماضي لم يتجاوزها -3-

(١) لسان العرب مادة علق ج ١٢ ص ١٣٢ ، بتلخيص .

(٢) الشاهد رقم ٢٤٣ في شرح الأشموني ج ١ ص ٥١٠ .

الأولى في قوله تعالى : " وَطَلِقْنَا يُحْيِيَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ " (١) .

الثانية : في قوله تعالى : " فَطَلِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ " (٢) .

فأما الأولى فواضحٌ فيها أَنَّ طلق من أفعال الشروع وخبره جملة (يُحْيِيَانِ) ، وأما الثانية فخيرٌها مفردٌ وهو (مسحا) . ومنه من النحاة من جعله مصدرًا في موضع الحال أي طفق ماسحًا ، ومنهم من جعل التقديرَ (بمسح مسحا) ، أي أن هذا المصدر مفعول مطلق للفعل محذوف ، بذلك تستقيم الجملة الفعلية المقدره خبرًا لطلق (٣) .

ومعنى (طَلِقَ) في المعجم (لَزِمَ) ، وطلق يفعل كذا أي لزم يفعل كذا . ونلاحظ أن الفعل (لزم) يعطى المعنى نفسه الذي يعطيه طلق . كفعل من أفعال الشروع ، وليس هناك استعمالات أخرى جوهرية للفعل طلق عدا ما ذكره صاحبُ اللسان : طفق بفلان أي ظفرَ به . من أجل هذا نستطيع أن نقول إنَّ (طلق) هي للشروع ارتجالاً وليس نقلًا .

وإذا كانت بهي الأفعال ليست مرتجلةً أملاً للشروع ، بل منقولةً إليه ، فإنَّ هناك شيئاً يستحقُّ الذكرَ ، ذلك أننا نستطيع أن نتلصقَ ببراً لهذا النقل في معاني بعض هذه الأفعال . فالفعل (شرع) بمعنى اتخذ منهاجاً كما في الآيات الكريمة : " شرع لكم

(١) آية ١٢١ من سورة طه وآية ٢٢ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٢٣ من سورة ص .

(٣) إعراب القرآن للكبيري على هامش حاشية الجلالين ج ٤ ص ٢١٤ .

(٤) اللسان مادة طلق ص ٩٥ .

من الدين ما وصى به نوحا^(١) و " أم لهم شركاء شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به الله^(٢) " و " ثم جعلناك على شريعة
من الأمر فاتبعها^(٣) ". ومن هنا يأتى الشروع فى الشيء أى البدء ،
أو اتخاذ المنهج فيه .

ومادة (علق) تدل فى بعض استعمالاتها على البداية أيضا ،
يقول الله سبحانه وتعالى " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ^(٤) ، والعلق
القطعة اليسيرة من الدم الغليظ الذى أصله المنى فينتقل طورا بعد
طوره فيصير دما غليظا متجمدا ، ثم ينتقل طورا آخر فيصير لحمسا
وهو المضة .. " .^(٥) أى أنه بداية الخلق والتكوين والفعل (هب)
فى قولنا (هبث الريح) يدل على أن الريح كانت ساكنة ثم
بدأت الهبوب .

وبعد ، فهل نستطيع أن نقول بعد هذا العرض لمعانى
تلك الأفعال إنَّ استعمالها للشروع كان نقلا وليس ارتجالا أو أصلا ،
وإنها من أجل ذلك لزمّت صيغة واحدة لا تتعداها عندما تستعمل
منقولة .

(١) آية ١٣ من سورة الشورى .

(٢) آية ٢١ من سورة الشورى .

(٣) آية ١٨ من سورة الجاثية .

(٤) آية ٢ من سورة العلق .

(٥) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٥٦٠ .

الفصل الخامس

المسائل الرئيسية

الفصل الرجاء

وهذا قسم آخر من أقسام الأفعال الناسخة تتميز بعند التصرف، ويتكون من الأفعال عسى وجرى واخولق .

أما عسى فأمورها عجيب ، ذلك أنني باطلاعي على هذه المادة في معجم اللغة لم أجد معنى من تلك المعاني يطابق الرجاء أو يدل عليه أو يقاربه أو يشابهه ، ففي اللسان والقاموس المحيط^(١) عسا الشيخ يَعْسُو عَسْوًا وَعَسْوًا وَيُعَسِّبُ عَسْبًا ، عَسَا الشَّيْخُ يَعْسُو عَسْوًا وَعَسْوًا وَيُعَسِّبُ عَسْبًا ، وَقَسَا الشَّيْخُ يَعْسُو عَسْوًا وَعَسْوًا وَيُعَسِّبُ عَسْبًا ، وَقَسَا الشَّيْخُ يَعْسُو عَسْوًا وَعَسْوًا وَيُعَسِّبُ عَسْبًا . وَالْعَسِي النَّخْلُ . وَعَسَى اللَّيْلُ اشْتَدَّتْ ظُلْمَتُهُ .

هذا بالإضافة إلى ذكرهم عسى كفعل من أفعال المقاربة^(٢) فما العلاقة بين تلك المعاني وبين معنى الرجاء في عسى ؟ الواقع أننا أمام أحد احتمالين للإجابة عن هذا السؤال :

الأول : أن نتلصق العلاقة بشيء من التلطف وحسن المنعنة ذلك أن عسا الشيخ وعسى عسى بمعنى كبر ، أي بلغ النهاية ، أو قاربها .

والفعل نفسه عندنا إلى النبات يكون بمعنى غلظ ويبيس أي بلغ النهاية أو قاربها ، وبالنسبة لليل ؛ أي اشتدت الظلمة أي

(١) اللسان ج ١٩ ص ٢٨٢ القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٢) يُطلق القدماء على أفعال المقاربة والرجاء والشروع جميعها : أفعال المقاربة .

بلغ الذروة بعد أن انتهى النهار . فهل معنى هذا أن (عسا) أو (عسى) تعنى بلوغ الغاية أو قربها ؟ ويكون في ذلك شبهة بالرجاء ، وهو أيضا يدل على بلوغ الغاية أو مقاربة بلوغها .

ولو أننا نملك من أدوات البحث ما يمكننا من معرفة الاستعمالات المختلفة لهذا الفعل وتطورها وترتيبها التاريخي أقول ، لو أننا نملك ذلك لقطعنا بصحة هذا الاحتمال ، ولقلنا إن هذه الاستعمالات تعزو إلى الاشتقاق التاريخي لهذه الكلمة من حيث المعنى .

هذا هو الاحتمال الأول ، أما الثاني فأن تكون هذه الكلمة (عسا) أو (عسى) اختصارا لكلمة أكبر كانت تستعمل لتلك المعاني جميعا ومنها الرجاء ، ثم اختصرت أو اختزلت على مر العصور حتى أصبحت على صورتها ، يؤكد ذلك نتيجة بحث اللغويين في تطور بنية الكلمة ، فقد وجدوا أن الاتجاه في تطور البنية للكلمات نحو الاختصار والاختزال ، لا نحو التكثير أو التخم ، أي أنهم شاهدوا أن اللغات في أقدم صورها المعروفة لنا كانت تتفهم كلمات كثيرة الحروف وطويلة البنية متعددة المقاطع ، وأن هذه الكلمات بتوالي العصور قد أصبحت قصيرة البنية قليلة المقاطع ، وقد تم نتيجة الميل العام لدى الإنسان - في كل شعونه الاجتماعية ومنها اللغة - نحو أيسر السيل وبذل أقل مجهود . فيقول جبرسن " ليس هناك أدنى شك في أن الاتجاه العام لجميع اللغات هو نحو تقصير الميغ للكلمات وقد برهن على صحة قولنا ^(١)

(3) Language, its nature development and Origin. P. 330 London 1964.

بمقارنة صيغ الكلمات في اللغات الهندية الأوروبية القديمة
كالمسكريفية واليونانية واللاتينية بنظائرها في اللغات الأوروبية
الحديثة^(١).

إذن فإن الاحتمال الثاني هذا ليس بعيداً ويؤيده بعض أمثلة
أخرى في اللغة فإن (سوف) مثلاً يُقال فيها (سوف) بحذف الوسيط
و (سو) بحذف الأخير و (س) بحذفه وللب الوسيط ياء^(٢) .
وربما كانت (كي) اسماً مختصراً من (كيف)^(٣) .

وبعد أخذنا بواحد من هذين الاحتمالين لكي نعرف أصل
(عس) كعمل من أفعال الرجاء نجد أن هناك كلمات كثيرة مشتقة
من هذا الفعل وتدل على رجاء أيضاً وذلك نحو " المُعَسِّية كَمُجَسِّنَة
وهي المناقبة يُشكَّ أنها كَيْنٌ أولاً والمُعَسَّاةُ الجارية المراهقة التي يظن
من رآها أنها توفات "^(٤) .

(١) من مقال للدكتور إبراهيم أنيس في مجلة مجمع اللغة العربية
بعبنوان : تطور البنية في الكلمة العربية ج ١١ ص ١٦٨ . وقد
راجعت أصل النص الإنجليزي لجيسرسن . وهناك طائفة أخرى من
اللغويين يرون العكس " أي أن الجذر الأصلي لكل الكلمات القديمة
في نشأتها كان أحادي المقطع ، وأنه تطور بتوالي العصور إلى
شكلي المقطع وثلاثي المقطع حتى صارت الكلمات على النحو
المألوف لنا الآن . المقال نفسه ص ١٦٦ وقد أورد السيوطي
أمثلة كثيرة تطبيقاً لهذا الرأي ، فذكر أن الفعل (تق) أميت
والحق بالريامي فأصبح تفتق ، وأميت (شع) وأصبح شعشع ،
وأميت (هد وطه) وأصبح طهطاء ، وأميت (فج) وأصبح فعضع .
المعجم ج ٢ ص ٤٧ .

(٢) المعنى ج ١ ص ١٨٥ .

(٣) المعنى ج ١ ص ٢٤١ .

(٤) اللسان ج ١٩ ص ٢٨٢ .

طائفة يُرَجى لهنَّها ، والفتاة يُرَجى طهرها .

تأتى بعد ذلك الى إسناد الفمائل الى هذا الفعل ، فنجد " أن أهل الحجاز يلزمون (عس) حالتي الإلفراد والتذكير سواء أسندت إلى مؤنث أم إلى مذكري، وسواء أكان ذلك الاسم المتقدم عليها مفرداً أم فثنى أم جمعاً. فيقال زيد عس أن يقوم، والزيدان عس أن يقوموا، والزيدون عس أن يقوموا ، وهند عس أن تقوم والهندان عس أن تقوموا، والهندات عس أن يقمن ، أما بنو تميم فهم يُغيرون (عس) بتغيير الاسم قبلها ، فتونث إن كان مؤنثاً وتثنى إن كان مثنى وتجمع إن كان جمعاً، وتُفرد إن كان مفرداً فيقال مثلاً زيد عس أن يقوم ، والزيدان عسيّاً أن يقوموا والزيدون عسواً أن يقوموا وهند عست أن تقوم والهندان عستا أن تقوموا والهندات عسيّن أن يقمن ، وجاء التنزيل بإفراد عس إلا آيتين أسندت (عس) فيهما إلى ضمير رفع ، لأنه قد فصل بين اسمها وخبرها بجملة طويلة . والآيتان هما " قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ^(١) و " لهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض ^(٢) ، ^(٣)

ونظن أن لغة بنى تميم هي الأقدم ، فيسناد الفعل إلى ضمير يرجع إلى المسند إليه أمر منطقي ويتماشى مع استعمال الأفعسال الأخرى نحو الزيدان ضربا والهندات ضربن ، إلا أن عدم تصرفي هذا الفعل ولزومه صيغة واحدة ، وهي صيغة الماضى ، قد جعله

(١) من الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٢٢ من سورة محمد .

(٣) اللغة والنحو للدكتور حسن عون ص ٢١٦ بتصرف .

عند تطور الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الفعائر ، وكأنسه
لذُ شَبَّ على سورة واحدة - وهي (عس) - لا يتعداها .

وهناك صورةٌ أخرى لهذا التبسيط في الاستعمال خلال التطور
اللغوي تتمثل في لغة أكلوني البراغيث نحو قاما المحمدان وقاموا
المحمدون ، فإنه بتطور الاستعمال أُفرد الفعل المتقدم سواءً أكان
الفاعل مفرداً أم مثنى أم جمعا .

ورس (١) وتعد هذا تطبيقاً لقول اللغويين المحدثين إن عملية
التيسير في فواخر اللغة غير مقصورة على بنى الكلمات بسبل
تتناول أمورا كثيرة بعضها يرجع إلى الأصوات وبعضها يرجع إلى
القواعد وطرق الإسناد ، فالأفعال تنتج في تطورها نحو التخلص
من علامات للتعبير عن الشخص (كالتكلم والمخاطبة والمخاطب)
ومن علامات تشير إلى الأفراد والتذكير أو الجمع ومن علامات
التأنيث والتذكير " (٢) .

وتذكرنا (عس) بشيء في التقابل اللغوي له فائدته ، وذلك
أن في اللغة الإنجليزية أفعالاً يطلق عليها Defective verbs
أي الأفعال الناقصة Can, could, shall, should, will, would, may,
might, must, ought to . والفعل الناقص هو فعل لا تتوفر له الصيغة
التي تتوفر لمعظم الأفعال . ويقابل الفعل الناقص الفعل

(١) ألتد الإشارة إلى التخلص من الفعائر عند الإسناد إلى عسى
وكذلك التخلص من الفعائر الموجودة في لغة أكلوني البراغيث
(٢) من مقال الدكتور إبراهيم أنيس " تطور البنية في كلمات
اللغة العربية مجلة المجمع اللغوي ج ١١ ص ١٦٨ .

التَّسَامُ . full verb. (١)

واختلف النحاة في (عس) هل هي فعل أو حرف كما
اختلفوا في (ليس) وقد بينا ذلك من قبل . وما قلناه في (ليس)
تقوله في (عس) مع اختلاف الأسباب . فكلمة ليس - كما بينا -
ليست أصلاً في وضعها ، بل جاءت عن طريق النحت من لا وأيسس
ومن ثمَّ جاء اختلاف النحاة في فعليتها أو حرفيتها . أمّا (عس)
فعدم معرفة أصلها - إلا على واحد من الاحتمالين اللذين ذكرتهما
منذ قبل - وعدم تصرفها آدياً إلى اختلاف النحاة في كونها فعلاً
أو حرفاً . غير أن هناك شيئاً مهماً جداً ، ذلك أن اختلاف النحاة
في (عس) لا محلّ له ولا موضع ، فبعض استعملاتها من واقع
النموس اللغوية الموثوق بها تؤيد أنها فعل ، وبعض استعملاتها
تؤيد أنها حرف . والسبب في ذلك - كما قلت - عدم معرفة
أصلها على وجه اليقين .

فمن استعملها حرفاً ما نصر عليه سيويه " وأما قولهم
(عساك) فالكاف منصوبة . قال الراجز وهو رؤبة :

يَا أَبَتَا عَلِّكَ أَوْ عَسَاكَ

والدليل على أنها منصوبة أنك إذا عنيت نفسك كانت علامتك
في : قال عمران بن حطان :

وَلِي نَفْسٍ أَقُولُ لَهَا إِذَا مَا تَنَارَعَنِي لَعَلِّي أَوْ عَسَانَسِي

4) A dictionary of Theoretical Linguistics. M.El Kholi.
Librairie du Liban. 1982

فلو كانت الكافُ مجرورةً لقال (عساي) ولكنهم جعلوها بمنزلة لعل في هذا الموضع . فهذا الحرفان لهما في الإضمار هذه الحال^(١) .

وقد نصَّ ابنُ هشامٍ على ذلك في المغني حيث قال " بيقسسال: عساي وعسك وعسياه وهو قليل وفيه ثلاثة مذاهب^(٢) " .

ثم يذكرُ المذهبَ الأولَ " أنها أجريت مجرى لعل في نصب الاسم ورفع الخبر ، كما أجريت لعل مجراها في اقتران خبرها بأن^(٣) " ثم يأتى بيت صخر بن جعد :

فَقَلَّتْ عَسَاهَا نَارُ كَأْسٍ وَعَلَّيْهَا * * * تَشْكِي لِمَاتِي نَحْوَهَا لِمُؤَدَّيْهَا
دليلاً على أن خبرها مفردٌ مرفوعٌ وليس جملةً^(٤) .

ومن استعملاتها فعلاً قولُ اللَّهِ سبحانه وتعالى " قَالَ هَلْ مَسَّيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا^(٥) " وقوله سبحانه " قَهْلَ مَسَّيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفِيدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ^(٦) " .
ومن هذا الاستعمال أيضاً مجيء خبرها مفرداً وليس جملةً كما في قولهم " عن القويَّترِ أبوساً " قال سيبويه فهذا مثل من أمثال العرب أجروا فيه (عن) مجرى (كان)^(٧) ، وكذلك قول الراجز :

(١) الكتاب ٢٨٨/١ و ٢٨٩ .

(٢) المغني ص ٢٠٣ .

(٣) المغني ص ٢٠٣ .

(٤) المغني ص ٢٠٤ .

(٥) من الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٦) من الآية ٢٢ من سورة محمد

(٧) الكتاب ٤٧٨/١ .

أكثرته في اللوم ملحاً دائماً • لا تكثرون إنني عسيتُ صائماً^(١)

وقد عفا ابنُ جنى اجراءً (عسى) مجرى (كان) شاداً فـسى
الاستعمال مطرداً في القياس •^(٢) فأما الاطرادُ في القياس فراجع
إلى أن (كان) كذلك وقد قاسوا (عسى) عليها ، وأما الشذوذ
في الاستعمال فلأن ما ورد في كتب النحو واللفظ شاهداً على ذلك
لا يتعدى المثلَّ والبيتَ •

أما ما حكاه شعلب (عسى زيد قائم) وما بناه عليه
أن (عسى) ناقصة ، وأن اسمها ضميرُ الشأن ، والجملة الاسمية
الخبر ، فلا يعتدُّ به ، لأنَّ شعلباً لم يأتِ بشاهد على ذلك ، وأيضاً
مما يقوي عدمَ الاعتدالِ بقول شعلب أن القرآنَ الكريم لم يستعملها
على نمط المشال الذي أتى به شعلب ، بل إنَّ استعمال القرآن لها
جاء على وجهين :^(٤)

أحدهما : أن ترفع اسماً صريحاً ، ويؤتى بعده بخبر ويلزم
كونه مفاعلاً نحو " فعسى الله أن يأتي بالفتح " •^(٥)

(١) المغنى ص ٢٠٣ وينسب إلى روية وانظر خزائن الادب للبغدادي

ج ٤ ص ٧٧ بولاق سنة ١٢٩٩ هـ •

(٢) الخصائص ج ١ ص ٩٦ •

(٣) المغنى ص ٢٠٤ •

(٤) البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن عبد الله الزركشي ج ٤

ص ١٦٠ تحقيق محمد أبو الفضل ، دار احياء الكتب العربية

• ١٩٥٩

(٥) المائدة : ٥٣ •

الثاني : أن يكون المرفوعُ بها (أن والفعل) ومنه قولُسه
تعالى " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " ^(١) .

كان هذا كله عن (عسى) . فماذا عن اظلولق ؟ إن هذا
الفعلُ غيرُ متممٍ ، ليس ذلك بحسب ، بل إنّه أيضاً قليلُ الاستعمالِ
بل شادراً ، حتى ليخيل إلى أنه مصنوع .

وليس ببعيد عنا ما يذكره ابنُ جنى في مواقع كثيرة من
كتبه " كيف تبني من كذا على مثال كذا ؟ " .

" من ذلك بناؤك مثل فعلول من طويت ، فهذا لابد أن يكون
طَوِيَّوِيٌّ ، فإن بدأت بالتغيير من الأول ، فإنك أبدلت الواو الأولى
ياءً لوقوع الياء بعدها ... " ^(٢) .

" ومثال ذلك (أيضاً) قولك في مثال (أي في وزن) أوزة
من أويت : أياً ، وأصلها أوثوية ، فابدأ الهمة التي هي فساء
واجب ... " ^(٣) .

" ومن ذلك قولُه في مثال جعفر من الوار أوي وأصلها... " ^(٤) .

فبناءُ فعل (أو كلمة بوجه تام) على وزن من الأوزان
معروف عند العرب حتى لو كانت هذه الكلمة المستحدثة غير مستعملة
عندهم .

(١) الإسراء ، ٧٩ .

(٢) الخصائص ، ٣ ص ٧ .

(٣) الخصائص ، ٣ ص ٩ .

(٤) الخصائص ، ٣ ص ٩ .

ومن ثمَّ جار لنا أن نقولَ إنَّ الفعلَ (أخلق) بمعنى يخلق، بَنَوُا منه على مثال (العوعل) فكانَ الفعلُ اخلولق، وتذكُّرُ في هذا المددَ الفعلَ (أعشب) وببناءَ العوعل منه فيكونَ امشوش ومثلُـــــــه الغدودن.

والذي يقوى الظنُّ في أن هذا الفعلَ مصنوع شيطان :

الأول : أن كتبَ الصرفَ عندما تتعرض للفعل الثلاثي المزيبـــــــا بثلاثة أحرفٍ على وزن (العوعل) تأتي بمثال عليه الفعل (الغدودن) كالغدودن الثَّعْر إذا طال ، والفعل امشوش كما عشوش المكان إذا كثرت عشبه .^(١)

يقول سيبويه " ولا يفصل بين العينين (يتمد عين الكلمة عندما تتكرر) إلا في هذا الموضع ولا يكون الفصل إلا بواو " ^(٢) ثم يأتي بمثال على ذلك فيقول " وذلك قولك اغدودن ومفـــــــســـــــدودن واحلولى ومحلولى " ^(٣) ولم يأت بماخلولق ، مع أن سيبويهـــــــ معروف باستقصائه الواو .

الثاني : أنني لم أجد - فيما اطلمت عليه من كتب النحوى واللغة - شاهداً على استعمال اخلولق فعلاً من أفعال الرجـــــــســـــــاء ^(٤)

(١) المزهر ج ٢ ص ٤١ وشذا العرف ص ٢٩ وشرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٩٨ والنحو الوافي ج ٤ ص ٥٦٦ .

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٤) انظر مثلاً الكتاب ج ١ ص ٤٧٧ وحاشية الصبان على الأشمونـــــــى ج ١ ص ٢٠٩ والمكتبة التجارية بمصر ومع الهوامع ج ١ ص ١٢٨ وشرح التصريح ج ١ ص ٢٠٦ . وشرح ابن عقيل ج ١ ص ٣٨٤ وشرح الكافية للرفى الاسترأبادي ج ٢ ص ٢٠٤ نظارة المعارف باستنبول .

بل إنَّ المشالَّ الوحيدَ المكرَّرَ في كلِّ ما اطلعت عليه هو (اخلولقت السماءُ أن تمطر) .

ويبدو أنَّ هذا المشالَّ له علاقةٌ بالمشال الذي ورد في لسان العرب (اخلولق السحاب) ، أي استوى وارتقت جوانبه وصار خليقاً بالمطر ، وربما كان هذا المشالُّ مغسراً لاستعماله عند النمساة وليس عند عامة العرب كفعل من أفعال الرجاء ، ذلك أنَّ (اخلولق السحاب) يدلُّ على أنَّ المطرَ آتٍ ، والماءُ كما هو معلوم معلَّقٌ الرجاء عند العرب ومبعثُ الأمل فيهم .

والفعل (حرى) مثل الفعل اخلولق ، غير مستعمل وربما كان ذلك سببَ عدم تعرفه ، فنحن نستعمل أخرى كما نستعمل اخلق وقد ورد الاثنان معا في قول شوقي :

(١)
يا نيلُ أنتَ بطيب ما نَعَتَ الهدى * وبميدحة التوراة أخرى اخلق

وورد (اخلق) أيضا في قوله :

(٢)
أما العتابُ فبالأخبِ اخلق * والحبُّ يعلج بالعتاب ويمسكُ

(١) اللسان ج ١ ص ٨٨ .

(٢) الشوليات ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) الشوليات ج ١ ص ١٦١ .

وقد ورد في اللسان أيضا " الحَرِيُّ : الخليق وتثنى وتُجمع
: تَوْنِكُ فيقالُ حَرِيَّانٌ وحَرِيَّوْنٌ وحَرِيَّانٌ وحَرِيَّاتٌ ، ومن (أحر به)
اشتقَّ التَّحْرِي في الأثياع ونحوها ، وهو طلب ما هو أحسرى
بالاستعمال أي أولى وأجدر وأحقُّ ، ومنه قولُ الله سبحانه
وتعالى : " فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا " (١) . قال ثعلب : حَرِيٌّ
أن ينالَ الخيرَ كُلَّهُ (٢) .

ونقد بحثت عن شاهدٍ يبيد قولَ ثعلب بأن (حري) فعل ماضٍ
غير متصرف ، فلم أجد إلا بيتا منسوبا للأعشى ميمون .

إِنْ يُقَالُ هُنَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ^٣ كَحَرِيٍّ أَنْ يَكُونَ ذَاكَ وَكَانَا
وهذا الشاهد لم يأت به أحدٌ إلا ابنُ هشامٍ (٤) ، ولكنني لم
أجد في ديوان الأعشى . هذا بالإضافة إلى أن محققَ شذور
الذهب الشيخ محمد محيي الدين يقول تعليقا على هذا البيت " وأيضا
بعد تسليم ثبوته لا يكون نصا فيما زعمه المؤلف لجسوان
أن يكون حَرِيٌّ اسما منونا أيضا ، وهو خبر مقدم (وأن يكسونا)
في تأويل معذر وهو مبتدأ مؤخر ... والحاصل أن النفسَ غيَّسَ
نطمئنة إلى الاستدلال بهذا البيت " (٥) .

(١) من الآية ١٤ من سورة الجن .

(٢) اللسان ج ١٠ ص ١٨٧ .

(٣) شذور الذهب ص ٢٦٨ . المطبعة التجارية الكبرى ١٩٠٦ م .

(٤) ديوان الأعشى تحقيق د . محمد حسين ط بيروت ١٩٦٨ .

(٥) شذور الذهب هامش ص ٢٦٩ ونلاحظ أن المرجوم الشيخ محمد
محيي الدين قد التبس عليه الأمر حين جوز أن تكون (حَرِيٌّ)
بالتنوين ذلك أن البيت في هذه الحالة ينكسر عروضيا
ولا يستقيم له البحر الخفيف ، إلا أن كان نطقها عنده حَرِيٌّ .

ونقل صاحب اللسان عن ابن بري أنه أورد شاهداً آخر
على (حرى) قول لبيد :

من حياة قد سئمتا طولها * * * * * وَحَرِيٌّ طَوَّلُ عَيْشٍ أَنْ يُمَسَّلَ

ولكن (حري) هنا لابد أن تكون اسماً مشوشاً (حري) حتى
يستقيم البيت على بحر الرمل . ومما يؤيد هذا أنا وجدنا
البيت في الديوان وقد استبدلت كلمة (جدير) بكلمة (حري) .

من حياة قد سئمتا طولها * * * * * وَجَدِيرٌ طَوَّلُ عَيْشٍ أَنْ يُقَسَّلَ^(١)

وبعد هذا كله عن (اخلولق) و (حري) نضيف أن القرآن
الكريم لم يستعمل هذين الفعلين إطلاقاً ، بالرغم من استعماله
الفعل (عس) كثيراً ، وبالرغم من استعماله مادة (خلق) أكثر ،
وبالرغم من ورود الآية الكريمة " فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً " .^(٢)

كل ذلك يقوي الظن بأن هذين الفعلين نادراً الاستعمال
إن لم يكونا منعدمين تماماً ، وأن (اخلولق) بُنيت من أخلق
كما بُنيت (اعشوشب) من أعشب وأن الفعل (حري) قد نقل عن الاسم
حَرِيٌّ وقد نص صاحب اللسان على أن هذا الاسم (حري) ليس
متصرفاً أيضاً ، فهو ملازم للإفراد والتذكير . قال " فمن قال
حَرِيٌّ " لم يغيره من لفظه فيما زاد عن الواحد وسوى بيِّن
الجنسين " .^(٣)

(١) الديوان بتحقيق الدكتور إحسان عباس ص ١٧٩ ط الكويت .

(٢) الآية ١٤ من سورة الجن .

(٣) اللسان ج ١٨ ص ١٨٧ .

الفصل السادس

~~الفصل السابع~~

تَعَلَّمَ وَجَعَلَ

هذان الفعلان غير متصرفين ، وهما من أفعال القلوب ، فأما الأول فوضعه النحاة مع الأفعال التي تدل على اليقين وهي : علم ورأى ووجد ودرى وأظن وجعل و (تعلم) ، وأما الثاني فوضعه النحاة مع الأفعال التي تدل على الرجحان وهي : ظن ، وخال وحسب وزعم وعد وحجا وجعل و (هَبَّ) ، وإنما سُميت هذه الأفعال بالقلبية ، لأن معانيها قائمة بالقلب^(١) وليس من هذه المعاني الفرح والحسب^(٢) كما ذكر صاحب النحو الوافي^(٣) فيما ذكر من بآلى المعانسي التي سماها الأمور النفسية إذ إن الفرح والحزن وبآلى المشاعر النفسية من يأس وكَمَسٍ ولوعة موطنها الكبدُ في الألب الاعم عند العرب، فمن ذلك قول الشاعر:

وَكَبِدًا قَدْ تَقَطَّعْتَ كَبِيدِي * * * * * وفتتتها لواعج الكَمَسِيدِ^(٤)

وقال :

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مَن يَبِيْعُنِي * * * * * بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِدَاثِ قُرُوحِ
أَبِي النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا * * * * * وَمَنْ يَشْتَرِي دَاعِلِيَةً بِمَحِيحِ^(٥)

(١) شرح التصريح على التوضيح ج ١ ص ٢٤٧ وشرح الأشموني ج ٢ ص ٣ .

(٢) النحو الوافي ج ٢ ص ٤ هـ ٤ .

(٣) مطلع قصيدة لابن عبد ربه الاندلسي في رثاء والده . العكسد الفريد ج ٣ ص ٢٠٨ ط دار الكتب العلمية ببيروت .

(٤) غير معروف القائل وقد غنتها جارية من المدينة . السابق

ج ٧ ص ٧٦ .

وقال تعالى " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ^(١) " من باب طرب...
لهو أكبد إذا وجعه كبده وانتفخت ، فأتى فيه حتى استعمل في
كل تعب ومشقة ، ومنه اشتقت المكابدة ^(٢) ومنها أيضا مكابدة أي
معاناة الأوجاع والأحزان والصبر على الفراء .

ولكن المعاني القائمة بالقلب عند العرب هي المعاني العقلية
التي لا دخل للحن فيها ، كالظن واليقين والرجحان والتفكير
والامتداد ، وكلها مذكورها بالقلب عند العرب فمن ذلك قول اللطيف
سبحانه وتعالى : " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ^(٣) "
وقال تعالى : " ولقد درأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم
قلوب لا يفقهون بها ، ولهم آعين لا يبصرون بها ولهم آذان
لا يسمعون بها " ^(٤) .

وقال تعالى : " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد " ^(٥) .

وقد ظن إلى ذلك المستشرق Martimer Howell عندما
ترجم فعل القلب إلى Mental verb ، أي الفعل العقلي ، إذ إن
الكلمة mental هي من mind ولم يتسبها في

(١) البلد - ٤ .

(٢) الكشاف ج ١ ص ٥٤٥ .

(٣) محمد - ٢٤ .

(٤) الاعراب - ١٧٩ .

(٥) ق - ٣٧ .

(١) الترجمة إلى القلب . (مقدمة الكتاب) .

وبخسنا من كل الأفعال القلبية الفعلان تَعَلَّمَ وَهَسَّبَ . لأنَّ
أفعالَ هذا الباب كَلَّمَا تتصرف إلا (هب) و (تعلم) فانهما جامدان
(يلحق غير متصرفين) ، ولم يُستعمل منهما سوى الأمر ، لا مسألي
ولا مفارع ولا وصف ولا أمر باللام .^(٢)

فإنما الفعلُ الأولُ وهو (تعلم) فإنه غير متصرف ويبقى فليس
صفة الأمر بشرط أن يكون معناه (اعلم) وعلى ذلك فقد ورد قبول
زهير :

قُلْتُ : تَعَلَّمَ أَنْ لِلصَيْدِ لِيَسْتَرَا ^(٣) وَإِلَّا تُفَيِّعَهَا لِيَأْتِكَ قَاتِلُهُ^(٤)

وقد وردَ في كتب النحو كثيرٌ من الشواهد على ذلك .^(٥)
وتعلم هنا بمعنى أعلم ، " فإذا قيل لك تَعَلَّمَ أَنْ الأمر كذا فلا
تقل تَعَلَّمْتُ بل عَلِمْتُ " ^(٦) والفرق بين تَعَلَّمَ وَعَلِمَ أن الأولى بمعنى

(١) النواسخ الفعلية والحرفية ص ١٢٠ وكتاب المستشرق

هو A grammar of Classical Arabic Language. India 1883

(٢) المطالع السعيدة للسيوطي ص ٢٤٢ تحقيق د. طاهر حمودة - الدار
الجامعية اسكندرية ١٩٨٣ .

(٣) شرح ديوان زهير . صنعه ابي العباس بن يحيى ثعلب ص ١٢٤ .
دار الكتب سنة ١٩٤٤ .

(٤) راجع شرح الاشموني باب (ظن واخواتها) .

(٥) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٧٧ .

تكلف العلم ، واللعان تعلّم واعلمٌ يدخلان في داخرة الأمر
العقلية التي تحدثنا عنها منذ قليل ، ويبدو أن بعض القبايلي
العربية كانت تستعمل فعل الأمر تعلم مكان أعلم ولا يزال المعوديين
يقولون : أعلّمك ، ولا يقدمون بها التعليم أو التدريس
مثلا بل يقدمون معنى أعرّفك أو أعلّمك .

وأما الفعل الثاني وهو (هَبَّ) ، فمضمور استعماله على الأمر
أيضا ، على أن يكون معناه (طَنَّ) .

وقال الأصمعي : تقول العرب هبني ذلك ، أي احسنني
واعدونني . وقال : ولا يقال هب في الواجب (الماضي) قد وهبتك ،
كما يقال ذرني ودعني ولا يقال قد وذرتك .

على أنّ ابن الأعرابي قد حكى الماضي من هذا الفعل لقسائل
وهبني الله فداك أي جعلني ، ووهبتُ فداك أي جعلتُ فداك (١)

ولا يعتدُّ بحكاية ابن الأعرابي ، وقد وقع الأشموني هذه
الحكاية شاهداً على أن (وهب) من أفعال التمييز :
جعل واتخذ وتخذ ووهب وترك ... (٢)

أما فعل الأمر (هَبَّ) بمعنى أَمِطٍ أو أَنْعَمٍ فهو متصرف
يستعمل ماضيه ومضارع قال تعالى " وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ " (٣)

وقال " يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ " (٤)
وقال " وَهَبْنَا مِنْكَ رَحْمَةً " (٥)

(١) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٧٧ بتصرف . (٤) الانعام ٨٤ .
(٢) اللسان مادة وهب ج ٢ ص ٢٠٥ . (٥) الثوري ٤٩ .
(٣) شرح الأشموني ج ٢ ص ٢٢ . (٦) آل عمران ٨ .

الفعل السابع

الفعل المسند والمسمى

(١) نِعْمَ وَيُسَسِّسَ

استعمل العرب (ما العله) و (العله به) كصيغتي سسن
للتعجب، واستعملوا للمدح نعم وحبذا، وللذم بكس ولا حبذا وهسهذه
ليبت صيغتا يُقاس عليهما ، كما هو الحال في التعجب ، بسل هسس
كلمات بعينها لا تنفير .

وأول ما يلفت نظر الباحث أن المعاني التي تدور حولها
مادة (نعم) تدل على الجمال والدعة والنعمة والترن، وكل هسهذه
المعاني موافقة لاستعمالها كاسلوب للمدح .

كذلك الحال في (بئس) تدور معانيها حول البئوس والشدة
والفئق والعذاب ، وكلها معاني متوالفة مع الدم .

فأما نِعْمَ فقد ورد في اللسان :

" النعيمُ والشَّعْمُ والنَّعْمَاءُ والنَّعْمَةُ كُنَّ الخُفُّ والدَّعَةُ والعمال،
وهو ضد البأساءِ والبؤسِ . قال تعالى ، ثم لَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَمَّن
النَّعِيمِ " (١) أي تَسْأَلُونَ يوم القيامة عن كل ما استمتعتم به في
الدنيا . وقال جل شأنه " وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ " (٢) ومنها نِعْمَسَةُ
العيش ونِعْمَامُه وجميعها تصامات ونِعَامُ ونِعَام . والنعمة كذلك اليدُ
البيضاءُ المألحةُ ، والعنيفةُ والمنةُ ، وما أُنعم به عليك ، وكَسَلَامُ
نِعْمٌ ونِعَامٌ " (٣)

(١) آية ٨ من سورة التكاثر .

(٢) آية ٢٠ من سورة لقمان .

(٣) اللسان مادة نعم ج ١٦ ص ٥٧ بتعرف وتلخيص .

(١)
فهذه هي المعاني السائدة لمادة (ن ع م) .

وأما (بئس) فقد ورد في اللسان :

" البَئْسُ : العذابُ والشدةُ في الحربِ والبأساءُ اسمُ الحربِ
والمشقةِ والحربِ . قال ابنُ سيده : البَئْسُ الحربُ ثم كَثُرَ حتى قيلَ
لا بأسَ عليك أي لا خوفَ - والبؤسُ الشدةُ والفقرُ . وبئسَ الرجسُ
ببئسَ بؤساً وبأساً إذا افتقرَ واشتدتْ حاجتُه فهو بئسُ أي فقيرٌ
وقوله تعالى : " فَاخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَآءِ " (١) . قال الزجاج
البأساءُ الجوعُ ، والضراءُ في الأموال والأُنسُ ، وبؤسَ بئسُ بأساً
إذا كان شديدَ البأسِ شجاعاً فهو بئسٌ وبئسٌ ، ومنه قولُ
تعالى " سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ " (٢) ، (٣)

فها نحن نرى أن مادة (ن ع م) تدور كلها حول النعيمِ
والدعة وسعة العيش ومادة (ب أ س) تدور حول الشدة والضيقة والفقر
والعذاب ، وفي هذا مبرورٌ كافٍ لأنَّ نقولَ إِنَّ نعم وبئس منقولان من
الفعالين (نَعِمَ) و (بَئَسَ) وهذا النقلُ هو سببُ عدم التصرفِ في
نعم وبئس وبقائهما على صورة واحدة . يقول صاحبُ اللسان فيسبى
نصَّ يدلُّ على ملكته اللغوية الممتازة :

(١) ورد في اللسان من المعاني القليلة الاستعمال لكلمة (نعمة)
أنها تطلقُ أيضاً على الجلدِ التي تغطي الدماغَ . والنعامة من
الفرس دماغُه ، والنعامة باطن القدم ، والنعامة أيضاً جماعسة
قوم، وتطلق على الطريق .

(٢) ٤٢ - الأنعام .

(٣) ١٦ - الفتح .

(٤) اللسان مادة ب أ س ج ٧ ص ٣١٧ .

" . وَيُكْسَى كَلِمَةً دَمًّا وَنَعَمَ كَلِمَةً مَدْحًا نَقُولُ بِشَى الرَّجُلِ زَيْدًا ، وَبِشَى الْمَرْأَةِ هِنْدًا وَهِيَ فِعْلَانٌ مَاضِيَانٌ لَا يَتَصَرَّفَانِ لِأَنَّهُمَا أَزِيدَا عَنْ مَوْضِعَيْهِمَا فَنَعَمُ مَنقُولٌ مِنْ قَوْلِكَ (نَعَمُ فُلَانٌ) إِذَا أَصَابَ نَعْمَةً ، وَبِشَى مَنقُولٌ مِنْ (بِشَى فُلَانٍ) إِذَا آمَأَ نَوْمًا ، فَتُنْقَلَا إِلَى الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فَشَابِهَا الْحُرُوفُ فَلَمْ يَتَصَرَّفَا " (١)

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ خَالِدُ الْأَزْهَرِيُّ أَنَّ عَدَمَ نَصْرِفِهِمَا رَاجِعٌ إِلَى خُرُوجِهِمَا عَنْ طَرِيقِ الْأَفْعَالِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَدَثِ وَالزَّمْسَانِ (٢) ، فَمُدْفُوعٌ بِأَنَّ مِنَ الْأَفْعَالِ النَّاسِخَةَ مَا هُوَ مَتَصَرِّفٌ نَحْوُ (كَانَ وَأَصْبَحَ) ، مَعَ أَنَّهَا خَرَجَتْ عَنْ طَرِيقِ الْأَفْعَالِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَدَثِ وَالزَّمْسَانِ ، إِذْ إِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الزَّمَنِ لَيْسَ غَيْرَ .

وَلَا يَدُ أَنْ يَخْتَلِفَ الْبَصْرِيُّونَ وَالْكُوفِيُّونَ فِي نَعَمَ وَبِشَى : هَسَلُ هُمَا اسْمَانِ أَوْ فِعْلَانِ ، وَيَبْدُو أَنْ مَرَدَّ هَذَا لِاخْتِلَافِهِ هُوَ عَدَمُ التَّصَرُّفِ فَتَدَّ اخْتَلَفُوا - كَمَا رَأَيْنَا مِنْ قَبْلِ - فِي (لَيْسَ) وَفِي (عَسَى) وَقَسَدَ نَحْنُ صَاحِبَا اللِّسَانِ كَمَا رَأَيْنَا مِنْذُ قَلِيلٍ - عَلَى أَنَّهُمَا فِعْلَانِ مَاضِيَانِ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُوَافِقُ الْبَصْرِيِّينَ .

أَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَتَدَّ رَأَوْا أَنَّهُمَا اسْمَانِ مَبْتَدَأَانِ بِدَلِيلِ :

١ - أَنْ حُرْفَ الْجَزْرِ يَدْخُلُ عَلَيْهِمَا ، تَقُولُ مَا زَيْدًا نَعَمَ الرَّجُلُ سَلٌّ وَحِكْمَى بَعْضُ الْفَحَاءِ " نَعَمَ السَّيْرُ عَلَى بِشَى الْعَقِيرِ " وَالسَّالُ أَعْرَابِيٌّ بِشَرَ بَعُولُودَةٍ " وَاللَّهُ مَا هِيَ بِنَعَمِ الْمَوْلُودَةِ نَصْرَتِهَا بِكَاءٍ ، وَبُرْهَا سِرْقَةٌ " .

(١) اللسان ج ٧ ص ٣١٧

(٢) شرح التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٩٢

- ٢ - وأنهما يقبلان النداء في قولهم " يا نعم المولى ونعم السمسار " .
النصير " .
- ٣ - وأنه لا يحسن اقتران الزمان بهما كما في قولهم " نعم الرجل أمي " ولا يحسن قولهم " نعم الرجل فدا " .
- ٤ - وأنهما لا يتصرفان ، والتصرف من خصائص الأفعال . وكما في قولهم :
احتجاج البصريين على أنهما فعلا :
- ١ - بأن الضمير المرفوع يتصل بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف ، فنقول : " نعم رجلين ، ونعموا رجالا " .
- ٢ - وبأنهما راعيا المظهر شأنهما في ذلك شأن الفعل المتصرف ، فنقول نعم الرجل وبش الفلام ، وكذلك راعيا المضمرة ، مثل : نعم رجلا زيد .
- ٣ - وبأن تاء التأنيث الساكنة التي تختص بالفعل الماضي تتصل بهما في قولك (نعمت المرأة) و (بكست الجارية) .
- ٤ - وبأنهما يُبَيِّنَانِ على الفتح ، ولو كانا اسمين لَمَّا كان لبيانهما وجهاً ، إذ لاملة هنا توجب بناها (١) .
- ويستطيع أن تقرأ جدلاً طويلاً في هدم البصريين أدلة الكوفيين وفي رد الكوفيين عليهم ، مما لا علاقة له بإطلاق بواطن اللبس ولا بأصول هاتين الكلمتين (نعم وبش) .
- ومن الأمور التي لا شك فيها أن أهل البصرة وأهل الكوفة

(١) الإنصاف ج١ ص ٦٦ بتصرف وتلخيص وأنظر أيضا مع الهوامع

كانوا يعرفون أن هاتين الكلمتين منقولتان من الفعلين نعم وبئس ،
وأنهما من أجل هذا النقل لزما صورة واحدة لا يتعديانها ،
واكتسبا في الوقت نفسه شيئا من خصائص الاسمية التي تظهر في دلائل
الكوفييين وشيئا من خصائص الفعلية التي تظهر في دلائل البصريين
فهما (أي الكلمتان) ليستا اسمين خالعين ولا فعلين خالعين ،
إلا أن غلبة الفعلية واضحة عليهما . يعرف البصريون ذلك وكذلك
الكوفيون ، ولكنها الخلافات المدرسية ورغبة كل فريق في أن يلبس
شوبا مختلفا عن الآخر وأن يكتسب صفات خاصة به ، كل ذلك على
حساب الدرس اللغوي والدرس النحوي .

ولم يكن الاختلاف مقصورا على اسمية (نعم) و (بئس) أو
فعليتهما ، بل شمل أيضا إعراب الاسم الذي بعدهما عندما يكسبون
نكرة ، ففي نحو (نعم قوما معشره) الإعراب الواضح السهل
لس (قوما) أنه تمييز وبه فسر الضمير المستتر في (نعم) ، والذي
يعربُ فاعلا، ومفسره مبتدأ مؤخر^(١) ، وبه الجملة الفعلية قبله :
(نعم) والضمير المستتر فيها . هذا هو الإعراب السهل الواضح ،
بدليل أن الضمير في (نعم) مستتر وجوبا ، لأن التمييز بعده يفسره
.. ومع ذلك فإن قوما زعموا أن مفسره مرفوع بنعم وهو الفاعل
ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : إن قوما حال ، ويعرفهم إنسه
تمييز ..^(٢)

واختلاف ثالث يتعلق بالجمع بين التمييز والفاعل الظاهر في
(نعم) نحو (نعم الرجل رجلا زيدا) فهناك من أجاره ، وهناك من

(١) أي : مفسره يعرب ...

(٢) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ١٦٢ .

مَنَعَهُ ، وهناك من أتى بأن التمييز إن أضاف لفائدة زيادة على
الفاعل جار الجمع بينهما نحو (نعم الرجل فارساً زيداً) وإلاً فلا ،
نحو (نعم الرجل رجلاً زيداً) ^(١) ... لهذا يمنع وذاك يجيز وثالث
يقتض موقفاً وسطاً ، وكان الأمر تقنيةً شخصيةً ، مع أن ابن عيسى
نفسه يورد هيتين لجريز في هذا الموضع يشهدان على جواز الجمع
بين التمييز والفاعل الظاهر ، فالأول هو /

والتَّغْلِيْبِيُّونَ يَشْنَ الْفَعْلَ فَعَلُهُمْ * * * نَحَلًا وَأَمَّهُمْ زَلَّاءٌ مِثْلَيْسِقٌ ^(٢)

والثاني هو :

شَرَوْهُ مِثْلَ رَادٍ إِبَيْسَةَ رَادًا * * * فَيَنْعَمُ الرَّادُ رَادُ أَبِيكَ رَادًا ^(٣)

وما بعد نعم وبش على ثلاثة أقسام .

- ١ - اسم محلى بالألف واللام ويعرب لفاعلها ثم يأتي المخصوص
بالممدح أو الذم ، ويعرب مبتدأ مؤخرًا والجملة الفعلية
قبله خبره نحو (نعم الرجل زيداً) .
- ٢ - مضان إلى ما فيه ال مثل (نعم عقبسى الكرسي) .

(١) شرح ابن عليل ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) شرح ديوان جرير . الشارح محمد اسماعيل الباوي ص ٢٩٥ .
ط ١ التجارية دون تاريخ .

(٣) شرح ديوان جرير ص ١٢٥ .

٤ - مضمرة مفسر بنكرة بعده منصوبة على التمييز نحو (نعم)
توماً معشره (١) .

والذي نود أن نقوله هنا إن القرآن الكريم قد استعمل
الأساليب الثلاثة ، فالأول كقوله تعالى : " ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ
وَيَبْسُ أَلْمِيزُ " (١) و " مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأُرَائِكِ نِعَمَ الشَّوَابِ
وَحَسَنَاتٍ مَّرْتَفَعًا " (٢) والثاني كقوله تعالى : " لَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ " (٣)
و " لَنِعَمَ عَقَبَى الدَّارِ " (٤) والثالث كقوله تعالى : " يَبْسُ لِلظَّالِمِينَ
بَدَلًا " (٥) ولكن المخصوص بالمدح أو الذم لم يُذكر في القرآن الكريم
إلا في آية واحدة هي " يَبْسُ الْأَسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ " ، فالفسوق
هو المخصوص بالذم ، على أن من المفسرين من أمر به بدلا من (الاسم) ،
لإفادة أنه نسق لشكره ، وعلى هذا فالمخصوص بالذم محذوف تقديره
(هو) " (٦)

(١) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٢ .

(٢) البقرة آية ١٢٦ .

(٣) الكهف آية ٣١ .

(٤) آل عمران آية ١٣٦ .

(٥) الرعد آية ٢٤ .

(٦) الكهف آية ٥٠ .

(٧) الحجرات آية ١١ .

(٨) حاشية الجمل على الجلالين ج٤ ص ١٨٢ المكتبة التجارية

سنة ١٩٣٣ م .

حبدا ولا حبدا

كان هذا عن نَعَمَ وَيَسَّسَ . فماداً من شَبَّهْتَهُمَا حبداً ولا حبداً .
من الواضح أن (حَبْدًا) مكونةٌ من الفعل حَبَّ واسم الإشسارة
(١٣) . وهذا الفعل غير متصرفٍ في هذا الموضع ليس غير ، فـلا
يقال حبداً ويحبداً واحبداً مثلاً ، ولكن جاء متصرفاً في مواضع
أخرى . يقول ابن منظور : حَبَّ إِلَى هَذَا الشَّيْءِ يُحَبُّ . قال ساعدةٌ :
هَجَرَتْ غُفُوبٌ وَحَبٌّ مَن يَتَجَنَّبُ * * * وَعَدَّتْ عَرَادٌ دُونَ وَلِيِّكَ تَشَقُّبٌ^(١)

وكثيرٌ من النحاة على أن (حَبَّ) الأصل فيها حَبَّبَ بضمة
الباء ، ثم سكنت وأدغمت في الثانية^(٢) .

ونلاحظ أن (أَحَبَّ) الماضي الرباعي أكثر استعمالاً من الثلاثي
فيقال أَحَبَّ وَيُحَبُّ وَمُحِبٌّ ، إِلَّا أَنْ أَسْمَ الْمَفْعُولِ مِنَ الثَّلَاثِي (حِسْبِ)
وهو محبوب مستعمل بكثرة أيضاً . وقد ورد في اللسان " وبنائه
للمجهول حَبَّ الشَّيْءِ (بضم الحاء) فهو محبوب . قال سيبويه " فسأدا^(٣)
قلت محزون ومحبوب جاء على غير أحببت . وقد قال بعضهم^(٤)
حَبَّبْتُ فِجَاءً بِهِ عَلَى الْقِيَّاسِ " .^(٥)

(١) اللسان مادة حبب ج١ ص ٢٨١ .

(٢) اللسان مادة حبب ج١ ص ٢٨١ .

(٣) السابق .

(٤) يقدم أنهما ج١ ص ١٠ على الثلاثي حَزِنَ وَحَبَّبَ وليس من الرباعي
أَحَبَّ .

(٥) الكتاب ج٢ ص ٢٣٨ أسفل الصفحة .

والمادة كلها تدل على كل ما هو مشتعبٌ خير لا شر فيه ،
فالإحبابُ في الأهل كالجرانِ في الظيل ، وهو أن يَبْرُكَ فلا يشسور ،
والإحبابُ أيضا البرءُ من كل مرض ، والحبُّ الزرع صغيرا كسان أم
كبيراً واحده حبةٌ . ويقال للبردِ حبُّ الغمامِ وحبُّ المزنِ وحبُّ قر ،
وحبةُ القلبِ شمرةٌ وسويداؤه . وقال الأزهري هي العَلَقَةُ السوداءُ
التي تكون داخلَ القلبِ ، ويقال أصابت فلانةُ حبةً قلبياً فلان إذا
سَعَتَ قلبه حَبًّا ، وحبُّ الفم ما يتجنبُّ من بياضِ الريقِ على
الأسنان ، وحبُّ الماء طرائقه ونفخاته وقلاليقه التي تطفسو
كانها القوارير . والمحبَّةُ والمحبوبة من أسماء مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم (١) .

ومن ثم جاء التركيب (حبذا) للمدح والإطراء ، وكان
متوافقين مع تلك المعاني، و (حبذا) لا يتغير واحد من جزأيهما ،
فالفعل (حب) لا تتغير صورته في هذا التركيب ، كذلك اسمُ الإشارة
ملازمٌ للأفراد والتذكير. وفي ذلك يقول سيدي " وزعم الخليل
أن حبذا بمعنى حب الشيء ، ولكن إذا وحب بمنزلة كلمة واحدة نحو
(لولا) وهو اسم مرفوع ، كما تقول بها ابن عم ، فالعم مجرور، ألا
تري أنك تقول للموئذ حبذا ولا تقول حبة ، لأنه صار مع حب على
ما ذكرت لك وصار المذكر هو اللازم ، لأنه كالمثل " (٢) .

وفي ذلك يقول جريو غير مفرقٍ بين مذكرٍ أو مؤنث ولا بين

مفردٍ أو تشنيةٍ أو جمع :

(١) اللسان مادة حب .

(٢) الكتاب ج١ ص ٣٠٢ .

يَا حَبْدَا جِبِلَّ الرِّبَّانِ مِنْ جَبَلٍ * * * * * وَحَبْدَا سَاكِنُ الرِّبَانِ مَنْ كَانَا
وَحَبْدَا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَّةٍ * * * * * تَاتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّبَانِ أَحْيَانَا (١)

ولس ذلك أيضا تقول كنزة :

آلَا حَبْدَا أَهْلُ الْعَلَا ، فَيَرُّ أَنَّهُ * * * * * إِذَا ذُكِرَتْ مَنِّ فَلَا حَبْدَا هَيَّا (٢)

فهذا معداقٌ لقول سيبويه ان (ذا) تستعمل للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَ سَيَّبِيهِ فِي حَبْدَا غَيْرُ وَاضِحٍ ، هَلْ يَعْنِيهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ كَلِمَتَيْنِ وَهَلْ (ذَا) هِيَ الَّتِي يَقْصِدُهَا عِنْدَمَا قَالَ " وَهُوَ اسْمٌ مَرْفُوعٌ " ؟ أَوْ أَنَّهُ يَقْصِدُ (حَبْدَا) كَلِمَةً . إِنَّمَا بَقَرْنَا لِنَدْلِكَ النَّمْنَ نَمِيلُ إِلَى أَنَّهُ يَقْصِدُ أَنَّ (حَبْدَا) كَلِمَةً بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُوَ يَقْصِدُهَا أَيْضًا عِنْدَمَا قَالَ " وَهُوَ اسْمٌ مَرْفُوعٌ " ثُمَّ إِنَّهُ يَقُولُ " وَزَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّ (حَبْدَا) بِمَعْنَى حَبِّ الشَّيْءِ (أَيْ أَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ) وَلَكِنْ .. " فَاسْتَعْمَلَ سَيَّبِيهِ الْحَرْفَ (لِـ كُنْ) لِيَسْتَدْرِكَ ، أَوْ لِيَجْمَعَ زَعَمَ الْخَلِيلِ ، فَقَدْ أَكْمَلَ بَعْدَ ذَلِكَ قَائِلًا " .. وَلَكِنْ ذَا وَحَبٌّ بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ " (٣)

وبذلك نجد تعارفا مع ما فهمناه من ذلك النعوي وبين ما

-
- (١) شرح ديوان جرير ص ٥٩٦ .
(٢) قائلته كنزة أم شملة المستقرى في مية صاحبة ذي الرمة .
ديوان الحماسة لابي تمام ج ٢ ص ٢٤٩ تحقيق محمد عبده المنعم .
(٣) الكتاب ج ٢ ص ٣٠٢ .

أورد ابن عقيل في شرحه على الغيبة ابن مالك عندما قال :

" واختلف في إعرابها - أي إعراب هذا - فذهب أبو علي
الفارسي في البغداديات وابن برهان وابن خروف - وزعم - أنسنسه
مذهب سيهويه ، وأن من نقل عنه غيره فقد أخطأ عليه واختاره
المصنف إلى أن (حب) فعل ماضٍ و (أد) . فاعله ، وأما المضموم
فجوز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وجوز أن يكون خبراً
لمبتدأ محذوف وتقديره (هو زيد) أي الممدوح أو المذموم زيد ،
واختاره المصنف " (١)

(٢)

وعلى أية حال فللنحاة في إعراب مثل (هذا زيد) وجوه :

- ١ - حب فعل وذا فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر مقدم (الزيد)
الذي هو مبتدأ .
- ٢ - حب فعل وذا فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر، وزيد
خبر لمبتدأ محذوف أي (هو زيد) .
- ٣ - (هذا) اسم وهو مبتدأ و (زيد) خبر .
- ٤ - (هذا) اسم وهو خبر مقدم و (زيد) مبتدأ مؤخر .
- ٥ - (هذا) كأنها فعلٌ وزيد فاعل. وهذا أفعال الوجوه .
- ٦ - حب فعل وذا فاعل وزيد بدل منها .

(١) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٠ .

(٢) انظر مع الهوامع ج٢ ص ٨٨ الكتاب ج١ ص ٣٠٢ ، شرح التمرح

ج٢ ص ١٠٠ ، المفتى ص ٧٢٥ ، شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٧٠ .

٧ - حب فعل إذا فاعل وزيد انطق ببيان .

والذي نظنه صحيحاً ما آره سيبويه أو ما فهمناه من نـسـس سيبويه أنها كلمة واحدة ، وهي اسم في محل رفع بالابتداء ، والذي يتقوى هذا الظن :

١ - أن الكلمتين (حب وذا) جاتتا متملتين في الكتابة وكسبان في الإمكان أن يفصل بينهما هكذا حب ذا .

٢ - أن هذا التعليل يتوافق مع كون الفعل (حب) غير متصرف في هذا الموضع ليس غير ، ومع كون (ذا) لا يتغير بتغير مسابعد تانيشاً أو تشنيةً أو جمعاً .

واختلف في النكرة الواقعة بعد المخصوص بالمدح ، فقليل إنها تمييز ، وقليل إنها حال ، على أن هناك من النحاة من وضوح تعريفها ضابطاً لكل من الإعرابين ، فإن كانت النكرة مشتقة فهي حال نحو (حبذا زيداً ركباً) ، وإن كانت جامدة فهي تمييز نحو (حبذا الصبر شيماً) وهي في هذه الحالة تقبل دخول (من) عليها فنقول (حبذا الصبر من شيمه) (١) .

ولقد وردت المادة (حبب) في القرآن الكريم معاملة فـسـ أشكال متعددة :

١ - حبب : ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم
٧ / الحجرات

(١) جمع الهوامع ج٢ ص ٨٨ و ٨٩ .

(٢) الهمع ج٢ ص ٨٩ .

- ٢ - أَحَبَبْتُ : إِنَّكَ لَا تُهْدِي مَنْ أَحَبَبْتَ .
٥٦ / القصص
- ٣ - أَحَبَّ : قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا آتَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْإِلَهِينَ
٧٦ / الأنعام
- ٣ - يَحِبُّ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠ / البقرة
- ٥ - يُحِبُّكُمْ : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ
٣١ / آل عمران
- ٦ - اسْتَحَبُوا : لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَأَخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبْتُمْ
الكفرَ على الإيمان ٢٣ / التوبة
- ٧ - يَسْتَحِبُّونَ:الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة .
٣ / إبراهيم
- ٨ - يَهَبُ : وَمَنِ النَّاسُ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كحب الله . ١٦٥ / البقرة
- ٩ - أَحَبَّ : قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ ٢٤ / التوبة
- ١٠ - أَحْبَابُهُ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّمَارِيطُ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ
١٨ / المائدة
- ١١ - مَحَبَّةٌ : وَالْقِيَّتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مَنِ وَلْتَمَنَعْ عَلَى عَيْنَيْهِ .
٣٩ / طه
- ١٢ - حَبٌّ : إِنْ اللَّهُ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى .
٩٥ / الأنعام

١٣ ... حبة : مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ . ٢٦٦ / البقرة

القرآن إذا لم يستعمل حبدا ، فإذا أضفنا إلى ذلك نتيجة
بحسبنا في المعلقات السبع ^(١) وعرفنا أن أصحاب المعلقات لم يستعملوا
(حبدا) استطعنا القول بأن حبدا ولا حبدا لم يستعملوا حتى العصر
الإسلامي مروراً بالعصر الجاهلي ، أو على الأقل كان استعمالهما
نادرا ، وربما كانت هناك نصوص لم نقرأها استعملت فيها حبدا
أو لاحبدا . ونستطيع القول أيضا بأن كلاً من الفعل نَعَمَ والفعل
يَقْبِضُ أقدم في الاستعمال من حبدا ولا حبدا

يبقى بعد ذلك من أساليب المدح والذم التي تستعمل فيها
الأفعال غير المتصرفة أسلوبان : الأول ببناء الفعل الماضي على
فعل الثاني كلمة ساء .

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني صبيح سنة ١٩٦٨ وشرح القمصان
السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري تحقيق الأستاذ عيسى
السلام هارون . دار المعارف سنة ١٩٨٠ .

١ - فَعَّلَ

فاما الأول وهو بناء الماضي على فَعَّلَ فنلاحظ أن الفعَّلَ
الماضي لا يجرأ أبداً على هذه الصورة ويكون متمرفاً إلا للدلالة
على فريزة أو طبيعة أو ما أشبه ذلك نحو جَدَرَ لئلا بالأمر وَخَطَرَ
قَدَّرَهُ^(١) . وهناك صيغتان أخريان له : الأولى فَعَّلَ بفتح العين
كَفَّرَبَ والثانية فَعَّلَ بكسرها كَشْرَبَ ، غير أن هاتين الصيغتين
إذا حولتا إلى (فَعَّلَ) بضم العين كانتا للمدح أو الذم نحو " قَضَوُ
الرجل وَعَلَّمَ - بضم الصاد واللام - بمعنى ما أقضاه وما أعطته^(٢) " .
ويبدو أن هذا البناء هو الذي جعل الفعلَ لغير متمرفٍ إذ إنه ليس
صيغته الأصلية يتصرف ، فالفعلان (كبر) و(حسن) مثلا متمرفان ولكنهما إذا بنيما
على صيغة (فَعَّلَ) منعا من التصرف وخصما معنويا للمدح أو الذم ،
فمن ذلك قوله تعالى " نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ لِرَتَابِهَا " و " كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ " .^(٤)

ومن النحاة من ألحق هذه الصيغة بنعم وبش كصاحب الألفية
حيث يقول :

وَاجْمَلُ كِبِشٍ سَاءٌ وَاجْمَلُ لَعْسَلًا * * * من ذي ثلاثة كِنَعَمَ مُجَبَّلًا^(٥)

(١) شرح الكافية ج٢ ص ٣٠٨ وانظر أيضا تكملة في تصريف
الأفعال حررها الشيخ محيي الدين بعد تحقيقه شرح ابن عقيل
ج٢ ص ٥٩٩ .

(٢) شرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٥٩ (تكملة الشيخ محيي الدين) .

(٣) الكهف آية ٣١ .

(٤) الكهف آية ٥ .

(٥) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٨ .

وَتَبِعَهُ فِي ذَلِكَ شَارِحُ الْأَلْفِيدِ ابْنُ عَقِيلٍ فِي قَوْلِهِ " وَأَشَارَ
بِقَوْلِهِ " وَاجْعَلْ لَمَلًا " إِلَى أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ ثَلَاثِيٍّ يَجُوزُ أَنْ يُبْنَى مِنْهُ
فِعْلٌ عَلَى فَعَلٍّ بِقَمَدِ الْعَدَجِ أَوْ الدَّمِ .^(١)

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا فِي أَسْلُوبِ التَّعَجُّبِ كصاحب شرح التصريح على
التوضيح حيث يقول " وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي التَّعَجُّبِ صِيغَةً ثَالِثَةً وَهِيَ
فَعَلٌّ بِضَمِّ الْعَيْنِ نَحْوَ " كَبُرَتْ كَلِمَةٌ " ، وَكَذَلِكَ ابْنُ جِنِّي السُّدِّي
عَدَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ (فَعَلٌّ) مِنَ الْأَصْلِ لَصِيغَةَ التَّعَجُّبِ (مَا أَفْعَلَهُ) يَقُولُ :

" وَكَذَلِكَ نَعْتَقِدُ نَحْنُ أَيْضًا فِي الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ مِنْهُ فِعْلُ التَّعَجُّبِ
أَنَّهُ قَدْ نَقِلَ مِنْ فَعَلٍّ وَفِعْلٍ إِلَى فَعَلٍّ ، حَتَّى صَارَتْ لَهُ صِيغَةُ التَّمَكُّنِ
وَالْتَقَدُّمِ ، ثُمَّ رُمِيَ مِنْهُ الْفِعْلُ ، فَعَقِيلٌ (مَا أَفْعَلَهُ) نَحْوَ (مَا أَشَعَّرَهُ) ،
إِنَّمَا هُوَ مِنْ شَعَّرَ ، قَدْ حَكَاهَا أَيْضًا أَبُو زَيْدٍ ، وَكَذَلِكَ مَا أَقْتَلَسَهُ
وَمَا أَكْفَرَهُ هُوَ مِنْدَنَا مِنْ قَتَلٌ وَكَفَّرَ تَقْدِيرًا ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ فِي
اللَّفْظِ اسْتِعْمَالًا " .^(٢)

وَقَدْ نَقَلَ شَارِحُ الْكَافِيَةِ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ ابْنِ جِنِّي بِنَحْوِ أَخْبَرُ
وَبَيَّضَ إِلَيْهِ تَعْلِيلًا حَسَنًا حَيْثُ يَقُولُ :

" قِيلَ لَا يُبْنَى فِعْلُ التَّعَجُّبِ إِلَّا مِنَ (فَعَلٍّ) مَضْمُونِ الْعَيْنِ فَسَيُ
أَصْلُ الْوَضْعِ أَوْ مِنَ الْمَنْقُولِ إِلَى (فَعَلٍّ) إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِهِ نَحْوَ (مَا "

(١) السابق ج٢ ص ٢٦٨ .

(٢) شرح التصريح ج٢ ص ٨٩ والاية هي الخامسة من سورة الكهف .

(٣) الخصائص ج٢ ص ٢٢٥ .

أضرب) و (ما أَقْتَلَ) ليدلّ بذلك على أن المتعجب منه صـار ،
كالغريزة ، لأن بابَ فعلٍ موضوعٌ لهذا المعنى " (١) .

وإذا أمعنا النظر في المسألة وجدنا ألا فرقَ بين جعلها
للمدح أو للذم وبين جعلها للتعجب ، إذ إنها تفيّد المدح والتعجب منه
في آنٍ واحدٍ أو تفيّد الذمّ والتعجب منه في الوقت نفسه ، للمبالغة
فيه .

وما بعد (فعل) ينصب على التمييز ، وهناك من يرفعه على
الفاعلية . يدلّ على ذلك ما أورده الطبري في الآية الكريمة " كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ " (٢) قال (كلمة) تنصب على البيان ، أي كَبُرَتْ
تلك الكلمةُ كلمةٌ ، وقرأ الحسنُ ومجاهدٌ ويحيى بن يعمرٍ وابنُ أبي
إسحاقٍ (كلمةً) بالرفع ، أي عظمت كلمةٌ ، يعني قولهم (اتخذ الله
ولداً) ، وعلى هذه القراءة فلا حاجة إلى إضمار (٣) .

وهو في هذا تسابقُ القولِ القراءِ " (وقوله) كبرت كلمة تخرج
من أفواههم) نصبها أصحابُ عبدِ الله ورفعاها الحسنُ وبعضُ أهلِ
المدينة ، فمن نصب أمر في (كبرت) : كبرت تلك الكلمةُ كلمةً ،
ومن رفع لم يفسر شيئاً ، كما تقول عظم قولك وكبر كلامك " . (٤)

(١) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٠٨ .

(٢) الكهف / ٥٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للطبري ج ١٠ ص ٣٠٢ . دار الكتب بمصر
١٩٤٠ م .

(٤) معاني القرآن لأبي زكريا الفراء ج ٢ ص ١٢٤ . تحقيق الأستاذ
محمد علي النجار . دار المصرية للتأليف والترجمة دون تاريخ .

وأما الشانى فهو استعمالُ ساءَ كنعلي ما في غير متصـرف
كأسلوب للدم، إذ إنّه في غير هذا الألبوب متصرف . فتقول " سَاءَ
بِسُوِّهِ سَوْءٌ وَسَوْءٌ وَسَوَاءٌ سَوَاءٌ " . واستاء فلان في الصنيع، ويقال
عندي ساءه ونأه ويسوءه ويؤوه وأسأت الظن ^(١) .

ولقد استعمل القرآن الكريم كثيراً من اشتغاقات هــئذ
المادة قال تعالى :

- " إن احسنتم احسنتم لِأَنلِيكُم وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا " ^(٢)
و " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا مِنْ أَشْيَاءٍ إِن تَبْدَلُكُمْ
تَسُوكُمْ " ^(٣)
و " وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لَلُوطَا سِيسَاءً بِيَهُمْ وَمَهَاقَ بِهِمْ كَذْرَاءً ^(٤)
و " فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفِضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ " ^(٥)
و " ثُمَّ كَانَ عَالِيَةَ الَّذِينَ آسَأُوا السُّؤَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ^(٦)
و " كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سِيئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا " ^(٧)

(١) اللسان مادة سوء .

(٢) الاسراء - ٧ .

(٣) المائدة - ١٠١ .

(٤) العنكبوت - ٢٣ .

(٥) آل عمران - ١٧٤ .

(٦) الروم - ١٠ .

(٧) الاسراء - ٢٨ .

" وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّاءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ " ^(١) .

واستعمل أيضا (ساء) غير المتصرف كثيرا :

قال تعالى :

و " مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ " ^(٢) .

و " قَصَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ ، وَإِنَّهُمْ سَاءٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ^(٣) .

و " وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِذْهُ كَانَ فِاعِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا " ^(٤) .

و " وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَسَاءً مَطَرُ الْمُنذَرِينَ " ^(٥) .

وساء هذه التي لا تتصرف إلا في أسلوب الهم تنبيه في الاستعمال
الفعل المنفي (لا يكون) فهو متصرف في كل أحواله ، إلا أنه
إذا استعمل للاستثناء ظل بالياء على صورة المضارع المنفي بسلا ،
لا يبتغير .

وقد نص كثير من المفسرين والمعربين على عدم تصرفها ،
يقول العكبري في الآية " وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَمَسَاءً
قَرِينًا " ^(٦) أي فساء هو ، والضمير مائد على مسن أو علسي

(١) فاطر - ٤٣ .

(٢) المائدة - ٦٦ .

(٣) التوبة - ٩ .

(٤) الإسراء - ٣٢ .

(٥) الشعراء - ١٧٣ .

(٦) النساء - ٢٨ .

الشيطان ، و(قربنا) تمييز . وساء هنا منقولة إلى باب (نعم) وبئس (لفاعلها) والمخصوص بعدها بالذم مثل فاعل بئس ومخصوصها ،
والنقدير ساء الشيطان^(١) .

ويقول أبو عبيدة في الآية نفسها " ساء قربنا ، أي ساء
الشيطان قربنا ، على هذا نصه " .^(٢)

وقال الطبري " وإنما نَصَبَ القَرِيبَ لَأَنَّ فِي (سَاء) ذِكْرًا
لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا قَالَ جَل شَنَاوَهُ " بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا " وكذلك تفعل
العرب في (سَاء) ونظائرها " .^(٣)

وقد ذكر محققا التفسير أن أبا جعفر لم يبين معناها ، ولم
يذكر أن أصحاب العربية يعدونها فعلا (جامدا) يجري مجرى نعم
وبئس ، وإن كان تفسيره قد تضمن ذلك .^(٤)

على أن القُرْطُبِيَّ قد ساوى ساء ببئس صراحة في تفسيره للآية
الكريمة عندما قال : " ساء قربنا أي ببئس الشيطان قربنا ،
وهو نصب على التمييز " .^(٥)

(١) إملأ ما مَنَّ به الرحمن على هامش شرح الجمل على الجلالين ج ٢
ص ٢٥٥ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سركيس الخانجي ١٩٥٤ .
(٣) الكهف - ٥٢ .

(٤) جامع البيان من تأويل أي القرآن للطبري ج ٨ ص ٢٥٨ تحقيق
محمد شاکر واحمد شاکر - دار المعارف دون تاريخ .

(٥) الأنسب أن يُقال غير متصرف كما بينا في بداية البحث .

(٦) السابق ج ٨ ص ١٢٨ و ١٢٩ (هامش) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ج ٥ ص ١٩٤ دار الكتب
١٩٢٧ .

ولم يَجِءْ في لسان العرب ولا في القاموس المحيط ذكرٌ للفعل
(ساء) غير متصرفٍ ، فقد تناول القاموسان ساءً وتصرفهــــــــــــــــــــا
واستعمالاتها وشاهدت هذه الاستعمالات ولكنهما أهفلا (ساء) فعلاً
غير متصرفٍ .

ونرى أن (ساء) في هذه الآية وما شابهها من آياتٍ أُخسِرَ
وأسالينباً غير متصرفية فلم يرد مثلاً فسوء ما . . . ، بل إنَّ الأسلوبَ
مقصورٌ على الماضي (ساء) ، ويدلُّ على ذلك أيضاً شئٌ أُخسِرُ
واضحٌ وبسيّرٌ وهو اقتراضها بالفاء عندما تقع جواباً للشرط كما
في الآية الكريمة التي نحن بمددها " ومن يكن الشيطان له قريناً
فساء قريناً " ومعروفٌ أن الفاءَ تقترن بجواب الشرط إن كان فصلاً
ماضيّاً غير متصرفٍ (١) .

(١) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٣٧٥ .

الفصل الثامن

مبادئ التعميم

صيفتا التعجب

تَكَادُ تُجْمَعُ الرُّوِيَّاتُ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا مَوْرُخُو النُّحُوِّ عَلَى أَنَّ
ابْنَةَ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ قَالَتْ لَهُ : مَا أَحْسَنُ السَّمَاءِ (بضم النون) ،
فَقَالَ : أَيُّ بَنِيَةِ نَجُومِهَا . فَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أَرِدْ أَيَّ شَيْءٍ مِنْهَا
أَحْسَنَ ، وَإِنَّمَا تَعَجَّبْتَ مِنْ حَسَنِهَا ، فَقَالَ : إِذَنْ فَقُولِي مَا
أَحْسَنَ السَّمَاءِ (بفتح النون) فحينئذٍ وضع كتاباً .^(١)

وَقِيلَ إِنَّ ابْنَةَ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَتْ لَهُ : يَا أَبَتِي مَا أَشَدُّ الْحَرَّ
(بضم الدال) ، فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ ، فَقَالَ لَهَا : إِذَا كَانَتْ
الصَّقْعَاءُ مِنْ لَوْنِكَ ، وَالرَّمْضَاءُ مِنْ تَحْتِكَ ، فَقَالَتْ : إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنَّ الْحَرَّ
شَدِيدٌ . فَقَالَ لَهَا : فَقُولِي إِذَنْ مَا أَشَدُّ الْحَرَّ (بفتح السدال)
" وَالْمَقْعَاءُ الشَّمْسُ " .^(٢)

فَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ وِلَاةَ أَبِي الْأَسْوَدِ كَانَتْ سَنَةَ تَمَعٍ وَسَتِينَ مِنْ
الهِجْرَةِ ، أَدْرَكْنَا أَنَّ أَسْلُوبِي التَّعْجِبِ أَسْلُوبَانِ قَدِيمَانِ ، وَأَنَّهُمَا
كَانَا مَحَلَّ دِرَاسَةِ الْقَدَمَاءِ مِنْذُ نَشْأَةِ النُّحُوِّ وَوُجِعَ تَوَاعِيدهُ .

وَلِلتَّعْجِبِ صَيِّفَتَانِ : مَا أَلْعَلَّهُ وَأَلْعَلَّ بِهِ ، وَهَاتَانِ الصَّيِّفَتَانِ
هُمَا الْمَشْهُورَتَانِ اللَّتَانِ يَأْتِي ذِكْرُهُمَا فِي بَابِ التَّعْجِبِ فِي كِتَابِ النُّحُوِّ ،
غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ صَيِّفًا أُخْرَى سَمَاعِيَّةً وَتِيَّاسِيَّةً ، فَمِنْ الْأُولَى (لِلدَّرَةِ فَارِسًا)

(١) أنباء الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين القلطي
تحقيق محمد أبي الطفل إبراهيم ج١ ص ١٥ دار الكتب المصرية
سنة ١٩٥٠ م ونزهة الألباء ص ١٢ .

(٢) أنباء الرواة ج١ ص ١٥ .

و (سبحانَ اللَّهِ) و (اللَّهُ أَنتَ) و (بِإِلَهِهِ) و (اللَّهُ) ، وقوله تعالى
" كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ " ^(١) . وقوله تعالى : " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ " ^(٢) وقوله
تعالى : " الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ " ^(٣) . وأنشد سيبويه :

لِلَّهِ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ ذُو حَيْدٍ بِمُشْفِرٍ بِهِ الظِّئَانُ وَالْأَسَى ^(٤)

ونجد معنى التعجب موجوداً في قولنا " جَلَّ اللَّهُ وَعَزَّ اللَّهُ
على معنى ما أجل الله وما أعزه، لا على الخبر بأنه صار حليلاً
ولا بأنه صار عزيزاً، وهكذا عظم شأنك ، وعلت منزلتك إذا لم ترد
الخبر " ^(٥) .

والشأنية بناءً الثلاثي على (فعل) بفهم العين للمدح أو السدح
وفي الوقت نفسه للتعجب ^(٦) ومن ذلك قولُ اللَّهِ سبحانه وتعالى
" كَبُرَتْ كَلِمَةً... " ^(٧) " وَكَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ " ^(٨) .

-
- (١) البقرة آية ٢٨ .
 - (٢) النبا آية ١ .
 - (٣) الحاقة آية ٢ .
 - (٤) الكتاب ج ٢ ص ١٤٤ .
 - (٥) الأشباه والنظائر للسيوطي ج ٢ ص ١٤٤ ط حيدر آباد سنة ١٣٥٩هـ .
 - (٦) انظر مثلاً شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٦٨ وجمع الهوامع ج ٢ ص ٩٢
وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ج ٢ ص ٨٤ و ٨٤ .
 - (٧) الكهف آية ٥ .
 - (٨) المص آية ٢ وقد بينا وزن (فعل) في الفصل السابق .

وأجار الكوفيون استعمال (أفعل) دون (ما) فيقولون
(أعنت رجلاً) و (أكرمت رجلاً) بمعنى (ما أحسك) و (وما أكرمك) .^(١)

وللنحاة رأى حسن في تعريف التعجب من الماحية النفسية ،
فهم يرون " أن التعجب استعظامٌ زيادةً في وصف الفاعل ، خفي
سببها وخرج بها المتعجب منه عن نظائره أو قل نظيره " .^(٢)

فإذا قلنا " ما أجمل السماء " كان قولنا تعجباً من الفاعل
الذي جعل السماء على هذه الصورة من الجمال .

ويرى بعضهم بأنه انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر
خفي سببه ، ولذا يقال إذا ظهر السبب بطل التعجب .^(٣)

ويترتب على ذلك شيكان :

الأول خفاء أمر الفاعل بالنسبة للمتعجب (بكسر الجيم)
فكيف تفسر - على ذلك - قوله سبحانه وتعالى : " لما أمبرهـم
على النار " .^(٤)

يقول النحاة في الرد على ذلك " ولا يطلق على الله أنسه
متعجباً ، إذ لا يخفى عليه شيء . وما وقع معاً ظاهره ذلك فليس
القرآن لمصروف إلى المخاطب أي أن حالهم في ذلك اليوم ينبغي لك
أبها المخاطب أن تتعجب منها " .^(٥)

(١) شرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ٨٩ .

(٢) شرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ٨٦ .

(٣) السابق ج٢ ص ٨٦ .

(٤) المقرة آية ١٧٥ .

(٥) شرح التصريح ج٢ ص ٨٧ .

الثاني : أن هناك فاعلا جعل الله عظيما في قولنا (مسا
اعظم الله) أي " شيء عظيم جعله عظيما ، وهذا لا يليق بمقام
الله سبحانه وتعالى ، وقد ردّ ابن الأنباري على ذلك بقوله " معنى
قولهم شيء أعظم الله أي وصفه بالعظمة ، كما يقول الرجل إذا
سمع الأذان : كبرت كبيرا وعظمت تعظيما ، أي وصفته بالكبرياء
والعظمة لأميرته كبيرا عظيما " (١) .

وكعادة البصريين والكوفيين لا بد أن يختلفوا في الصيغة
الأولى من التعجب (ما أفعله) هل هي اسم أو فعل ؟

ولقد ذهب الكوفيون إلى أن (ما أفعله) اسم بدليل :

١ - أنه لا يتصرف ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف لأن التصرف من
خصائص الأفعال .

٢ - أنه يدخله التعمير قال الشاعر :

ياما أميلح غزلانا شددن لنا ^(٢) من هاو لياشكن الخال والسمر

٣ - أن عينه تصح في نحو " ما أقومه وما أبيعه " كما
تصح العين في الاسم في " هذا اليوم منك وأبيع منك " .

ولو أنه فعل لوجب أن تَعَلَّ مَيِّنَةٌ بقلبها ألما كما قلبت
من الفعل في نحو قام وباع .

(١) الإنصاف ج١ ص ٩٤ .

(٢) ينسب هذا البيت إلى العرجي أو لكامل المنتفضي ، وهو مسنن
شواهد المغنى ص ٨٩٤ ، ومن شواهد السيوطي في شرحه على
شواهد المغنى ص ٣٢٤ وفي شرح المفصل ج٥ ص ١٣ وفي خزائن
الأدب ج١ ص ٤٥ وفي الإنصاف ج١ ص ٨١ .

وأورد البصريون دلائل فعليته وهي :

١ - دخول نون الوقاية عليه إذا وصل بياء الضمير نحو ما
أحسننى عندك .

٢ - أنه ينصب المعارف والنكرات ، وأفعال إذا كان اسماً
لا ينصب إلا النكرات خاصة على التمييز نحو قولك (زيد أكبر
منك سناً) ولو قلت (زيد أكبر منك السن) لم يَجُزَّ ، ولما
جار ما أكبر السن له دل على أنه فعل .

٣ - أنه مفتوح الآخر ولولا أنه فعل ما في لم يكن لهناؤه على
الفتح وجه ، إذ لو كان اسماً لارتفع لكونه خبراً لـ (ما)
على كلا المذهبين ^(١) .

وتستطيع أن تقرأ في الإنصاف أدلة أخرى كثيرة كما
تستطيع أن تقرأ معارضة لكل دليل من هذه الأدلة .

والذي يدعو إلى العجب أن النحاة الذين أوردوا هذه الدلائل
على اسمية (ما أعله) أو فعليتها هم أنفسهم الذين عللوا عدم
التصرف في (ما أعله وأفعل به) لكونه - أي لكون التعجب -
غير محتاج إلى التصريف للزوم طريقة واحدة ^(٢) .

وعلى ذلك فإن أسلوب التعجب له صيغة خاصة لا هي بالفعل ولا هي
بالاسم ، بل إنها جمعت من خصائص الاثنين ، وتركت أيضاً خصائص
هي من خصائص الاثنين .

(١) الإنصاف ج١ ص ٨١ وما بعدها بتصرف .

(٢) جمع الهوامع ج٢ ص ٩٠ .

والدكتور تمام حسان كان على حق حينما قدّ هذا الأسلوب وما شابهه من أساليب تسمياً خاصاً من أقسام الكلام اسمياً (١)
(٢)

وبغض النظر عن هذا الاصطلاح (الخالفة) فإن ما أفعله وأفعله به لا يدخلان تحت جنس الاسم ولا تحت جنس الفعل ، بل هما كـمـا قلت يجمعان خصائص من خصائص الاثنين ، ويتركان أيضاً خصائص من خصائص الاثنين ، فاستخلصنا أن يكونا قسماً منفرداً بنفسه من أقسام الكلام .

وإذا كان النحاة قد اختلفوا في اسمية ما أفعله أو فعليتها ، فإنهم قد " اجتمعوا على فعلية أفعال به ، لأنه على صيغة لا تكون إلا للفعل ، ولفظه الأمر ومعناه الخير " (٣)

إلا أنهم لا بد أن يصلوا إلى أمل أفعال به ، فيروون أن أمّله فعلٌ ما في صيغته على صيغة أفعال بفتح العين وهمزته للصيغة ضرورة بمعنى صار ذا كذا ، فأمل (أحسن يزيد) أحسن زيداً ، أي صار ذا حسن ... ثم غيرت الصيغة الماضية إلى الصيغة الأمرية ، فعار أحسن

(١) مثل أسلوب المدح والذم .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١١٣ - ١١١ . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣ وانظر أيضاً أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة للدكتور فاضل مصطفى السائق ص ٢٥٣ - ٢٥٥ ط . الخانجي بمصر ١٩٧٧ فقد أورد في هذه المطبوعات معبراً الخواص التي تبرر إفرادها بقسم خاص من أقسام الكلام .

(٣) شرح التصريح ٧٤ ص ٨٨ .

زيد بالرفع ، فقبح إسناد لفظ صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر ، لأن صيغة الأمر لا ترفع الاسم الظاهر ، فريستدت الباء في الفاعل ليصير على صورة المفعول به المجرور بالباء كما سرر بزيد ، ولذلك القبح التزمت زيادتها هونا للفظ عن الاستفاح ، بخلاف زيادة الباء في فاعل الفعل الماضي نحو (كفسي بالله شهيدا) فيجوز تركها ^(١) .

وهذا كله من تمورات النحويين التي لا علاقة لها بالواقع اللغوي ، فالعربي عندما نطق بأسلوب التعجب (أحسن بزيدي) أو عندما قرأ الآية الكريمة (أسمع بهم وأبصر) لم يكن يسدري أن أمله كذا ثم تحول إلى كذا ثم زيدت الباء حتى لا يكون المرفوع بكلمة (أفعل) اسما ظاهرا ...

ولعل في هذا تذكيرا بالنحو التحويلي الذي يفترض بنسبة أساسية يُرَجَّحُ إليها لكل تعبير تنطق به أو نسمعه ^(٢) .

أما عدم التصرف في أسلوب التعجب فقد أبدينا منذ قليل تأييدنا لتعميل النحاة " لكونه غير محتاج إلى التصرف للزوم طريقة واحدة ، إذ معنى التعجب لا يختلف باختلاف الأزمنة " ^(٣) .

(١) يقصد أنها ترفع المضمَر نحو اكتب ، والراء ، والفاعل ليس كليهما ضمير مستتر وجوبا تلقيبها أنت .

(٢) شرح التصريح ج٢ ص ٨ .

(٣) آية ٣٥ من سورة مريم .

(٤) انظر كتابنا " في علم اللغة التقابلي ، دراسة تطبيقية " ص ٣٧ وما بعدها دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٤ .

(٥) الهمع ج٢ ص ٩٠ .

على أن هناك تعليلاً آخر مقبولاً لعدم التصرف فقد قالوا
"إنهم كما لم يفعلوا للتعجب حرفاً يدلُّ عليه جَئُوا له صيغةٌ
لا تختلف" (١).

ويقول الشيخ خالد في هذا المعنى "وعلةٌ جمودهما (٢) ،
تفميئتهما معنى حرف التعجب الذي كان يستحق الرفع ولم يرفع" (٣).

وهو يقصد أن الحرف (على) مثلاً بمعنى الاستعلاء والمصاحبة
والمجاورة والتعليل... والحرف (لى) بمعنى اللطفية والمصاحبة
والاستعلاء... إلى آخر ما ذكر ابن هشام في المغنى في الجوز
الأول (٤) ولكن ليس هناك حرفٌ يدلُّ على ما يدلُّ عليه أسلوباً (ما
أفعل) و (أفعل به) ، لذلك لزماً صيغة واحدة لا يتعديانها ،
كالحرف تماماً .

وقد تكلمنا عن ليس وعسى عن حيث عدم تصرفيهما ، إلا أنهما
يفترقان عن أسلوب التعجب في بعض نقاط أوردها صاحب الإنصاف في
مجال آخر . هذه النقاط هي :

أولاً : أن (ليس) و (عسى) يرلمان الظاهر والمضمـر ،
و (أفعل) في التعجب إنما يرفع المضمـر دون الظاهر .

ثانياً : أن (ليس) و (عسى) وملا بفماثر المتكلميين

(١) الإنصاف ج١ ص ٨٧ .

(٢) يقصد عدم تصرفيهما .

(٣) شرح التصريح ج٢ ص ٨٨ .

(٤) انظر معنى اللبيب حرف (لى) ص ٢٢٣ ، حرف على ص ١٨٩ .

والمخاطبيين والمخاطبين مثل لست ولستم وليسوا وعليت وعليتهم
وعسوا ، و (أفعل) في التعجب ألزم ضمير الغيبة لا غير .

ثالثا : أن ليس وعس لا مصدر لهما من لفظهما ، بخلاف
(أفعل) في التعجب فان له ممدرا من لفظه .

وقد نقلنا هذه النقاط بتصريف عن صاحب الإنصاف ، هي تبدل
على نظر شاقب في استعمال ليس وعس من ناحية واستعمال صيغتي
التعجب من ناحية أخرى ، بالرغم من ورود هذه النقاط في مجال
أقرب إلى السفسطة اللغوية منه إلى الواقع اللغوي ^(١) .

وعدم تصرف ما أفعله وأفعل به له علاقة وثيقة باستعمال
(كان) بين (ما) و (أفعل) ، التي قال عنها النحاة انها زائدة ،
وهي زائدة من ناحية الإعراب ، ولكنها ليست زائدة عن حيث
المعنى ، ذلك أن صيغتي التعجب بعدم تعرفهما ولزومهما صورة
واحدة لا يدلان على زمن معين ، أو قل إن الدلالة فيهما على
الزمن دلالة باهتة غير واضحة مما أدى إلى اختلاف النحاة فيهما ^(٢) .

(١) هذا المجال هو الرد على الكوفيين في استنادهم إلى أن (ما
أفعله) اسم بدليل تمفيرها في بيت الشعر

ياما أميلح غزلاننا ... السابق روايته منذ قليل .

وعندي أن الضرورة الشعرية هي التي ألجأت الشاعر إلى تمفير
أملح حتى يستقيم البيت على البحر البسيط (الإنصاف ١ : ٩١)

(٢) قد يبدو هذا غريبا ، لأن المعنى يراد في الإسميـسـراب ،
ولا ينفصلان ولكن النحاة يقولون عن (كان) في مثل " مسسا
كان أحسن زيدا " كان فعل ماض زائد ، أي انه يدل على
المض ولكن الزيادة من حيث عدم وجود اسم أو خبر له .

(٣) الهمع ج ٢ ص ٩١ .

فمنهم من يرى أن صيغتي التعجب تدلان على الماضي المتمثل بالوصول،
ومنهم من يرى أنهما تدلان على الحال دون المضي ، ومنهم من
يجمع بين الأزمنة الثلاثة فيرى أنهما يدلان على الحال والماضي
والاستقبال . من أجل هذا استعملوا (كان) وكلمات أخرى لتحديد
الزمن . ^(١) فإذا أُريدَ الماضي المنقطع أتى بكان وأمسى ، وإذا أُريدَ
الحال أتى بالان ، وإذا أُريدَ الاستقبال أتى بيبكون ونحوه
من الظروف المستقبلية كقوله تعالى :

" أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْمِرْ يَوْمَ يَأْتُوكُمْ " ^(٢)

لقد وضع النحاة شروطاً للفعل الذي يصاغ على (ما أفعله) أو
(أفعل به) وهي شروط مبنية على استقرار ورود هاتين الصيغتين
في كلام العرب والرجوع إلى الأفعال التي بنيت عليها هاتان
الصيغتان .

فلا بد أن يكون الفعل ثلاثياً متصرفاً تاماً مثبتاً مبنياً
للمعلوم ليس الوصف منه على أفعل ^(٣)

أما كونهما لا يجيئان إلا من الثلاثي ، فهذا وقع من أوضاع
اللغة لا تحليل له إلا بعدم إمكان أن تأتي بصيغتي التعجب مسنن
الرباعي أو الخماسي أو السداسي فلا تقول (ما انطلق أو انطلق
به) لأنَّ كلاً من (ما أفعله) و (أفعل به) إنما يتكون من الفساة

(١) السابق ج٢ ص ٩١ .

(٢) آية ٢٨ من سورة مريم .

(٣) انظر مثلاً شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٥٤ ، وشرح التصريح ج٢ ص ٩١
وإذا العرف ص ٨٠ ، وهي الشروط نفسها لصياغة الفعل على اسم
(أفعل) للتفضيل .

والعين واللام ليس غير ، فلا يجوز ' على صيغتهما إلا ما كان ثلاثياً ،
ولا يجوز التعجب هنا إلا بنبأية ، مثل ما أكثر انطلاق زيد .

ولا بدّ أن يكون هذا الثلاثي متصرفاً حتى يتشكل على هاتين
الصيغتين : ما أفعله ، وأعمل به ، إذ لو كان غير متصرف للزم
سورة واحدة لا يتعداها .

وأما كون هذا الثلاثي المتصرف مبنياً للمعلوم فيرجع إلى
سبب دقيق يذكره السيوطي في الأشباه والنظائر عندما يسأل :
كيف تتعجب من فُرب زيد (بضم الفاد) ، فيجيب : ما أكثر ما فُرب
زيد ، فإذا قيل : ولماذا لم يُتَّعَب من المفعول (وهو زيد) بلا
وسادة ، (ويقصد بالوسادة زيادة كلمة أو أكثر) ، كما جاز
التعجب من الفاعل بلا زيادة في مثل قولنا : قام زيد ؟ كان
الجواب : لأن التعجب يكون الفعل فيه لازماً ، فإذا قيل أخرجهُ إلى
باب التعجب ، جعلنا الفاعل مفعولاً به ، كما تقول قام زيد ،
وما أتوم زيدا . فإذا جئنا إلى ما لم يسم فاعله لم يجوز أن
تتعجب منه حتى نزيد في الكلام ، لأنه لا فاعل فيه ، ولا نستطيع
أن نتعجب من المفعول ؛ لأننا بذلك نجعل المفعول قبل التعجب
مفعولاً بعده ^(١) .

وقد أورد ابن عقيل في شرحه على الفية ابن مالك تعليلاً
آخر لذلك . يقول : " السابع (أي السابع من هذه الشروط) ألا يكون
مبنياً للمفعول نحو (فُرب زيد) بضم الفاد ، فلا تقول ما أفسرَب

(١) في الأشباه والنظائر "لأنه فاعل فيه" والمصحيح ما اثبتناه
وهو الذي يوافق السياق . والظاهر أن (لا) سقطت سهواً عن
الطبع .

(٢) الأشباه والنظائر ج٢ ص ١٢٨ بتلخيص وتصرف .

زيداً " تريد التعجب من قُرْبٍ أَوْلَجَ بِهِ ، لثلاً يلتبس بالتعجب مسن
قُرْبٍ أَوْلَجَهُ هُوَ " (١)

" أما لوُنْهِمُ في التعجب من (جَنَّ زيد) (ما أَجَنَّهُ) فهو محمولٌ
إلى المعنى لاستجاوزا فيه ما استجازوا فيما حُمِلَ عليه ، ألا تسرى
أَن (جَنَّ زيد) فهو مجنونٌ داخلٌ في خير الأوصاف التي لا تَكْـوُن
أعمالاً وإنما تكونُ خصالاً في الموصوفين بغير اختيار مثل كرم فهو
كرم ولو لم فهو لكريم ، خصال لا يفعلها الموصوف . فهكذا جَنَّ زيدٌ
شهو مجنون وإنما هي خصلة في الموصوف لا اختيار له فيها " (٢)

أما عدمُ تعجبهم من الأفعال الدالة على الألوان بلا زيادة
فيقول الخليل معللاً لذلك " لم يقولوا ما أحمر زيدا وما أشبهه ؟
لأنه صار عندهم بمنزلة اليد والرجل ، لأنك لا تقول (ما أبيضداه)
ولا (ما أرجله) وخالف باب الثلاثي لهذه العلة " (٣)

وأما عدم ورود هاتين الصيغتين لما لا يقبل المفاضلة مثل
(مات) و(فنى) ونحوهما ، فراجع إلى عدم وجود مزية فيهما
لشيء على شيء " (٤)

لم يبيح إِلا النفس ، ومن الأمور الواضحة أن الانسان لا يتعجب
من شيء من نفسه لم يحدث .

وصيغة (أعل به) جاءت على صورة الأمر ومقصود بهـــــــــــــــــا

-
- (١) شرح عقيل ج٢ ص ١٥٤ .
 - (٢) الأشباه والنظائر ج٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ .
 - (٣) السابق ج٢ ص ١٤٠ .
 - (٤) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٥٤ .

التعجب . وقد أورد السيوطي في الأشباه والنظائر القاعدة التمسني
تقول :

" الأصل مطابقة المعنى للفظ " وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْكُوفِيُّونَ : إِنْ
معنى أفعل به في التعجب أمرٌ كلفظه . وأما البصريون فقالوا إِنْ
معناه التعجب لا الأمر . وأجابوا عن القاعدة بأن هذا الأصل قد
ترك في مواضع عديدة ، فليكن متروكاً هنا " .

والتمس ابن النحاس مبرراً لترك هذا الأصل فقال : إِنْ اللفظ
إِذَا احتيج في فهم معناه إلى إعمال فكرٍ كان أبلغ وأكدر ممسماً
إِذَا لم يكن كذلك ، لأنَّ النفس حينئذٍ تحتاج في فهم معناه إلى
فكرٍ وتعجب فتكون به أكثرَ كلفاً وضناً مما إِذَا كَمْ تتعجب فليس
تحصيله ، وبإب التعجب موفِّق المبالغة فكان في مخالفة المعنى للفظ
من المبالغة ما لا يحصل باتفاقهما ^(١) .

ونكاد نشكُّ في هذه الرواية التي أوردها السيوطي لما نحسب
أبداً ولا نتوقع من الكوفيين أن يكونوا على هذا النمط من التفكير
الذي يجعلهم يَقْرُونَ أَنَّ صِيغَةَ (أفعل به) مراد بها الأَمْرُ
لا التعجب ، لا سيما أَنَّ قاعدة اتفاق المعنى للفظ متروكة في مواضع
بلاغية كثيرة وأن الحامل أو السبب لترك هذه القاعدة لم يأت بسببه
واحدٌ من البصريين ، بل أتى به " بها " الذين بن النحاس المتوفسي
عام ثمانية وتسعين وستمائة وبعده من نحاة مصر ^(٢) . ثم إننا
نسال هل كان الكسائي والغزالي وشعلبٌ وأبو بكر الأنباري وغيرهم
من أعلام الكوفة جاهلين أنَّ هذه القاعدة قد تُكسر في أحيان كثيرة
لأسباب بلاغية .

(١) الأشباه والنظائر ج ١ ص ٦٣ و ٦٤ بتصريف وتلخيص .

(٢) بشية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٦ ط الخانجي

العمل التاسع

المسائل الاستثنائية

أدوات الاستثناء

سمينا هذا الفصل (أدوات الاستثناء) مع معرفتنا أن كلمة (أدوات) غير دقيقة، وكان يجب أن نقول (أفعال الاستثناء) أو حروفها، لكن الشجاعة على خلاف في ذلك بالنسبة للكلمة (حاشا) كما سبق في هذا الفصل، لذلك أشرنا بالإصلاح (أدوات)، لأنه يستوعب الأفعال والحروف والأسماء أيضا.

والأدوات التي نقتدها وتدخل في نطاق بحثنا هي عداً وخلا وحاشا^(١)، وجميعها تستعمل كأفعال للاستثناء، وهي ليس هذا الاستعمال - ليس غير - تعدُّ أفعالاً غير متصرفية، ولئن نتعرف لقواعد الاستثناء بها تفصيلاً، فهذا ليس موضوع بحثنا، ولكننا قد نتعرف لهذه القواعد عندما يكون لها صلة باستعمال هذه الأدوات كأفعال غير متصرفية أو كحروف، على أنه ينبغي أن نقول إن هناك فعلين آخرين يستعملان للاستثناء، همسا (ليس) و (لا يكون) وقد ذكرناهما في باب (كان وأخوتها) حيث إن هذا الباب هو الأصل في استعمالهما.

فأما الفعل الأول وهو (عدا) فنجد له اشتقاقاً عدة ومعانٍ مختلفة. فالعدوُّ الحضرُ، وعدا الرجلُ والفرس وغيره يعدو عدواً وعدواً وعدواً وتعداً^(٢)، ويقال للخيل المغيرة عادية. قال الله تعالى: "والعاديات ضحا" . ويُعادي الصيد: يلحقه، وتُعادي القوم: تباروا في العدو. وقد عدا فلان عدواً وعدواً وعدوانساً

(١) لا علاقة لبحثنا بغيرها، مثل إلا وسوى وغيره.

(٢) الآية الأولى من سورة العاديات.

وَعَدَاً ، أي ظلم ظلمًا جاوزَ العُدْرَ . والعادي الظالم ، أمليه وسنُّ
تجاوز الحدِّ في الشيء . وَعَدَا الأمرَ يَعُدُّوه ، أي تجاوز الحدَّ فيه
قال تعالى " ومن يتعدَّ حدودَ الله ... " (١) ، أي يتجاوزها
وَتَعَادَى ما بينهم ، أي تَبَاعَدَ . قال الأعشى :

وَتَعَادَى عَنْهُ النَّهَارُ فَمَا تَعَدَّ جُوهٌ إِلَّا عَفَاةً أَوْ لُسُوقًا (٢)

والعدوى اسمٌ من أَعَدَى يُعَدِّي فهو مُعَدِّ ومَعْنَى أَعَدَى جَسَّازٌ
الجرب الذي به إلى غيره . (٣)

فهذه المعاني والاشتقاقات تدلُّ على أن هذا الفعل متصرفٌ كلَّ
التصرفِ ، إلا أنه في أسلوب الاستثناء يبقى في حالة الماضي لا
يتجاوزُه إلى زمنٍ آخرٍ أو إلى صيغةٍ أخرى ويكون فاعله في هذه
الحالة مستتراً كقول الشاعر :

تَمَلُّ النَّدَامَى مَا عَدَايَ فَيَأْتِنِي * بَكَلِّ الَّذِي يَهْوِي نَدِيمًا مَوْلَجٌ (٤)

فـ (عدا) هنا ملازمةٌ لزمنٍ الماضي لا تتجاوزُه إلى زمنٍ
المضارعِ أو إلى صيغةٍ أخرى كاسمِ الفاعلِ مثلاً :

(١) الآية الأولى من سورة الطلاق .

(٢) القصيدة الثانية والثلاثون . تحقيق المرحوم الدكتور محمَّد
حسين وأول البيت في الديوان : ما تعادى عنه

(٣) كل هذه المعاني والاشتقاقات نقلناه من لسان العرب مادة
عدا ج ١٩ ص ٢٥٧ ومن القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٦٢ .

(٤) من شواهد الأشموني على الألفية رقم ٤٦٣ .

ولكن ما العلاقة بين ما تدل عليه (عدا) في أسلوب الاستثناء وما تدل عليه من المعاني التي أوردناها منذ قليل ؟ الجواب بسيط واضح ، فهذه المعاني كلها إنما تدلُّ على البعد أو المجاوزة . والاستثناءُ باستعمال (عدا) يدلُّ على هذا المعنى بعينه . فإِذَا قلت : قام القومُ ما عدا زيداً ، فكانك قلت : قام القومُ مجاوزين زيدا ، أو بعيدين عن زيد . وقد لُظِنَ النحاةُ إلى ذلك عندما أولُّوا (ما) مع الفعل بعدها (عدا) فقالوا : " إن موضع الموصول مع علته نصبٌ : إمَّا على الطرفية على حذف مضاف ، أو على الحالية على التأويل باسم الفاعل فمعنى قاموا ما عدا زيدا : قاموا وقت مجاوزتهم زيدا ، أو مجاوزين زيدا " (١) .

وما قلناه في (عدا) نقوله في (خلا) من حيث إنَّه غير متصرف في أسلوب الاستثناء ليس غير ، وإنَّ معانيه المختلفة لها اتصالٌ بمعنى الاستثناء . فقد جاء في اللسان (٢) " خلا المكان خلوا وخلوا ، وأخلى إذا لم يكن فيه أحدٌ ولا شيء فيه . وخلالك الشيء وأخلى بمعنى فرغ . وفي المثل : وَبِئْسَ لِلْخَلِيٍّ مِنَ الشَّجِيِّ . فالخلى الذي لا همَّ له ، الفارغ . وتخلَّى عن الأمر : تركه ، وامسأرة خلى ، أي لا زوج لها . وخلأ الشيء خلوا أي مضى ، ومنه قولُهم تعالى : " وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ " (٣) أي مضى ، والقسرون الخالية أي الماهية " .

(١) من كلام الشيخ محمد محيي الدين عند تعليقه على شرح الأشموني ٢٠ هامش ص ٤٦٤ .

(٢) مادة خلا ج ١٨ ص ٢٦٠ .

(٣) آية ٢٤ من سورة فاطر .

وهذه المعاني كلها تدلُّ على النهي والسلب والمُفِيّ والفسرّاجِ
والتَّركِ. وكلُّها تتفق مع الاستثناء ، فلي قولنا : جاءوني خلا زيدا ،
أي جاءوني خلا بعضهم زيدا ، أي قرَّغ بعضهم من زيد ، أو جاءوني
تاركين زيدا . وقد قدر ابن هشام مثل ذلك حيث قال :
" فمعنى (قاموا ما خلا زيدا) على الأول ^(١) : قاموا خالين عن
زيد ، وعلى الثاني : قاموا وقت خلوهم عن زيد ^(٢) و ^(٣) فلا فسرق
إذن بين معانيها تلك وبين معناها في الاستثناء إلا أنها فسي
الاستثناء باقية في حالة المفى .

وهاتان الكلمتان (عدا وخلا) تسبقهما (ما) فتشبتان على
الفعلية وقد تحيكان دونهما فتكونان فعليين أو حرفيين " ذلك لأن
(ما) مصدرية ، فدخولها يُعيِّنُ الفعلية " ؛ لأنها لا تدخل إلا على
الإفعال ^(٤) .

ومن استعمال (خلا) كحرف جر قول الشاعر :

خَلا اللُّو لا أَرْجُو سِوَاكَ وَإِنَّمَا + + أَعَدَّ عِيَالِي شَعْبَةً مِنْ عِيَالِكِنَا ^(٥)

- (١) وهو أن يكون مفعلاً ما خلا نصباً على الحال .
- (٢) وهو أن يكون مفعلاً ما خلا نصباً على الظرف لأن ما وصاتهما
خلا تنويان من الوقت .
- (٣) المغنى ص ١٧٩ .
- (٤) من تعليق الشيخ محمد محيي الدين على شرح الأشموني على
الألفية ج ٢ هـ ص ٤٦٣ .
- (٥) السابق ص ١٧٩ .
- (٦) من شواهد الأشموني ج ٢ رقم ٤٦١ ولم ألفه على قائل معين .

وقول الآخر :

أَبَخْنَا حَيْهَمَ قَتَلًا وَأَسْرًا * * * عَدَا الشَّمَطَاءِ وَالظُّفْلِ الْعَفِيرِ

على أَنَّ من النحاة من يرى أن (عدا) تكونُ حرفَ جـ

وإن سُبقت بـ (ما) كما سبق في قول الشاعر :

تَمَلُّ النَّدَامِي مَا عَدَانِي فَيَأْتِنِي * * * بِكَلِّ الَّذِي يَهْوَى نَدِيمِي مَوْلَعُ

وواضح أن (عدا) هنا فعلٌ بدليل اتصاله بنون الوصلية التي

تدخل على الفعل لِتَتَّقِيَهُ الْجُرَّ إِذَا اتَّعَلَّ بِهَا الْعَتَكْلَمُ ، ولسبقها بما المصدرية .

إِلَّا أَنَّ هَوْلَاءِ النُّحَاةَ يَرَوْنَ أَنَّ (ما) في هذا البيت وما جاء

نحوه زائدة ، ودخول النون لا يتعين معه أن تكون الكلمة فعلا ، لأنها تلحق ببعض الحروف ، نحو منى وعننى ^(١) .

وقد ردَّ ابن هشام على رأيهم هذا بقوله : " فإن قالوا

ذلك بالقياس فهاسد ، لأن (ما) لا تزادُ قبل الجوارِ بل بعده نحو

" عمّا قليل ^(٢) " و " فيما رحمة ^(٣) " ، وإن قالوا بالسماع فهو

من الشذوذ بحيث لا يُقاس عليه ^(٤) . هذا إلى أن " إجسراة

(١) شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٥ للمرحوم الشيخ محمد محيي الدين .

(٢) المؤمنون آية ٤٠ .

(٣) آل عمران آية ١٥٩ .

(٤) المغنى ص ١٧٦ .

الكلام على المختلف فيه مع إمكان الجادة لا يجوز^(١) .

وإذا كان الفعلان (عدا) و (خلا) يُسبغان أحيانا ب (ما) وأحيانا أخرى يجيشان متجردين منها ، فإن استعمال (حاشا) جاء دون سبقها ب (ما) ، لذلك عدّها سيبويه حرفاً عندما قال : "وأما (حاشا) فليس باسم^(٢) ، ولكنه حرف يجر ما بعده ، كما تجسس حتى ما بعدها ، وفيه معنى الاستثناء ، وبمض العرب يقول : ~~ما~~ أتاني القوم خلا مبدأله ، فجعلوا خلا بمنزلة حاشا (يقصد بمنزلتها في الجر) ... ألا ترى أنك لو قلت : أتوني ما حاشنا زيدا لم يكن كلاما ... " ^(٣) .

وربما كان قول سيبويه هذا تعبيراً عن الشائع الراجح في (ما حاشا) فهناك شاهد على استعمال ما حاشا وهو :

رأيت الناس ما حاشا قريشاً *^(٤) فإننا نحن أهلهم قعالا

(١) شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٦ للمرحوم الشيخ محمد صبر الدين .

(٢) يقصد أنها لا تؤول مع (ما) قبلها باسم كما هو الحال مسع (خلا) و (عدا) .

(٣) الكتاب ٣٧/١ .

(٤) هذا البيت هو الشاهد رقم ١٧٨ في ابن عليل ورقم ٤٦٦ في الأشموني و ١٩٩ في المغني (حرف الحاء) ، وينسب إلى الأختل ، إلا أنني بحثت في ديوانه "شعر الأختل" تعليق الأب انطوان مالحان اليسوعي المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩١ فوجدت في ١٦٤ بيتين من الوافر ومن الروي نفسه والقافية نفسها ولم أجسّد هذا البيت .

كما أن هناك شاهدين على استعمال (حاشا) فعلا ناصباً
لما بعده فالأول قول الشاعر :

حاشا قريشاً فإنَّ اللهَ فَظَّهَمَ * * * * * على البرية بالإسلام والدين^(١)

وأما الثاني قول الطماح الأسدي :

حاشا أبا ثوبانٍ إنَّ أبا * * * * * ثوبانٍ ليس بيكِّمةٍ قَسِيمِ^(٢)

هذا بالإضافة إلى ما حكاه أبو عثمان العازني عن أبي زيد ،
قال : سمعت أعرابياً يقول : " اللهم اغفر لي ولمن سمع حاشا
الشیطانَ وأبا الأصمِ " .^(٣)

وإذا نظرنا إلى (خلا) و (عدا) و (حاشا) وجدنا أن الفعل
(خلا) لا فرق بين كونه للاستثناء ، وكونه فعلاً متصرفاً ، وذلك من
حيثُ النطقُ أو الكتابةُ ، وكذلك الشأن في الفعل (عدا) .

ولكنَّ الأمرَ يختلفُ في (حاشا) فيوجد فرق بين كونه للاستثناء

-
- (١) الشاهد رقم ٤٦٤ من شرح الأشموني ، وقد نسبه محققه الشيخ
محيي الدين إلى الفرزدق ولم أجده في ديوانه " كتابية السنون
من ص ٨٦٤ . تحقيق عبد الله الصاوي ، التحاريرية الكبرى ١٩٣٦ .
- (٢) المفضليات القصيدة ١٠٩ ص ٣٦٧ . تحقيق أحمد شاکر وهارون .
دار المعارف ١٩٦٤ وقد رواه ابن الأنباري في الإنصاف :
حاشا أبي ثوبانٍ إنَّ به * * * * * ضناً على الملحاة والشتيم
المسألة ٢٨ ص ١٧٩ .
- (٣) شرح الأشموني ج ٢ ص ٤٦٩ وشرح المفصل ج ٢ ص ٨٥ لابن يعيش وقد
أورد (ابن الأصم) بدلا من (أبا الأصم) .

وكونه فعلاً متصرفاً ، فهو في الحالة الثانية يكتب حاشي ومضارعته يحاشي ، وشاعده قول النابغة :

ولا أرى كاعلاً في الناس يشبهه * ولا أحاشي من الأقوام من أحدٍ

وعدم التطابق هذا هو الذي أوجد - في رأيي - شيخين :

الأول : كثرة اللغات في (حاشا) ففي الآية الكريمة " حاشا لله" ^(١) " يُقْرَأُ بِاللَّيْنِ وَهُوَ الْأَمَلُ ، وَيُقْرَأُ بِخَيْرِ الْفَوَاهِي قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ " . وقراءات فرقة (حش الله) على وزن رمي ، وقسراً الحسن (حاشي) بستكون الشين وملا ووقفاً ^(٢) وذكر ابن عقيس أن (حاشا) يقال فيها حاش وحشا . ولا يتأتى ذلك في (عدا) و (خلا) فلم يرد فيهما إلا هذان اللفظان .

الثاني : الاختلاف في كونها فعلاً بالنظر إلى الأصل المشتقة منه أو الماخوذة عنه ^(٤) ، أو حرفياً بجسرها مما بهدنها - كما قال سيبويه - بالنظر إلى أن (حاشا) الاستثنائية كلمة ، وحاشي الفعل المتصرف الذي مضارعته يحاشي

(١) شرح الأشموني الشاهد رقم ٤٦٧ وفي الديوان ص ٢٨ . تحقيق عبد الرحمن سلام . ط المصباح بيروت ١٩٦٩ .

(٢) يوسف آية ٥١ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٤٥٠/٢ وبيهاشه إعراب القسيران للعكبري ٤١٢/٢ .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ج ٥ ص ٣٠١ - ٣٠٢ بتصريف مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ .

(٥) الفعل حاشي يحاشي مأخوذ من الحاشية وهي الجانب ، وحاشيتسما الثوب جانباه اللذان لا هذب فيهما تقول تحاشيت أي اتخذت جانباً وبعدت ، و(حاشيت من القوم فلاناً) أي جنبته أو جعلته جانباً ، أي استثنيت (اللسان ج ١٦ ص ١٩٦) .

كلمة أخرى لا علاقة لها بالأولى ^(١) . وربما كان هذا سبب التباين
في رواية الثوهد التي ذكرناها منذ قليل ، فهناك من يروونها
بنصب ما بعد حاشا وهناك من يروونها بجر ما بعدها . ولا يتأتى
هذا الاختلاف في (خلا) و (عدا) ، أو قل إنه غير مشهور ، فسيبويه
مثلا قد ذكر النصب ليس فير في الاسم الذي بعد (عدا) ، أما (خلا)
فقد ذكر النصب أيضا ، وذكر أن الجر بها في بعض اللغات ، وشرح ^(٢)
ذلك في سطر واحد أو في جزء من السطر حيث يقول " وبعض العسرب
يقول ما أتاني خلا عبد الله ، فجعلوا (خلا) بمنزلة (حاشا) لسادا
قلت (ما خلا) فليس فيه إلا النصب " ^(٣) .

(١) هذا هو في رأيي سبب الخلاف ، وهناك كثير من الدلائل التي
أوردها نحاة البصرة والكوفة في هذا الموضوع (انظر المسألة

٢٨ ص ١٧٨) .

(٢) الكتاب ١/٢٥٩ .

(٣) الكتاب ١/٢٧٧ .

الفصل العاشر الأخير

الفصل متفرقة

أفعال متفرقة

في هذا الفصل نحاول أن نجمع من كتب اللغة والأدب الأفعال غير المتصرفية التي لم يجمعها باب واحد من أبواب النحو ، وهذه هي السمة المميزة لأفعال هذا الفصل ، ومن ثم جمعناها معاً ، فهي ليست من النواسخ مثلاً حتى نجدتها مجتمعة في باب واحبب شأن عسى وليس وكاد وكرب ... أو من الاستثناء كخلا وعسدا وحاشيا أو من أفعال الذم والمدح كنعم وبش وحيدا ويدا . على أن بعض النحاة قد أتى ببعض هذه الأفعال مجتمعة مندا تحدث عن تقسيم الفعل إلى متصرف و (جامد) ؛ أي غير متصرف ، فالسيوطي مثلاً قبيل أن يتحدث عن نعم وبش وحيدا ولا حيدا ، ألم ببعض هذه الأفعال غير المتصرفية فقال " الفعل متصرف وهو ما اختلفت أبنيته لاختلاف زمانه ، وهو كثير ، وجامد بخلافه وهو محدود ، ومنه غير ما مر في النواسخ والاستثناء : قل للظلي المحض فترفع الفاعل متلوفاً بصفة ومنه تبارك من البركة وهلك من رجل وسلط في يده ... وكذب في الإغراء ويهبط أي يصيح ... " (١)

ولقد ذكر السيوطي أيضاً بعض هذه الأفعال في المزهـر (٢) نقلاً عن التسهيل لابن مالك ، قال : ابن مالك : " منعت التصرف أفعال منها المثبتة في نواسخ الابتداء ؛ وباب الاستثناء والتعجب وما يليه ، ومنها (قل) الشافية ، و (تبارك) و (سلط في يده) و (هلك من رجل) و (عمرتك الله) و (كذب) في الإغراء ، و (يهبط) (١)

(١) الهمع ج٢ ص ٨٢ ، ومكان النقط شرح لبعض أحكام هذه الأفعال وستعرض لها بالتفصيل بعد قليل .

(٢) المزهـر ج٢ ص ٤٥ .

و (يهبط) و (أهدم) و (أما) بمعنى أخذ و (أعطى) و (هللسم) التمييزية و (هأ) و (هأ) بمعنى خذ و (يم صاحبا) و (تعلسم) بمعنى اعلم ، و (من زجر الخيل اقدم و اقدم و هب و ارحب و هجد ، وليست أصواتا ولا أسماء أفعال لرفعها الضمائر البارزة ، واستغنى غالباً بترك عن (وذر) و (ودع) وبالتشريك عن الودر والودع ، وربما قيل ودع ع وودع وودر^(١) .

ونحن في بحثنا هذا نحاولُ درسَ هذه الأفعال مبهينين استعمالياتها وشواهدها وآراءَ النحويين في كلِّ منها . والتتبُّع التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أمرٌ بالغُ الصعوبة ، " ذلك أن العقل ينسى خطوات التطور المعنوي التي مرّت بها ، ونقول ينساها إذا افترضنا أنه عرفها في يوم من الأيام ، للكلمات دائماً قيمة حضورية actuelle ، يعني أنها محدودة بال لحظة التي تستعمل فيها ، ومفردة بمعنى أنها خاص بالاستعمال الوقتي الذي تستعمل خلاله^(٢) .

ومع ذلك فسناحاول قدرَ جهدنا القاءَ الضوء على التتبُّع التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أو بعضها .

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ٢٤٦ و ٢٤٧ تحقيق

محمد كامل بركات دار الكتاب بمصر سنة ١٩٦٧ م .

(٢) اللغة : فندريس ص ٢٢٦ بتصرف .

وذر - ودع

من هذه الأفعال الفعلان وَدَعَ وَوَذَرَ فالمستعمل منهما الأمرُ دَعَّ
وَذَرَ والمضارع يَدَعُ وَيَذَرُ . أما وَدَعَ وَوَذَرَ الماضيان فلستعمل
يستعملان ، ونستطيع أن نقول إنَّ هذين الفعلين شبيهُهُ
متصرفين من ناحية الاستعمال ليس غير ، إذ إنَّ القياس لا يثبت
مجرى الماضي أيضاً ، كما هو الحال في وَزَنَ يَزِنُ وَوَزَنَ يُوَزِّنُ . يُوَسِّدُ
ذلك ما قاله ابنُ درستويه " واستعمالُ ما أهملوا من هذا جائزٌ
موابٌ ، وهو الأصلُ بل هو في القياس الوجهُ ، وهو في الشـمـسـ
أحسنُ منه في الكلام لثقلِ اعتياده ، لأنَّ الشعرَ أيضاً أقلُّ استعمالاً
من الكلام " (١) .

ويرى بعضُ اللغويين أنَّ استعمالَ وَذَرَ وَوَدَعَ ثَقِيلٌ لابتدائهما
بالواو ، وهو حرفٌ مُسْتَشْقَلٌ فَاسْتَفِينَا عَنْهُمَا بما خلا منه وهــو
تَرَكَ (٢) .

وربما كان في هذا تعليلٌ لاستعمال وزن مع أن أولهما
واو ؛ إذ لا نجد بديلاً لها كما وجدنا بديلاً للفعلين وذر وودع وهو
شرك .

وقد عوّل الشيخُ خالد الأزهرى على أن الفعلين وذر وودع بديلاً
وهو شرك - عوّل على ذلك في تعليقه لعدم تصرفهما ، فسأل
" ... والثاني يكون بمجرد الاستغناء عن تصرفه بتصرف غيره

(١) المزهر ج٢ ص ٤٦ .

(٢) المزهر ج٢ ص ٤٦ .

وَإِنْ كَانَ بِالْيَمِينِ عَلَى أَمَلِهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَدَثِ وَالزَّمَانِ، كَيُذَرُّ وَيَسُحُّ
حَيْثُ اسْتَفْنَى عَنْ مَافِيهِمَا بِمَا فِي تَرْكِهِ " (شرح التمرحيم ٩٢/٢) .

وهذا خطأ لأن الفعلين متمرفلان كما بيننا ، إلا أن الاستعمال
هو الذي هجر المصنفين منهما ، وبقي المضارع والأمر ، وفي ذلك
يقول ابن جنى " فإن كان الشيء شاذاً في السماع مطرداً في القياس
تحاميت ما تحامت العرب من ذلك وجريت في نظيره على الواجب
في أمثاله ، من ذلك امتناعك من وذر وودع ، لأنهم لم يقولوهما
ولا قرؤوا عليك أن تستعمل نظيرهما نحو وزن ووعد لو لم تسمعهما .
فأما قول أبي الأسود :

كَيْتَ شَعْرِي مِنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي ^(١) عَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَعَاهُ

فشاذ ، وكذلك قراءة بعضهم (مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)
بتخفيف الدال فأما قولهم : ودع الشيء يدع - إذا سكن - فاتدع
مسموع متبع ، وعليه أنشد بيت الفرزدق :

وَعَفَى زَمَانٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ ^(٢) مِنْ أَمَالٍ إِلَّا مَسَحَتْ أَوْ مَجَلَتْ

فمعنى لم يدع - بكسر الدال ، أي لم يتدع ولم يشبُه ^(٣)
والاستغناء عن الشيء بالشيء نحو عليه سيبويه في مواضع مسن

(١) سنحلق هذا البيت بعد قليل .

(٢) شرح ديوان الفرزدق ، عبدالله إبراهيم الصاوي ص ٥٥٦ التجارية
بمصر سنة ١٩٣٦ م .

(٣) الخصائص ج ١ ص ٩٩ .

كتابه فيقول " فقد يستغنون عن الشئ بالشئ ، وقد يستعملون فيه جميع ما يكون في بابه " ^(١) .

ويقول " هذا باب يستغنى فيه عن (ما أفعله) ب (ما أفعَل فعله) وعن (أفعَل منه) بقولهم (هو أفعَل منه فعلا) ، كما استغنى بتركت عن ودعت " ^(٢) .

ويقول " كما أن يدع على ودعت ، ويدر على ودرت وإن لم يستعلا ، استغنى عنهما بتركت " ^(٣) .

على أن بيت أبي الأسود :

لبيت شعري عن خليلي ما الذي * * * * * غاله في الحب حتى ودعسه ^(٤)

(١) الكتاب ج٢ ص ١٩١ .

(٢) الكتاب ج٢ ص ٢٥١ .

(٣) الكتاب ج٢ ص ٢٢٨ .

(٤) هذا البيت أشدّه ابن جنس في خصائصه ج١ ص ٩٩ كما سبق ، ولم يحققه الأستاذ النجار محقق الخصائص في هذا الموضع، غير أنّسه عاد وذكر في ص ٢٦٦ من الجزء نفسه أنّ نسبة هذا البيت لأبي الأسود خطأ ، وإنما قائله هو أنس بن زعيم الليثي في عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وكذلك عدل في روايته بأن جعله :
سَلْ أميرِي ما الذي غيرَه * * * * * مَن وصالِي اليومَ حتَّى ودعسه
وقد بحث في الكتب التي ترجمت لأبي الأسود على أجد الحقيقة في هذا البيت ، لأنني سأبني عليه حكما ، فبحثت في الأغاني للأصفهاني ج٢ ص ٣٠١ ، دار الثقافة ببيروت ١٩٧٤ ، وأشد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، نسخة قديمة دون ذكر للناسخ أو تاريخ النشر ، ونزهة الألباء في طبقات الألباء لابن الأنباري : تحقيق إبراهيم السامرائي ص ١ ، دار المعارف ببغداد ١٩٥٩ ،

له دلالة "كبيرة" من حيث التتبع التاريخي لاستعمال الفعل (ودع) ، ذلك أننا إذا أضفنا إلى هذا البيت قراءة الآية الكريمة " مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ " ^(١) بتخفيف الدال وهي قراءة عمرو بن الزبير وابنه هشام وابن أبي عمير ^(٢) وأضفنا أيضا ما ورد

ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٦ نهضة مصر ١٩٥٥ ، فلم أجد ذكراً لهذا البيت في كل هذه المراجع التي ترجمت لحياة أبي الاسود . ثم بحثت في بغية الوعامة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٢٢ تحقيق محمد إبراهيم طبعة عيسى الحلبي ١٩٦٤ ، فلم أجد هذا البيت فيه ، إلا أنني وجدت بيتين آخرين من نفس البحر (الرمل) والقافية :

لَا يَكُنْ بَرِّقُكَ بَرِّقًا خَلْبًا * * * * * إِنْ خَيْرَ بَرِّقٍ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
لَا تَهِنِّي بَعْدَ إِكْرَامِكَ لِسِي * * * * * فَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْتَرَفَمَةٌ
وقد ورد هذا البيت في اللسان إلا أن فيه رواية أخرى ولغزلاً آخر غير أبي الاسود . يقول صاحب اللسان " وهذا البيت ، روى الأزهري عن ابن أخي الأصمعي أن عمه أنشده لأنس بن زبيد الليثي :

كَبَيْتَ شَعْرِي مِنْ أَمِيرِي مَا الْيَدِي * * * * * فَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَّعَسَةً
لَا يَكُنْ بَرِّقُكَ بَرِّقًا خَلْبًا * * * * * أَنْ خَيْرَ بَرِّقٍ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
وإذا عرفنا أن أنساً هذا قد قال البيت في عبيد الله بن زياد بن أبيه الملقب بابن مرجانة ، وعرفنا أيضا أن عبيد الله توفي سنة ٦٧ هـ ، وأن أبا الاسود توفي سنة ٦٩ هـ - إذا عرفنا كل ذلك فلا يهمننا من قائل البيت بقدر ما يهمننا الفترة التي قيل فيها وهي الستينات من القرن الأول .

(١) الآية الثالثة من سورة الضحى .

(٢) اللسان ج ١٠ ص ٢٦٣ .

في اللسان وفي حديث ابن عباس أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
" لَيِّنْتَهُنَّ الْقِرَامَ عَنْ وَدَعِيهِمُ الْجَمْعَاتِ أَوْ لَيَّخْتَمَنَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ " أي
من تركهم إياها ^(١) " استنتجنا أن هذا الفعل (ودع) بصيغته الماضية
وكذلك المصدر (ودعاً) لم يكونا مهجورين في فترة نزول القرآن الكريم
وعلى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرَّ استعمالُهما حتَّى
السنين الأولى من النصف الثاني من القرن الأول ، وبعد ذلك هُجِرَ
استعمالُهما ولم يبقَ مستعملاً إلا المضارعُ والأمرُ .

(١) اللسان ج ١٠ ص ٢٦٢ .

كَذَّبَ عَلَيْكَ

أما الفعلُ (كَذَّبَ) فَعَيْنٌ من القولِ أَنه متصرفٌ : كَذَّبَ يَكْذِبُ
كَذِبًا وَكُذِّبًا وَكُذِّبًا فَهُوَ كاذِبٌ وَكَذَّابٌ وَكَذُوبٌ^(١) .

وأما (عليك) فهو جارٌ ومجرورٌ ، هذه - هي النظرة الأولى لهذا
الأسلوب ولكنهم يعدونه من أساليب الإغراء ، وقد جاء على هذا
النمط أو هذه الصورة دون تغيير ، وتكون الكلمة (كذب) في هـ سنده
الحالة فعلاً غير متصرفٍ لزم صورة واحدة وهي الماضي ، و (عليك)
يشبهونها بتلك التي تستعمل في الإغراء ، كما في قوله تعالى :
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ " ^(٢) فعليك هنا اسمٌ فاعلٌ
منقولٌ عن الجار والمجرور بمعنى الزم أو احفظ .

وربما استعمل الفعلُ (كذب) غير متعدي بالحرف ، بل يجيء بعده
المفعولُ به مباشرةً فيقال (كذبك) وذلك كقولِ عمرَ بن الخطاب حين
جاءه رجل يشكو النقرس " كَذَّبَتْكَ الظَّهَائِرُ ، أي بالمشي فيها ،
والظواهر جمع ظهيرة وهي شدة الحر " ^(٣) .

أما شواهد (كَذَّبَ عَلَيْكَ) فنقولُ عمرَ أيضا حين شكاه إليه عمرو
ابن معد يكرب المعن (التواء) عقب القدم) فقال له : كَذَّبَ عَلَيْكَ
العسلُ . يريد الصلابة وهي مثلُ الذهب ، أي عليك بسرعة المشي ، وقوله
أيضا : " كَذَّبَ عَلَيْكَ العمرةُ ، كذب عليك الحجُّ ، ثلاثة أسفار

(١) اللسان مادة ك ذ ب .

(٢) المعتمدة آية ١٠٥ .

(٣) اللسان مادة ك ذ ب ج ٢ ص ٢٠٤ .

كذبن عليكم قال ابن السكيت : بمعنى عليكم به ، كلمة نادرة جاءت على غير القياس . وقال " الألف الحج مرفوع به ومعناه نصب ، لأنه يريد الأمر به كقولهم أمكنك الصيد ، يريد أزمه " (١) ، أي أن المفرد به كان حقه النصب ، ولكنه جاء بالرفع شاذاً على غير قياس . يقول الأمامي في ذلك " معنى (كذب عليكم) معنى الإغراء أي : عليكم به ، وكان الأصل في هذا أن يكون نصبا ، ولكنسه جاء عنهم بالرفع شاذاً على غير قياس (٢) .

ونستطيع القول بأن هذا الأسلوب قد هجر الآن ، ولم يُعند مستعملا التثنية ، وجميع شواهد - كما سيُفتح بعد قليل - لم يتعد زمنها زمن الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين من بعده ، يدل على ذلك أن سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ قد أورد في كتابه كلمة (كَذَبَ) - من حيث تعلقها بأحكام نحوية أو لغوية - مرتين : الأولى ، عندما أنشد بيت الأخطل :

كَذَّبْتَكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطِي * فَلَئْسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيْسَالًا (٣)

(١) النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات بن محمد الجتازي المعروف بابن الأثير ج٤ ص ١٣ المطبعة الخيرية بمصر دون تاريخ .

(٢) الهمع ج٢ ص ٨٣ .

(٣) اللسان مادة كذب ج٢ ص ٢٠٥ .

(٤) عرفت ذلك من فهرس كتاب سيبويه الذي صنعه عبدالسلام هارون ج٥ ص ١٦٩ . الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

(٥) الكتاب ج١ ص ٤٨٤ .

ولقد استشهد بهذا البيت على إتيان الشاعر بأم منقطعة بعد
الخير (١) .

والثانية : عندما أنشد بيت خز بن لودان أو عنتره :

كَذَّبَ العَتِيقُ وماءً شَنُّ بَارِدٍ * * * * * إِنْ كُنْتِ سَأَلْتِي عُبُوقًا فَادْهَبِ (٢)

ولم يعلق سيبويه على البيت إلا بقوله يريد (فادهبي) ، وكان ذلك في (باب وجوه القوالي في الإنشاد) ، ولم يذكر سيبويه أن (كذب) في أول البيت قد أتت بمعنى الإغراء ، وربما يكون سبب ذلك ندرة هذا الأسلوب على عهد سيبويه ، بل انغماسه . صحيح أن سيبويه قد أورد البيت في مقام غير مقام استعمال (كذب) للإغراء ، ولكننا لا ننسى أن سيبويه من طبعه الاستطراد ، والدخول في موضوع جديد طارئ ، ثم الرجوع إلى الموضوع الذي كان يبحثه

على أن الشنتمري ذكر ذلك حيث قال :

" ومعنى (كذب العتيق) عليك به ، وهي كلمة نادرة تغرى بها العرب لترفع ما بعدها وتنصب " (٣) .

ومهما يكن من أمر فإن هذا التعبير نادر استعمال في عصره ، مهجور الآن تمامً الهجر ، إلا أن السؤال الذي يطرحه للباحث : ما علاقة الفعل (كذب) سواً أكان متصرفاً أم غير متصرفٍ بالإغراء أو بالوجوب ، فنقول : كذب عليكم الحجج ، بمعنى وجب ؟

(١) الكتاب ١٦ أسفل هامش ٤٨٤ (الشنتمري) .

(٢) الكتاب ٢٦ ص ٢٠٢ .

(٣) الكتاب ٢٦ أسفل ص ٢٠٢ .

ظلتُ أفكرُ في هذا السؤالِ على أحسنِ إجابةٍ مقنعةٍ، وقد سددتُ رأيتُ أن العلاقةَ بين الكذب والاعتراف علاقةٌ غريبةٌ، والأسلوب نفسه نادر غير مألوف، وقد قال ابن فارس كلاماً قيماً في هذا الصدد: " ذهب علماءنا أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى اليينا من كلام العرب هو الأقل، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعراً كثيراً وكلاماً كثيراً وأحرى بهذا القول أن يكون صحيحاً، لأننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب، فلا يكادُ واحدٌ منهم يُخبرُ عن حقيقة ما خولف فيه، بل يسلكُ طريقَ الاحتمالِ والإمكان، ألا ترى أننا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الإغراء: كَذَبَكَ كَذَا، وعمّا جاء في الحديث من قوله: كَذَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجُّ، كذب العمسَل، وعن قول القائل:

كَذَبْتُ عَلَيْكُمْ أَوْعِدُونِي وَعَلَّوْا * * * يَتَى الْأَرْضَ وَالْأَتْوَامَ يَتِرْدَانِ مَوْطِبِي

وعن قول الآخر:

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءٌ شَنٌّ بِسَارِدٍ * * * إِنْ كُنْتِ سَائِلَتِي فَبُوقًا فَاذْهَبِي

ونحن نعلمُ أن قولَ (كَذَبَ) يَبْعَدُ ظَاهِرُهُ من باب الإغراء، وكذلك قولهم (١) ثم يَذْكُرُ بعد ذلك أمثلةً أخرى في يَعْطِيبُ اللُّغِيَّةَ وغريبها، لا يهتمنا منها إلا أسلوب (كذب عليك)، ثم يعلق

(١) المزهر ج١ ص ٦٦ و ٦٧، والمصاحبي في لغة اللغة وسنن العرب لأحمد بن فارس ص ٦٧ و ٦٨ تحقيق مصطفى الشويبي - بيسروت ١٩٦٤ - والبيت الأول - في اللسان - لخداش بن زهير - والبيت الثاني هو الذي أنشده سيويه ج٢ ص ٢٠٢.

على كل ذلك قائلًا " وقد كَانَ لَدَيْكَ كُلُّ نَاسٍ بِعَرْفُونَهُ ، وَكَذَلِكَ
يَعْلَمُونَ مَعْنَى مَا نَسْتَفِرُّهُ الْيَوْمَ ... " (١) .

فهذا الأسلوب إذا كان له تفسيره عند قائله في الماضي بالرقم
من استغرابنا إياه اليوم . ونحن هنا نجتهد ، فنقدّم على
استحياء تفسيراً له . لقد اشتهر القولُ بين العامة في عصرنا الحاضر
" عليك الحرام تلعل كذا ... " يقول العاميُّ ذلك مخاطباً غيره أو
لن مغرباً غيره ، وربما قال مغرباً نفسه أو مقسماً " على الحرام
أفعل كذا ... " اليس هذا مشابهاً للأسلوب (كذب عليك) ؟ بل هو
مشابهٌ . فالأسلوبُ العاميُّ يعني أن الحرامَ يَحِلُّ بي إن لم أفعل كذا ،
والأسلوبُ الثاني يعني أن الكذبَ يكون على - أي أنس أكون كاذباً - إن
لم أفعل كذا ، والعلاقةُ بين الكذبِ والحرامِ علاقةٌ وثيقة .

(١) المزهر ج١ ص ٧٠ و ٧١ والمصاحبي ص ٧١ و ٧٢ .

تَبَارَكَ

يَرْجِعُ هَذَا الْفِعْلُ إِلَى الْمَادَةِ بِرُكِّ ، وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَةِ : الْبَرَكَةُ
أَيُّ النَّمَاءِ وَالزِّيَادَةِ ، وَالتَّبَرُّكُ أَيُّ الدَّمَاءِ لِلْإِنْسَانِ ، فَيُقَالُ بَرَكْتُسْتُ
عَلَيْكَ تَبَرُّكًا ، أَيُّ قَلْتُ : بَارِكْ اللَّهُ عَلَيْكَ . وَفِي التَّشْهَدِ " السَّلَامُ
عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ " الْبَرَكَاتُ أَيُّ السَّعَادَةِ .^(١)

وَتَبَارَكَ عَلَى وَزْنِ تَفَاعُلٍ مِثْلَ تَلَعَّاتَلٍ ، وَكَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَكُونَ
مُتَصَرِّفًا مِثْلَهُ ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ "غَيْرَ مُتَصَرِّفٍ فَلَا يَأْتِي مِنْهُ مَفْعَلًا"
وَلَا أَمْرًا وَلَا اسْمًا فَاعِلِيًّا ، وَهُوَ بِمَعْنَى تَعَظَّمَ وَتَمَجَّدَ وَارْتَفَعَ " .^(٢) وَلَسَدَ
ذَكَرَ السِّيُوطِيُّ هَذَا الْفِعْلَ مَعَ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا تُتَصَرَّفُ . وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ
ابْنُ مَالِكٍ .^(٣) وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كَثِيرًا مِنْ اسْتِقْفَالَاتِ هَذِهِ
الْمَادَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ قَوَائِمِهَا وَبَارَكَ فِيهَا " .^(٤)
و " فَلَمَّا جَاءَهَا نُوحِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا " .^(٥) وَ " اهْبِطْ
بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ " .^(٦) وَ " وَهَذَا ذِكْرُ
مِيبَارِكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ " .^(٧)

(١) اللسان مادة ب ر ك ج ١٢ ص ٢٧٥ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٥٠ .

(٣) همع الهوامع ج ٢ ص ٨٢ .

(٤) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ٢٤٦ . تحقيق محمد
بركات دار الكاتبة العربي بمصر ١٩٦٧ م .

(٥) فعلت : ١٠ .

(٦) النمل : ٨ .

(٧) هود : ٤٨ .

(٨) الأنبياء : ٥٠ .

- ولكنه لم يستعمل الفعل تَبَارَكَ إِلَّا مُسْتَدًا إِلَى اللَّهِ سبحانه وتعالى في كلِّ المواضع التي ذُكِرَ فيها وهي :
- ١ - تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(١) .
 - ٢ - فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ .
 - ٣ - تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ^(٢) .
 - ٤ - تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ^(٣) .
 - ٥ - تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ^(٤) .
 - ٦ - فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(٥) .
 - ٧ - وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ^(٦) .
 - ٨ - تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ^(٧) .
 - ٩ - تَبَارَكَ الَّذِي يَبْدِئُ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(٨) .

(١) الأعراف : ٥٤ .

(٢) المؤمنون : ١٤ .

(٣) الفرقان : ١ .

(٤) الفرقان : ١٠ .

(٥) الطورقان : ٦١ .

(٦) طاهر : ٦٤ .

(٧) الزخرف : ٨٥ .

(٨) الملك : ١ .

فهذا الفعلُ غيرُ المتصرفِ مقصورٌ استعمالُهُ على إسنادِهِ لله سبحانه وتعالى. وربما كان هذا هو سببُ عدمِ تصرُّفه؛ لِإشعارِ بلسانِ التمجيدِ والعظمةِ والرفعةِ لله سبحانه دونَ غيره ، ولِإشعارِ أَيْضاً بِأَنَّ هذا الفعلَ - وإن كان قد توقَّفَ عند ميفةِ الماضي - يدلُّ على الحالِ والاستقبالِ أيضاً ، مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ الفعلِ (كان) في مواضعٍ كثيرةٍ من القرآنِ الكريمِ كقولهِ تعالى : " وكان اللهُ غفوراً رحيماً " ،^(١)
و " كان اللهُ عليماً حكيماً " ^(٢) و " كان اللهُ سميعاً بصيراً " ^(٣) .

(١) النساءُ : ١٠ .

(٢) النساءُ : ١١١ .

(٣) النساءُ : ١٣٤ .

قـلـ

غَنِيٌّ عَنِ الْقَوْلِ أَنَّ الْفِعْلَ (قَلَّ) فِعْلٌ مُتَصَرِّفٌ ، وَقَدْ كَتَبَ فِيهِ
صَاحِبُ اللِّسَانِ مَا يَزِيدُ عَلَى سِتِّ صَفَحَاتٍ مُبِينًا اشْتِقَاقَاتَ هـذِهِ
الْمَادَةِ (قَلَّ) وَاسْتِعْمَالَاتِهَا . فَمِنْ ذَلِكَ تَوَلَّاهُ تَعَالَى : " وَاللِّسَاءُ
نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ " ^(١) وَ " مَتَّاعٌ
قَلِيلٌ شِمِّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِشْنِ الْمِهَادِ " ^(٢) وَ " إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَسْفَلَ
مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا " ^(٣) وَ " إِنْ هُوَ إِلَّا لَيْشْرِيْمَةٌ قَلِيلُونَ " ^(٤) .

غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ النُّحَوِيِّينَ قَدْ جَعَلُوا الْفِعْلَ (قَلَّ) غَيْرَ مُتَصَرِّفٍ ،
وَذَلِكَ فِي اسْتِعْمَالِ خَاصِّهِ لَا يَتَعَدَاهُ ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى (مَا)
الَّتِي هِيَ لِلنَّفْسِ الْمُحَضِّ ، كَقَوْلِهِمْ " قَلَّ رَجُلٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ " وَيَسْأَوِي
فِي الْمَعْنَى " مَا رَجُلٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ " وَ (مَا) هُنَا حَرْفٌ ، وَمَادَامُ الْفِعْلُ
(قَلَّ) قَدْ اسْتَعْمِلَ مَوْضِعَهَا فَهُوَ غَيْرُ مُتَصَرِّفٍ لِشِبْهِهِ بِالْحَرْفِ .

يَقُولُ السِّيَوِيُّ فِي ذَلِكَ " وَمِنْهُ - أَيُّ مِنَ الْجَامِدِ - قَلَّ لِلنَّفْسِ
الْمُحَضِّ فَتَرْفَعُ الْفَاعِلَ مَتَلَوًا بِمَعْنَى مُطَابِقَةٍ لَهُ نَحْوُ (قَلَّ رَجُلٌ)
يَقُولُ ذَلِكَ) وَ (قَلَّ رَجُلَانٌ يَقُولَانِ ذَلِكَ بِمَعْنَى (مَا رَجُلٌ ...) ^(٥) .

وَقَدْ كَرَّرَ هَذَا الْقَوْلَ فِي الْعِزْهَرِ نَقْلًا عَنِ ابْنِ مَالِكٍ فَمِنْ
التَّسْهِيلِ حَيْثُ قَالَ " مُنَعَتْ التَّصَرُّفَ الْفِعَالُ : مِنْهَا الْمُثَبَّتَةُ فَسِي

(١) النساء / ٧ .
(٢) آل عمران / ١٩٧ .
(٣) الكهف / ٣٩ .
(٤) الشعرا / ٥٤ .
(٥) الهمع / ٨٣ / ٢ .
(٦) المزهر / ٤٥ / ٢ .
(٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقامد ص ٢٤٦ .

نواسخ الابتداء ، وباب الاستثناء ، والتعجب وما يليه ، ومنها قُلِّبَ
النافية " .

ولم يذكر ابن مالك تفصيلاً لاستعمال هذا الفعل في هـسدا
الموضع ، إلا أنه عقّد فصلاً قبله مباشرة بيّن فيه الصلة بين (قُلِّبَ)
(ما) النافية ، فقال فيه " قد يقوم مقام (ما يفصل أحد) (أقْلَبُ)
ملازماً للابتداء ، والاضافة إلى نكرة موصوفة بصفة مَعْنِيَّةٍ عن الخبر
لأن كونهما فعلاً أو ظرفاً ، وقد تجعل خبراً ، ولا بدّ من مطابقتها لفاعلها
للنكرة المضاف إليها ، ويساوي (أقْلَبُ) المذكور (قُلِّبَ) رافعاً مجسّرواً
(أقْلَبُ) .

ولسنا مع ابن مالك أو السيوطي في ذلك لِمَا بيّنتي :

- ١ - أتأ - فيما اطلعنا عليه من المراجع النحوية - لم نجد
هذا الفعل إلا في المرجعين اللذين ذكرناهما ليس غير .
- ٢ - أَنَّ (قُلِّبَ رجلٌ يفعل ذلك) مثال لا يُعتدُّ به ، ولم نجد شاهداً
على نمط هذا المثال يويّد قولهما .
- ٣ - أَنَّ القول بأن (قُلِّبَ) تساوي (ما) ، ومن ثمّ فإنّ (قُلِّبَ) غير
متصرفٍ لشبهه بالحرف - هذا القول يحتاج إلى دليلٍ ، وهو بعيدٌ
من واقع اللغة لعلاقة المساواة هذه نجدها في المسائل
الرياضية ، ولرّق كبيرٌ في اللغة بيّن استعمال الفعل واستعمال
الحرف .

وإذا دخلت على (قُلِّبَ) (ما) الكافة ، أصبحت (قلما) ، وحينئذ
يجيء بعدها جملة فعلية ، بعكس (قُلِّبَ) مفردة . فإنها تتطلب بعدها
فاعلاً ، وقد ذكر سيبويه أنه من قبح الكلام أن تجيء (قلما) وبعدها
اسمٌ يقول " ويحتملون قبح الكلام حتى يفحوه في غير موضعه ؛ لأنّ

مستقيم ليس فيه تناقض ، فمن ذلك قولُ عمرَ بن أبي ربيعة :
مَدَدْتِ فَأَطَوَلْتِ الْمُدُودَ وَلَلْمَا ^(١) وصالٌ على طول المدود يسدومُ
ولكنَّ الكلام : قلما يدوم وصال ^(١) .

ذكر سيبويه ذلك ، ولكنه لم يذكر في هذا المقام أن قلَّ فعلٌ غير متصرفٍ أو أنها تساوي (ما) ولم يذكر أيضاً المثال (قلَّ رجلٌ يفعل ذلك) ، مع أن من منهج سيبويه أنه قد يستطرد فيذكر مَوْضِعاً أو حكماً متعلقاً بالموضوع الذي يتكلم عنه ثم يرجع إلى هذا الموضوع مرة ثانية .

وذكر سيبويه (قلما) مرةً أخرى في كتابه عند عرضه " للحروف التي لا يَلِيها بعدها إلاَّ الفعلُ ، ولا تغير الفعل من حاله التي كسان عليها قبل أن يكون شيء منها ^(٢) وذكر من هذه الحروف قلد وسوف والسين وربما وقلما ، أي أنه عد (قلما) كلها حروفاً ^(٣) ، يقول " ومن تلك الحروف ربما وقلما وأشباههما ، جعلوا رَبَّاً مع ما بمنزلة كلمة واحدة وهيؤها ليذكر بعدها الفعلُ ، لأنَّه لم يكن لهم سبيلٌ إلى (رَبَّاً يقول) ولا إلى (قلَّ يقول) ^(٤) .

والمهم في ذلك كله أن سيبويه لم يستطرد فيذكر أثناء ذلك أن (قلَّ) في استعمال بعينه فعلٌ غير متصرفٍ أو أنه يساوي (ما) في المثال (قلَّ رجلٌ يفعل ذلك) .

(١) الكتاب ج١ ص ١٢ .

(٢) الكتاب ج١ ص ٤٥٨ .

(٣) يرى النحاة أن قلماً مكوّنة من الفعل الماضي (قلَّ) وما الكافسة عن عمل الرفع (انظر المعنى ص ٤٠٣) .

(٤) الكتاب ج١ ص ٤٥٩ .

" سَقِطَ فِي يَدَيْهِ "

رأى النحاة أَنَّ الفعل " قَلَّ " متصرفٌ إِلَّا في استعمالٍ خاصٍ لا يتعداهُ ويكون فيه غير متصرفٍ ، وهو ما كان على مثال " قلل رجل يفعل ذلك " بمعنى " ما رجل يفعل ذلك " . وقد اختلفنا مع النحاة في ذلك لعدم وجود شواهدٍ تؤيدُ رأيهم ، وتدل على أن (قلل) تستعمل للنفي المحض مكان (ما) .

أما بالنسبة للفعل (سَقِطَ) ، فالأمرُ يختلفُ كلَّ الاختلافِ ، إذ نجده غير متصرفٍ في استعمالٍ بعينه دالاً على الندم والحسرة ، ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى " ولما سَقِطَ في أيديهم ورأوا أَنَّهُمْ قد قَلُّوا قالوا لئن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ " (١) .

فاستعمالُ هذا الفعل دالاً على الندم والحسرة مقصورٌ على صيغة الماضي الذي لم يُسم فاعله دون إسناد آية ضمائر له فسلاً يُقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون

أما بَقِيَّةُ استعمالاته فيكون فيها متصرفاً ومن ذلك قوله تعالى " وهزِّي إليك بجدع النَّخْلِ سَقِطٌ عَلَيْكَ رَطْباً جَنِيًّا " (٢) و " أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كما رَعَمَتْ عَلَيْنَا كَيْفًا " (٣) و " إنْ يَرَوْا كَيْفًا يسْنَ "

(١) الأعراف - ١٤٩ .

(٢) مريم - ٢٥ .

(٣) الإسراء - ٩٢ .

(٤) الشعراء - ١٨٧ .

السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ " (١)

ومن النحاة من يُجيزُ (أُسْقِطَ في يده) ، إلا أن الجمهور لا يُعتدُّ بها ويرى أن (سُقِطَ) التي استعملها القرآن هي الأجود والأحسن (٢) .

وقد ذكر هذا الفعل السيوطي وابن مالك فمن الألفعال غير المتصرفة وأثبتنا له هذا التركيب دون غيره (٣) .

وهذا التركيب لم تعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن (٤) ، ويبرهن أبو القاسم الزجاجي على ذلك قائلا " سُقِطَ في أيديهم نظمٌ لم يسمع قبل القرآن إلا عرفته العرب ، ولم يوجد ذلك في أشعارهم ، والذي يدل على ذلك أن شعراء الإسلام لما سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم كلف عليهم وجبة الاستعمال ، لأن مادتهم لم تجر به ، فقال أبو نواس :

(١) الطور - ٤٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص ١٩٥ . ومعاني القرآن للفسراء ج١ ص ٢٩٢ ص ٣٩٢ تحقيق الأمتاذين محمد نجاتي ومحمد النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب ٩٨٠ .

(٣) المزهر ٤٥/٢ والهمع ٨٣/٢ والتسهيل ٢٤٦ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص ١٩٢ ، ومجمع الأمثال لأبسي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بابن الأشير ج١ ص ٣٤٤ . الناشر : عبدالرحمن محمد . ميدان الأزهر بمصر ١٣٥٢ هـ .

وَنَشْوَةٌ سَقَطَتْ مِنْهَا فِي يَدِي ^(١) .

وأبو نواس هو العالم النحوي ، فأخطأ في استعمال هذا اللفظ ، لأن (قَعَلْتُ) لا يُبْنَى إِلَّا مِنْ فِعْلِ يَتَعَدَّى ، لا يُقَالُ رَغِبْتَ وَلَا يُقَالُ غَضِبْتَ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ رَغِبْتُ لِي ، وَغَضِبْتُ عَلَيَّ ^(٢) .

وقد اهتم كثير من النحاة واللغويين والمفسرين بتأصيل هذا التركيب ، وجميعهم أرجعوه إلى صورة مشخصة مضمومة . فقال سليمان الجمل " ... وأصله سقطت أخواتهم على أيديهم ، ل (في) بمعنى (على) وذلك من شدة الندم ، فإنَّ العادة أنَّ الإنسانَ إذا ندم على شيءٍ عَضَّ بِفَمِهِ عَلَى أَصَابِعِهِ فَسَلَوَتْ الْأَفْوَاهُ عَلَى الْأَيْدِي لِأَنَّهُمْ لَازِمُونَ لِلنَّدَمِ ، فَاطْلُقَ اسْمُ اللَّازِمِ وَأُرِيدَ الْمَلْزُومُ عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ " ^(٣) .

وقال أبو جعفر الطبري " ... وأصله الاستسار ، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يهرقه ، فيرمين به بين يديهما لياسره ، فيكتفه فالمرمى به مسلوط في يدي الماظ به ، فقبيل لكل عاجز عن شيءٍ وصارع لعجزه فنندم على ما فاته " ^(٤) .

وقد عقب المحققان على ذلك بقولهما " والذي قاله أبو جعفر تفصيل جيد وبيان عن أصل الحرف قلما يوجد في كتب اللغاة " ^(٥) .

(١) أجهدت نفسي في البحث عن البيت بتمامه في ديوان أبي نواس ، فلم أجده ، وربما كنت غير موفق في ذلك ، فحرف الروي يحتفل أن يكون الدالّ وغيره ، ومع ذلك فقد بحث في كل القاصد التي من بحر الرجز ، ثم من الكامل على سبيل الاحتياط ، ولا أدري كيف أتى به صاحب مجمع الأمثال .

(٢) مجمع الأمثال ج١ ص ٣٤٤ .

(٣) حاشية الجمل ج٢ ص ١٩٢ .

(٤) تفسير الطبري ج٢ ص ١١٨ و ١١٩ تحقيق محمود أحمد شاكر . دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨ .

(٥) تفسير الطبري ج ١٧ ص ١١٩ .

وقال الرمخشري " لأنَّ من شأن من اشتدَّ ندمُهُ
وحسرتَه أن يَفْعَلَ يده لعمَّا فتصير يده مسقوطة فيها " ^(١)

ونلاحظ أن القرآن الكريم قد استعمل هذه الجارحة - اليَسْدَ -
- في صورتين أخريين ليعبِّرَ بهما عن الندم والحسرة . ويقول
سبحانه وتعالى : " وَيَوْمَ يَعْصُ الظالمُ على يديه يقول يا ليتني
اتَّخَذْتُ مع الرسولِ سبيلا " ^(٢) . ويقول سبحانه : " وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ
فَأَصْحَبُ يَقلْبِ كذِبِهِ على ما اتَّفَقَ فيها وهي خاوية " ^(٣) .

-
- (١) الكشاف من حقائق التنزيل وعيون الأناويل في وجوه التأويل
لجار الله الرمخشري ج٢ ص ١١٨ . بيروت دون تاريخ .
- (٢) الفرقان آية ٢٧ .
- (٣) الكهف آية ٤٢ .

صم صباحا

(١) ذكر السيوطي هذا الفعل مع ظرف الزمان في جمع الهوامع
على أنه من الأفعال غير المتصرفة ، وكذلك ذكره في المزهر
نقلا عن ابن مالك في التسهيل .^(٢)

وهذه الجملة تحية عند العرب ، يقال عَمَّ صَبَاحًا ، وَعَمَّ مَسَاءً
وَعَمَّ ظِلْمًا^(٣) ، ولكن (عَمَّ صَبَاحًا) هي التي كَثُرَ ورودها في الشعر:

قال زهير بن أبي سلمى :

فَلَمَّا تَرَفَّتِ الدَّارُ قُلْتُ لِتَرْبِعَهَا * آيَا انْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّبْعُ وَسَلِّمْ^(٤)

وقال عنتره :

يَا دَارَ عَيْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمْسِي * * * وَعَمِّي صَبَاحًا دَارَ عَيْلَةٍ وَأَسْلِمْسِي^(٥)

وأنشد يونس بن حبيب شطراً من الطويل وهو :

عَمَّا طَلَّتْ جُمَلٌ عَلَى النَّأْيِ وَأَسْلَمْسَا^(٦)

(١) الهمع ٨٢/٢ .

(٢) المزهر ٤٥/٢ .

(٣) التسهيل ٢٤٧ .

(٤) خراطة الأدب للبغدادي ج١ ص ٦٠ تحقيق عبدالسلام هارون . الهيئة
المصرية للكتاب ١٩٧٩ .

(٥) شرح القصائد السبع الطول لابن الأنباري ص ٢٤٣ تحقيق هارون .
دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .

(٦) السابق ص ٢٤٦ .

(٧) شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٢٩٦ .

(٨) اللسان مادة وع م ج١٦ ص ١٢٨ .

أَمَّا عِمٌّ ظَلَمًا وَعَمُّ مَسَاءً فَقَدْ قُلَّ وَرَوَّدَهُمَا . قَالَ شَمِيرٌ بِنَـ

الْحَارِثِ الصَّبِيِّ :

أَتَوْا نَارِي فَغَلَّتْ مَنُونٌ قَالُوا * * * سُرَاةُ الْجَنِّ نَلَّتْ عِمُّوا ظَلَامًا^(١)

ويبدو أنَّ السيوطيَّ وابن مالك كليهما قد تابعا الفراء في عدِّ هذا الفعل فعلًا أمرًا ، لا يأتي منه مضارع ولا ماضٍ . يقول الفسَّارُ " قد يتكلمون بالأفعال المستقبلية ولا يتكلمون بالماضي منها ، فمن ذلك قولهم (عِمٌّ صباحًا) ولا يقولون (وَعَمَّ) ، ويقولون (دَرَّ ذَا) و(دَعَّ) ولا يقولون (وَدَرَّتْهُ) ولا (وَدَعَّتْهُ) " ^(٢) . ويقول الأصمعيُّ كذلك : " هكذا تُنشده عامة العرب وتقدير الفعل الماضي منه وَعَمَّ ، يَعِمُّ ولا ينطق به " ^(٣) .

ويرى أبو عمرو بن العلاء رأيًا آخر في (وعى صباحًا) التي جاءت في بيت عنبرة ، يقول " يعى من قولهم : عَمَّتِ السَّمَاءُ تَعْمِي^(٤) ويقول أيضًا : " هو كما يَعْمِي المطرُ وَيَعْمِي البحرُ بزيده ، وأراد كثرة الدعاء لها بالاستسقاء " ^(٥) وقد خطبًا ابنُ الأنباريُّ أبا عمرو فقال : " وهذا عندنا خطأ ، لأنه لو كان كذلك لكان (اعمى) على مثال (واقش) ، لأنَّ مَعَمَّتْ تَعْمِي على مثال قَفَّتْ تَقِي ، فينبغي أن يكونَ أمرُ المؤنثِ منه (اعمى) على مثال

(١) النوادر في اللغة لابن زيد الانصاري ص ١٢٢ . دار الكتاب العربي

بيروت سنة ١٩٦٧ م .

(٢) شرح القامد السبع الطول لابن الانباري ص ٢٤٤ .

(٣) السابق ص ٢٤٤ .

(٤) السابق ص ٢٩٧ .

(٥) اللسان ج ١ ص ١٢٨ وخزانة الادب ج ١ ص ٦٤ .

(القَصِّ) . وكان أصحابنا ينكرون قولَ أبي عمرو ، ويحتجون بهذا الذي وضعناه " (١)

وكذلك خطأ الأزهريُّ وَرَدَّ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا رَدَّ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ (٢)
وَمِنَ النَّحَاةِ مَنْ لَا يَعُدُّ (وَقَمَّ ، يَعِمُّ ، عَمَّ) أصلاً مستقلاً بنفسه
بل إنَّ (يعم) عندهم محذوف من ينعم ، ولذلك أجازوا قَمَّ مباحاً
بفتح العين وكسرهما ، كما يقال انعم وانعم ، وزعموا أنَّ بعضَ
العرب أشد : ألا يمَّ مباحاً أيُّها الظلل البالي .

(٣)
بفتح العين .

ويقولُ الأزهريُّ معللاً لذلك : " كأنه لما كثر هذا الحرفُ في
كلامهم ، حذفوا بعضَ حروفِهِ لمعرفة المخاطب به ، وهذا كقولهم
(لاهم) وتمام الكلام (اللهم) وكقولك (لِهنَّك) والأصل (الله انك) " (٤)

والرأي عندي أن هذا الضم (عَمَّ) إنما هو الأمر من الماضي
وعم ، والمضارع يعمُّ ، قد التبس الأمرُ على أبي عمرو بن العلاء
عندما ظنه من عَمَى يعمى ، مثل قَصَى يَقْصِي على ما بينه ابن الأنباري

(١) شرح القواعد السبع الطوال ص ٢٩٧ .

(٢) اللسان ج ١٦ ص ١٢٨ .

(٣) الخزانة ج ١ ص ٦٠ بتصريف .

(٤) اللسان ج ١٦ ص ١٢٨ . ويلاحظ أنَّ بعضَ النحاة يهزِّون في (لهنَّك)
إبدالاً وليس اختصاراً ، فالأصل لِانَّك ثم أبدلت الهمزة هاء ،
وهذا متحققٌ عندهم في قول الشاعر :

لِهِنَّكَ مِنْ مَشِيَّةٍ لَوَسِيمةٌ * * * على هَنَوَاتٍ كَادِبٍ مَنْ يَقُولُهَا
أي لِانَّكَ . وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ص ١٢٩ ، وشرح
القواعد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥ .

والأزهري ، كما أننا لا نميل إلى رأى من يرى أن (يَعْمُ) اختصارٌ
لِيَعْنَمُ . وقد التبس الأمر أيضا على الفراغ والأصمعي ، ثم علس
ابن مالك والسيوطي من بعدها عندما رأوا أن الأمر هو المستعملُ
كما بينا ، أما المضارعُ فَلَعَمْرَى كيف نأب عنهم قولُ امرئ
القيس :

أَلَا يَمُّ صباحاً أيُّها الظِّلُّ البالي * * * وهل يَعْنُ من كان في العَصْرِ الخالي
وهل يَعْنُ إِلَّا سعيدٌ مَخْلُودٌ * * * قليلُ الهموم ما يَبِيَّتْ بأوجال
وهل يعمن من كان أحدثُ عهدِهِ * * * ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال^(١)

فقد استعمل المضارع (يعم) ثلاث مرات ، لا مرة واحدة
ولم جميعها جاء مقترنا بنون التوكيد الخفيفة لوتوعه بعد طلب
وهو الاستفهام ، كما أن شرح الأستاذين السقا والسندوبي على هذه
الآبيات يدل على أن الفعلَ (يعمن) مضارعٌ .

أما الماضي فلم نعثُر على شواهد لاستعماله ، ولكننا لانستبعد
استعماله حيث إنَّ الأمرَ والمضارعَ مستعملان ، كما أنَّ الأزهري
ذكر عن يونس بن حبيب أنه قال : " وَعَمَّتْ الدارَ ، أَعْمُ وَعَمَسًا ؛
أي قلتُ لها انْعَمِي " ^(٢) .

(١) شرح ديوان امرئ القيس . الأستاذ حسن السندوبي ص ١٥٨ التجارية
الكبرى بمصر ١٩٥٢ ، ومختار الشعر الجاهلي ص ٣٤ جمع الأستاذ
مصطفى السقا الحلبي بمصر ١٩٤٨ .

(٢) اللسان مادة وعم ص ١٦٨ .

يَنْبِغِي

ما كان لهذا الفعل أن يأخذ مكانه في بحثي هذا ، فهو فعل
متصرف ، لولا ما ذكره السيوطي في الهمع ^(١) وكذلك في المزهـر ^(٢)
نقلا عن ابن مالك في التسهيل ^(٣) . وفي كل هذه المواضع تنص
على أنه فعلٌ غير متصرف لا يأتي منه إلا المفسارع ليس غير ،
وقيل سُمع الماضي .

أما عن استعمال المفسارع ، فهذا ما لا شبهة فيه ، بدليل
الآيات " وما يَنْبِغِي للرحمن أن يتَّخَذَ ولداً " ^(٤) ، و " ما كان يَنْبِغِي
لنا أن نَتَّخِذَ من دونك من أولياء " ^(٥) و " وما يَنْبِغِي لهم وما
يستطيعون " ^(٦) و " لا الشمس يَنْبِغِي لها أن تُدْرِكَ القمرَ " ^(٧)
و " وما علمناه الشعرَ وما يَنْبِغِي له " ^(٨) و " قال ربِّ اغفرْ
لي وَهَبْ لي مُلْكًا لا يَنْبِغِي لأحدٍ " ^(٩) .

أما الماضي فقد نعت صاحبُ اللسان وصاحبُ القاموس وصاحبُ
المعاج على استعماله :

-
- (١) الهمع ٨٣/٢
 - (٢) المزهـر ٤٥/٢
 - (٣) التسهيل ص ٢٩٦
 - (٤) مريم : ٩٢
 - (٥) الفرقان : ١٨
 - (٦) الشعراء : ٢١١
 - (٧) يس : ٤٠
 - (٨) يس : ٦٩
 - (٩) ص : ٢٥

يقول ابن منظور : " ... هو من أفعال المطاوعة ، تقول
بَفَيْتَهُ فانبغي ، كما تقول كسرته فانكسر ويقال : انبَغَسِي
للان أن يفعل كذا ، أي صلح له أن يفعل كذا ، وكانسه
قال : طَلَبَ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَاتَّطَلَبَ لَهُ أَي طَاوَعَهُ ، وَلَكْتَهُمْ اجْتَسَرُوا
بقولهم : انبَغَسِي الشئ : تيسر وتسهل ^(١) ..

ويقول الفيروز آبادي " انبَغَسِي الشئ : تيسر وتسهل
وما انبَغَسِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَ وَمَا انبَغَسِي وَمَا يَنْبَغِي وَمَا يَنْبَغِي " ^(٢) .

ويقول الجوهري : " وقولهم يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَ كذا ، هو
من أفعال المطاوعة ، يقال : بَفَيْتَهُ فانبغي كما تقول كسرتُسه
فانكسر ^(٣) .

صحيح أننى لم أعمد على شاهد لاستعمال (انبغس) ، ولكن
عندما ينص أصحابُ ثلاثة من المعاجم الذين يوثقُ بهم على أن الماضِي
مستعملٌ ، فربما يكون في هذا شئٌ من الاطمئنان الذي يبعثُسه
الشاهد في النفس .

يُضاف إلى ذلك ما أورده أبو زيد الأنصاري في نواتره " ما
ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا ، وما يُنبغي بضم الباء ، وقيل
انبغى له " ^(٤) .

(١) اللسان ج ١٨ ص ٨٠ .

(٢) اللاموس المحيط ج ٤ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ .

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية ٢٢٨٣/٦ تحقيق أحمد عبد الغفور عطا
دار الكتاب بمصر .

(٤) النواتر ص ٢٣٩ .

فإذا سلمنا بأن المضارع والماضي كليهما مستعملان ، فمسألة
عن الأمر ؟ نقول إن القياس لا يمنع من وجود فعل الأمر (انبغ)
كما أن فعل الأمر من (ابتغى) موجودٌ وهو (ابتغ)^(١) ، وكل مسنن
الفعلين مزيد بحرفين الالف والنون ، ثم الالف والهاء إلا أن الفصل
(انبغ) غير مستعمل ، لأن معناه في الأمر بعيد عن أية مناسبة
تستدعي استعماله ، وما كان لإنسان أن يخاطب آخر أو يأمسه
بقوله (انبغ) ، وهذا يماثل تماما فعل الأمر (انكسر) .

(١) قال تعالى : " وَلَا تَجْهَرْ بِعَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا " الإسراء - ١١٠ .

أهلم وهسا

لقد جمعتُ بين هذين الفعلين لأنهما مشتركان في نـــــــســـــــدرة الاستعمال ، بل نستطيع أن نقول في عدم الاستعمال ، لا سيما في العصر الحديث ، هذه واحدة ، وأخرى أنهما مشتركان في وجسود حرف الهاء الذي هو بمشابة تشبيه وإعلام لما سيأتي بعده ، ولا بد أن نتحفظ فنقول إنَّ (ها) اسم فعل بمعنى خذ ، إلا أن لها اشكالاَ أخرى تُعد فيها فعلا ، وسنأتي إلى تفصيل ذلك .

فأما الفعل الأول (أهلم) فهو جواب من قيل له (هلسم) ، إذ يرد قائلا (أهلم) أو (لا أهلم) ، تماما كمن يؤمر بفعل الأمر: أتبل ، فيرد قائلا (أتبل) أو (لا أتبل) . جاء في اللسان ، إذا قالَ هَلُمَّ إِلَيَّ ، قلت : إلامَ أهلمُ ، وإذا قال لك : هَلُمَّ كذا وكذا ، قلت : لا أهلمه^(١) "ومِنْ شَمَّ فَيانَ (أهلم) لا يتصرف ، بل هو بسباق في زمن المضارع ، ليس ذلك بحسب ، بل المضارع المنسوب إلى المتكلم ، والهمزة في أوله دليل على ذلك ، فلا يقال يهلمُّ أو تهلمُّ كما هو الشأن في يقبل ، ونص السيوطي على أنه لم يستعمل منه الماضيين ولا الأمر في أكثر اللغات، كما نص أيضا على أنه يجيء بعد الحركتين (لا) و(لم)^(٢) كما ورد في (أهلم) عدة لغات هي :

أهْلِمُّ أهْلِمُّ أهْلِمُّ أهْلِمُّ^(٣)

(١) اللسان ج ١٦ ص ١٠٢ والمصاحح أيضا ج ٥ ص ٢٠٦ وشرح المفصل ج ٤ ص ٤١ .

(٢) الهمع ٨٢/٢ .

(٣) اللسان ج ١٦ ص ١٠٢ : الأولى بضم الهمزة وفتح الهاء وكسر اللام وضم الميم مع التشديد . والثانية مثلها إلا أن اللام مضمومة . الثالثة بضم الهمزة وفتح الهاء واللام وضم الميم مع التشديد . والرابعة بفتح الهمزة والهاء وضم اللام ، وضم الميم مع التشديد

غير أنني لم أعثر على شواهد لاستعمال هذا الفعل ممسما
يجعل هذه الأحكام غير متيقنة ، هذا إلى أن القياس والمنعصلة
لا يابيان مجزأة الماضي ، فيقال هَلُمَّتْ كَصَعَّرَتْ ، وَشَمَلَّتْ عَلَى
وزن فَعَلَّتْ ^(١) .

وقد بينا أن (أَهْلُمُّ) إنما هي جوابٌ مَنْ قِيلَ لَهُ (هَلُمَّ) ، فلا
باس إذاً من أن نبيّن أصلها بشيء من الإيجاز ، فأما الكوفيون
فَيَرَوْنَ أن الأصل فيها . هل أم ^(٢) . وزاد الرض تغليلاً فقال " قال
الكوفيون : أصله هَلَا أُمَّ ، (هَلَا) كلمة استعجال كما مر ، فَغُيِّرَ
إلى (هَلْ) لتخفيف التركيب ، وَنُقِلَ ضَمُّ الهمزة إلى اللام ، وَحُدِفَت
كما هو في القياس نحو (قد افلح) " ^(٣) . ويؤيد نسبة هذا
الرأي إلى الكوفيين أن الفراء قد أوردّه في (معاني القرآن) حيث
يقول " ونرى أن قول العرب (هَلُمَّ إِلَيْنَا) مثلها - يقصد مشسل
اللهم - إنما كانت (هل) فضم اليها (أُمَّ) ، فتركت على نصبها ^(٤) "
وأما البصريون فَيَرَوْنَ أن " أصلها (ها الممّم) فاجتمع ساكنان :
الألف من (ها) ، واللام من (المم) ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ،
ونقلت ضمة الميم الأولى إلى اللام ، وَأُدْغِمَتْ إحدى الميمين فسوى
الأخرى فصارت (هلم) ^(٥) وهذا الرأي نقله ابن يعيش عن
الخليل ^(٦) وكذلك رواه سيبويه حيث قال " كأنها (لَم) بضم اللام

(١) الخصائص ج١ ص ٣٧٨ .

(٢) الإنصاف ج١ ص ٢١١ .

(٣) شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترأبادي ج٢ ص ٧٣
بيروت ط ٢ سنة ١٩٨٢ م والآية هي الأولى في سورة المؤمنين .

(٤) معاني القرآن للفراء ج١ ص ٢٠٣ تحقيق أحمد يوسف نجاشي
محمد علي النجار الميثة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠ .

(٥) الإنصاف ج١ ص ٢١٤ .

(٦) شرح المفصل ج٤ ص ٤١ .

وفتح العيم وتشديدها ، ثم أدخلت عليها الهاء كما أدخلت على
(١) - (١٣) .

وإذا كانت شواهد (أَهْلُمُّ) معدومة فإن شواهد (هلم) كثيرة

يبقى بعد ذلك (هَلُمَّ) في لغة بني تميم التي عدّها بعضُ
النحاة فعلا غير متصرف يقول السيوطي : " وهلم التميمية لاسم
يستعمل منها إلا الأمر، أما الحجازية فهي اسم فعل لا تلحقه
الضائر " (٢) فينو تميم يجرونها كجرو الفعل في اتصال ضمائر
الرفع بها فيقولون هَلَمَّا ، هَلَمُوا ، هَلَمَّيْ هَلَمَمَنْ ، (٣) إلا أنها
وردت في القرآن الكريم على لغة الحجازيين ، قال تعالى : هَلُمَّ
شُهَدَاءَكُمْ (٤) ولم يقل هلموا ، ولهذا السبب - فيما نظن -
نهى الرضي عن أن لغة بني تميم ليست بالفصيحة ونحن نأخذ على
هذا المجال برأي ابن جنى أن اللغات تختلف ، ولكن كلّها حجة
وليس لك أن تورد إحدى اللغتين بصاحبتهما ، لأنها ليست أحقّ بذلك
من رسلتها، وضرب مثالا على ذلك (ما) التي أعمالها الحجازيون وبها
جاء القرآن ولم يعملها بنو تميم، ورأى أن الاثنين يقبلهم
القياس (٥) غير أننا لا نستطيع أن نقول مع السيوطي أن هَلُمَّ
التميمية فعل (جامد) بل هي باقية على أنها اسم للفعل ويدل ابن

(١) الكتاب ج٢ ص ٦٧ .

(٢) الهمع ج٢ ص ٨٢ .

(٣) شرح الكافية ج٢ ص ٧٣ .

(٤) سورة الانعام اية ١٥٠ .

(٥) شرح الكافية ج٢ ص ٧٢ .

(٦) السابق ج٢ ص ٧٣ .

(٧) الخصائص ج٢ ص ١٠ بتصرف .

يعيش على ذلك قائلًا : " واعلم أن بنى تميم وإن كانوا يحرونها مجرى الفعل في اتصال الضمائر بها لشدة شبهتها بالفعل وإفادتها إفادة الفعل ، فهي عندهم أيضًا اسم الفعل ، وليست مبناة على أصلها من الفعلية لئيل التركيب والضم ، والذي يدل على ذلك أن بنى تميم يختلفون في آخر الأمر من المضاعف، فمنهم من يُتَّبِعُ ، فيقول (رُدُّ) بالضم و(فَرَّ) بالكسر ، و(عَضَّ) بالفتح ، ومنهم من يكسر على كل حال ، فيقول رُدُّ و(فَرَّ) و(عَضَّ) بكسر الأواخر ، ومنهم من يفتح على كل حال ، ثم رأيناهم كلهم مجتمعين على فتح الميم من هلم لم يحدُّ يكسرهما ولا يضمها ، فدل ذلك على أنها خَرَجَتْ عن طريق الفعلية وأُخِلَّتْ اسمًا للفعل نحو دوتك ورويدك وعندك " (١) .

وأما (هَأَ) " فهو اسمٌ لخذ، وفيه ثمان لغات (٢) أوردها الرضي ، نتخذ منها ثلاث لغات " تكون فيها أفعالًا غير متصرفة لا ماضي لها ولا مضارع وليست بأسماء أفعال " (٣) .

فأما الأولى فهو أن تستبدل بالالف همزة ساكنة فتصبح هَأُ وتتصرف تصرف ذر ودع فيقال هَأُ وهَيءُ وهَأُ وهَمُّوا وهَأَنَ .

وأما الثانية فهي كالأولى إلا أنها تتصرف تصرف خذ فيقال: هَأُ هَيئى ، هَأَأُ ، هَأُوا ، هَيَأَنَ .

وأما الثالثة فهي كالأولى أيضًا إلا أنها تتصرف تصرف نساء

(١) شرح المفصل ج٤ ص ٤٢ و ٤٣ .

(٢) شرح الكافية ج٢ ص ٦٩ .

(٣) السابق ج٢ ص ٧٠ .

فيقال هاءٌ وهائِى وهائِيا وهائِوا وهائِين^(١) ومن هذه اللفظة قولُ
الشاعر :

ومُرِيحٍ قَالِ لِي : هَائِ إِ فَقُلْتُ لَهُ ^(٢) حَيَّاكَ رَبِّي لَقَدْ أَحْسَنْتَ بِي هَائِى

فالمُورَةُ واحدةٌ إِذْ أَوْلَكَنَّ الاختلافَ فى طريقةِ التصريفِ. ومن
اللفويين من يرى أن هاءَ بكسر الهمزة تعنى هاتِ ، وبفتحةا (هاءٌ)
بمعنى خُذَّ^(٣) .

وكما أن (أهلم) ردٌّ وجوابٌ عن (هلم) ، كذلك (هأه) لها
جوابٌ وهو (أهأه) وهو فعلٌ غيرٌ متصرفٍ لم يأت فيه إِلا المضارعُ
المنسوبُ إلى المتكلم. قال الرضى ، " وإذا قيل لك (هأه) بالفتحة
قلت ما أهأه أى ما أخذُ وما أهأه على ما لم يسمَّ فاعله أى ما
أعطى " ^(٤) . وقد أورد السيوطي هذا الفعلَ إِلا أنه حذف الهمزة التى
فى آخره قال " و(أها) مبنى للفاعل بمعنى أخذ ، وللمفعول بمعنى
أعطى ، لم يستعمل منه غيرُ المضارع " ^(٥) .

ويجدُرُ بنا أن نقولَ إنَّ كلَّ هذه الصورِ من الفعلين أهلم أهلم
وها قد هجرت الآن، ولم يبق من هذه المادة إِلا (هلم) التى قيسل
إنَّ جوابها أهلم .

(١) السابق ج٢ ص ٦٩ و ٧٠ بتصريف وشرح المفصل ج٤ ص ٤٣ و ٤٤ .

(٢) اللسان مادة ها ج ١٥ ص ٤٨٢ .

(٣) الصحاح ج١ ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) شرح الكافية ج٢ ص ٧٠ .

(٥) جمع الهوامع ج٢ ص ٨٢ .

هَاتِ وتَعَالَى

وقد جمعنا هذين الفعلين معاً ، لأنهما من أشهر الأفعال غير المتصرفة وأكثرها استعمالاً ، ولأنهما اتَّحَدَا في صيغة الأمر .

ولعلَّ هناك شيئاً من التجاور في جعلنا الفعلَ (هَاتِ) فعلاً غير متصرف ، إلاَّ أنَّ هذا التجاور ربما كان له ما يبهره ، ففسد ذكر صاحب اللسان أنَّ (هَاتِ) فعلٌ أمرٌ من هَاتَيْ يَهَاتِي مَهَاتَاءً بسوزن مُعَاغلة مثل مَاطَى يُعَاظِي^(١) ، وتحقيقتنا لهذه المشابهة ، ففسد وضعه صاحب اللسان في باب الواو والياء فضل الهاء : هَاتِ مَشْـمُولٌ فطاً ، ولم يَعدَّ الأصلَ فيه هَيْت ، وكذلك فعل صاحب القاموس المحيط^(٢) .

وذكر المرحوم الشيخ محمد محيي الدين أنَّ (هَاتِي) (بفتح الهاء) على مثال قَاتِي يُقَاتِي^(٣) .

وذكر السيوطي هذا الفعلَ (هَاتِي) مع الأفعال غير المتصرفة ، إلاَّ أنه قال " وربما قيل هَاتِي يَهَاتِي " ^(٤) .

وتصَّ ابنُ الأنباري على أنَّ المضارع من هذا الفعل كان مستعملًا " فإِذَا قَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ : هَاتِ يَارَجُلُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ لَهُ : لَا أَفْعَلُ . قَالَ : لَا أَهَاتِي " ^(٥) .

(١) اللسان مادة هَاتِ ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٢) القاموس المحيط مادة هَاتِ ج ٤ ص ٤٠٥ .

(٣) شرح تذوق الذهب هامش ص ٢٩ .

(٤) همع الهوامع ج ١ ص ٨٢ .

(٥) شرح القاصد السبع الطوال ص ٥٦ .

وهناك شطر من الرجز أنشده ابن منظور وابن يعيش ولسم
أقف على قائله وفيه المضارع : لك ما يعطى وما يهاتى^(١) .

من الواضح إذن أن هذا الفعل متصرف ، ولكن المبرر الذي من
أجله وضعه السيوطي في باب الأفعال غير المتصرفة^(٢) أن كل هذه
التصرفات قد أميتت، ولم يبق إلا الأمر فقط فكانه بذلك
قد نزل منزلة الفعل غير المتصرفي . وقد نص على ذلك ابن منظور
حيث يقول " ولكن العرب قد أماتت كل شيء من فعلها غير الأمر^(٣) ،
فيقال : هات ، وهاتيا ، وهاتوا وهاتى وهاتيا وهاتين^(٤) .

قال امرؤ القيس :

إذا قلت هاتى تولىبني تمايلت^(٥) علق هبيم الكنج ربا المظحل

وربما اتعلت به هات المطعول به ، فيقال :

هاتو ، هاتيا ، وهاتوه ، وهاتيو ، وهاتينه^(٦) .

ولم يأت هذا الفعل في القرآن الكريم إلا في صيغة الأمر
العسند إلى واو الجماعة (هاتوا) كقوله تعالى : " قل هاتوا^(٧)
برهانكم إن كنتم صادقين " .

(١) اللسان مادة هتا ج ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المفصل ج ٤ ص ٣٠ .

(٢) معجم الهوامع ج ٢ ص ٨٢ .

(٣) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٤) شرح الصائغ للسبع الطوال ص ٥٦ .

(٥) السابق ص ٥٦ . (٦) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٧) البقرة آية ١١١ ، وقد جاء أيضا في الأنبياء - ٢٤ والنمل

- ٦٤ والقصص - ٧٥ .

وينفرد الزمخشري من بقاى النحاة بأنه يعدّ هذه الكلمة (هات) اسمَ فعلٍ وليست فعلاً ، وقد ذكرها فى أول مبحث أسماء الأفعال والأصوات وتابعه فى ذلك شارح مغلله دون اعتراض عليه . قال الزمخشري " أسماء الأفعال والأصوات ، وهى على ضربين وهات الشئ أى أعطينه " (١) . وقال ابن يعيش شارحاً قولَ الزمخشري : " ومن ذلك هات الشئ أى أعطينه ، وهو اسمٌ لأعطنى وناولنى ونحوهما ، وهو مبنىٌ لوقوعه موقعَ الأمر ، وكُسِرَ لالتقاء الساكنين الألف والتاء وكأنه من لفظ (هَيْت) ومعناه " .

ووافق أنّ ابن يعيش جعل أصلَ المادة (هَيْت) من حيثُ اللفظ والمعنى لكن يستقيم رأيه أنّ (هات) اسمُ فعلٍ ، بعكس ما فصل صاحبنا اللسان والقاموس المحيط اللذان جعلّا أصلَ المادة (هتا) كما سبق .

وقد ردّ ابن هشام وكذلك الشيخ محمد محيي الدين على قول الزمخشري بأنّ (هات) فعلٌ بدليل اتصال فاعل الرفع البارزة بها ، ثم أنشد ابن هشام بيت امرئ القيس إذا قلتُ هاتى دليلاً على فعلية (هات) لاتصال ياء المخاطبة به ، أما اسمُ الفعل فهو كالعُثْل لا يتغير فتقول منه للواحد والاثنين والجماعة .

وربما كانت (الهاء) التى فى أول (هات) هى التى أوهمت

(١) شرح المفصل ج٤ ص ٢٥ .

(٢) السابق ج٤ ص ٢٠ .

(٣) شرح شذور الذهب ص ٢٨ و ٢٩ وانظر هامشيها .

الرمخشريّ أن الكلمة (هات) اسمُ فعلٍ ، لأنَّ هناك كثيراً من أسماء الأفعال والأصوات تبدأ بحرف (الهاء) نحو : هَا وَهَيْتَ ، وَهَبَاتٍ وَهَلَا وَهَى ... (١)

وقد رأى بعضُ النحاة - ربما من أجل رفع هذا الوهم - أنَّ (الهَاء) في (هات) إنّما هي مبدلةٌ من الهمزة ، فالأصل آتيسس يواتس (٢) ، ولا يُستبعدُ مثلُ هذا الرأي ، فهناك كثيراً من حالات هذا الإبدال كقول رجلٍ من نُحَيَّرٍ فيرٍ معروفٍ :

أَلَا يَا سَنَا بَرَّقِي عَلَيَّ قَلِيلَ الْيَمِينِ * * * لِيَهَنَّكَ مِنْ بَرَقِي عَلَيَّ كَرِيمِ (٣)

أي لأنك :

وكبيت الشعر الذي لم يُعرف قائله :

وَأَتَى مَوَاجِبُهَا فَقُلْنَ : هَذَا الَّذِي * * * مَنَحَ الْمَوَدَّةَ لِمَبْرِنَا وَجَفَانَا (٤)

أي أذا والهمزة للاستفهام .

(١) انظرُ مبحثُ أسماء الأفعال والأصوات في شرح المفضل ج٤ ص ٢٥ والكافية ج٢ ص ٦٥ وشرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ١٩٦ وغيرها من المراجع .

(٢) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المفضل ج٤ ص ٢٠ .

(٣) مفضي اللبيب ص ٢٠٤ .

(٤) السابق ص ٤٥٥ .

وكتول الشاعر :

لَهَنَكَ مِنْ عَيْسِيَّةٍ لَوْسِيْمَةً * عَلَى هَفَوَاتٍ كَاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا^(١)

ويقال : أَرَقْتُ الْمَاءَ وهناك من يبدل من الهمزة هاء فيقول
هَرَقْتُ الْمَاءَ .^(٢)

ولا يُستبعد مع هذه الحالات أن يكون آتِي يُؤَاتِي هي الأصل
في هَاتِي يُهَاتِي ، وبذلك تدفع وهم من رأى أن هات اسم فعل .

كان هذا من فعل الأمر (هات) فمادا عن (تعال) ؟ إنَّ التاء
في (تعال) زائدة كقولك في الأمر تَعَلَّمْ وَتَمَرَّنْ وَتَفَضَّلْ . وقد ذكر
ابن منظور هذا الفعل - تعال - في مادة علا، وذكر من اشتقاقاتها
علا ويعلو وحرف الجر على واستعلى والأعلى ، وَعَالِيَّتُهُ عَلَى الْحِمَارِ
وَعَالِيَّتُهُ عَلِيَّةٌ وَنَاقَةٌ عَلِيَّةٌ وَعَلِيَّانُ أَي مَرْتَفَعَةُ السَّيْرِ ، وَالْعَلِيَّوْنَ
الَّذِينَ يَنْزِلُونَ أَعَالَى الْبِلَادِ .. " .^(٣)

فكل اشتقاقات هذه المادة تدل على العلو والارتفاع ، ومن
كَمْ كان فعلُ الأمر (تعال) بمعنى ارتفع واسمٌ ، وهو من تَعَالَى
يَتَعَالَى كَتَرَامَى يَثْرَامَى " .^(٤) فهذا هو الأمر ثم الماضي ثم المضارع
فكيف يكون الفعلُ فيرّ متصرفاً إنَّ عدمَ التصرف هنا مقترونٌ باستعمال
معين لا يتعداء ، وذلك إذا استعملت (تعال) في النداء بمعنى (أقبل)

(١) الإنصاف ج١ ص ١٢٩ .

(٢) شرح القوائد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥ .

(٣) اللسان مادة علا ج١ ص ٢٢٤ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٨٢ .

ففي هذه الحالة يقتصر الاستعمال على الأمر دون غيره ، " فلا تقول تعاليت ولا ينهى عنه " (١) .

وأملُ الفعل (تعال) كما يتبين من معناه " طلب الإقبال من مكان مرتفع تفاؤلاً بذلك وإدناً للمدعو لأنه من العلو والرفعة ، ثم توسع فيه فاستعمل في مجرد طلب مجيء حتى يقال ذلك لمن تريد إهانتته كقولك للمدعو : تعال، ولمن لا يعقل كالبهاشم ونحوها، وقيل هو الدعاء لمكان مرتفع، ثم توسع فيه حتى استعمل في طلب الإقبال إلى كل مكان حتى المنخفض " (٢) . ولا يُبالون أين يكون المدعو في مكان أعلى من مكان الواعي أو مكان دونه " (٣) .

أما إذا استعمل في غير النداء فهو متصرف كأن تقول تعالني فلان من المفاخر " أي بعد وارتفع ، وكان يتعالى عليه " أي ينأى بجانبه ويتكبر . وكما قلنا في (هات) نقول في (تعال) " إتهما فعل أمر صريح وليس باسم فعل لاتصال المفاخر المرفوعة البارزة به : تعالينا وتعالوا وتعالني وتعالين ، وجاء هذا الفعل مسنداً إلى السبي واد الجماعة في القرآن الكريم سبع مرات (٤) كما جاء مسنداً إلى نسوة النسوة مرة واحدة (٥) .

ونظن أن هذين الفعلين في صيغة الأمر : هات وتعال كثر استعمالهما الآن ، لا سيما على ألسنة العوام .

(١) اللسان ج ١٩ ص ٢٢٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٢٨٢ .

(٣) اللسان مادة علا ج ١٩ ص ٢٢٤ .

(٤) آل عمران : ٦١ و ٦٤ و ١٦٧ والنساء : ٦١ والمائدة : ١٠٤ .

الانعام : ١٥١ والمنافقون : ٥ .

(٥) الأحزاب : ٢٨ .

بِهَيْطٌ وَيَسْوِي

هذان الفعلان غير مستعملين . فأما الأول فقد أميت ، وقد ذكره السيوطي في الهمع حيث قال : " وبهيط : يصيح ويضع ، لسم يستعمل إلا مغارما . يقال : ما زال منذ اليوم بهيط هبطسا .^(١) وقد ذكره ابن مالك أيضا في التسهيل .^(٢)

وقد اقترن لفظ (الهِيطُ) بلفظ (النَّبِيطُ) ، فيقال هَيْطٌ وَمَيْطٌ أي سباح وجلبة أو دنو وتساعد . والهاشط الذاهب ، والهاشط الجاش .^(٣)

والذي أظنه أن هذين اللفظين وأشباههما كانا من نطق عوام العرب في عصور قديمة ، يدلُّ على ذلك اختلاف عين الكلمة فيهمسا وفي أشباههما فيقال " مهايطة مهايطة ومعايطة ومسايطة " ثم إن النحاة - من بعد - قد وقعوا اسمي الفاعل (هاشط وماشط) ، والفعل المضارع (بِهَيْطُ) ، فقالوا " ما زال منذ اليوم بهيسط أي يصيح " .^(٤)

ولم أجد فيما اطلعت عليه من مراجع نحوية ولغوية - عدا همع الهوامع وتسهيل الغواشد واللسان - شواهد لاستعمال هسسسا للفعل أو اسمي الفاعل ، بل لم أجد ذكرا للفعل نفسه أو لاسمسي الفاعل . وقد نص ابن منظور على أن هذا الفعل قد أميت .^(٥)

(١) همع الهوامع ٨٣/٢ .

(٢) التسهيل ٢٤٧ .

(٣) اللسان مادة هيظ ج٩ ص ٣٠٢ .

(٤) السابق ٣٠٢/٩ .

(٥) السابق ٣٠٢/٩ .

ولكنَّ الشيءَ اللافتَ للنظر هنا أنَّ ابنَ منظورٍ قد جمعَ بين (مَهَاطِطَة
وَمَسَاطِطَة وَمَعَايِطَة وَمَمَاطِطَة) ، فقال " يقال بينهما مهاططة
ومساططة ومعاططة ومماططة ؛ أي بينهما كلامٌ مختلفٌ " فهل هناك
علاقة بين هذه الكلمات ؟ أو قل هل هناك علاقة بين مادة هيط التي
نحن بمددها وبين المواد الميطة وميطة وسيطة ؟

لقد رأينا أنَّ الفعلَ (يَهِيْطُ) بمعنى يصيح ، وهو غير
متصرف ، فلا يستعمل الماضي هاط ولا الأمر هط . غير أنَّ اقترانَ
(هيط) بـ (ميطة) في قولهم : " مازال في هيط وميطة " وفي قول
الفراء " تهايط القوم تهايطا " إذا اجتمعوا وأملحوا أمرهم ،
وتمايطوا إذا تباعدوا ^(١) " يشير في النفس الظنَّ أنَّ (هاط) كسان
متصرفاً ومستعملاً ، لأنَّ ماط الذي اقترن به متصرفٌ مستعملٌ . فسال
الأعشى مستعملاً المفارع والأمر :

فَمِيْطِي تَمِيْطِي بِمَلْبِ الْفُرَادِ * * * وَوَسَالِ حَبَلِي وَكُنَادِهِ ^(٢)
وقال المثقب العبدى :

وَلَكِنَّهَا مِمَّا تَمِيْطُ مَسْوَدَةً * * * بِشَاشَةِ أَدْنَى خَلِيٍّ تَسْتَفِيْدُهُ ^(٣)
وماط وأماط بمعنى بُعد وتنحى ، ومنه إماطة الأذى عن الطريق ،
وحديثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم " .. فإذا وقعت لقمة أحدكم
فليأخذها ، وليميط ما كان بها من أذى وليأكلها ... ^(٤)

وأما مادة عيط فلها كثير من الاشتقاقات ، فعنها ما طسيت
الناقة عيَاطاً وتعيطت ، واعتاطت أي لم تحمل سنيين من غير عقر ،
والأعبطُ العالى ، قال سويدُ بن كاهل اليشكري :

مَلْعِيَا يَرْدِي صَفَاةً لَمْ تَرِمَ * * * فِي ذُرَى أَعْيِطَ وَفِي الْعَطَلِ ^(٥)

(١) اللسان مادة هيط ج ٩ ص ٣٠٢ ومادة ميطة ج ٩ ص ٢٨٦ .
(٢) في ديوانه القصيدة الشامنة ، البيت الثالث ومجزه : ومول حسبال
وكنادها .
(٣) المغلبيات ص ١٤٩ .
(٤) اللسان ج ٩ ص ٢٨٦ .
(٥) صحيح مسلم ج ٦ ص ١١٤ كتاب الأشربة . ط صحيح دون تاريخ .
(٦) المغلبيات ص ١٤٩ .

وقال حارث بن حلزة :

قَبَلْ مَا الْيَوْمِ بَيَّضَتْ بَعْيُونِ الْ ^١ شَانِ لِيهَا تَعْيِطُ وَإِنْسَانُ
(١) أي ارتفاع وامتناع .

وأما سَاطَ ، فَالسَّوْطُ خُلْطُ الشَّيْءِ ، بَعْضُهُ بَعْضٌ ، وَسَاطَ الشَّيْءُ
سَوَّطًا وَسَوَّطَةً ^(٢) ، خَافَهُ وَخَالَطَهُ . قَالَ كَعْبٌ :

لَكُنَّهَا خَلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ نَرْمِهَا ^٣ فَجَّ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ ^(٢)
وَسَمَى السَّوْطُ سَوَّطًا ، لِأَنَّهُ إِذَا سَيْطَ بِهِ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ خُلْطَ السَّدْمُ
بِالْحَمِّ . قَالَ الشَّمَاخُ :

فَمَوَّبَتْهُ كَأَنَّهُ مَوَّبٌ غَيْبِيٌّ ^٤ عَلَى الْأَمْعَرِ الشَّاحِي إِذَا سَيْطَ أَخْرَأَ ^(٥)
وَقَدْ أوردتُ كُلَّ هَذِهِ التَّصَوُّصِ لِأَنَّ مَا اقْتَرَنَ بِالْفِعْلِ
(بِهَيْطٌ) مَتَعَرَفٌ مُسْتَعْمَلٌ ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ مِنَ الظَّنِّ أَنْ (بِهَيْطٌ)
نُظْمَةٌ كَانَتْ مَتَعَرَفًا وَمُسْتَعْمَلًا ، ثُمَّ إِنَّهُ تَلَاشَى تَدْرِيجِيًّا حَتَّى انْقَرَضَ
رَأْمِيَّتٌ .

(١) شرح المعطيات ص ٤٥٨ .

(٢) اللسان ج ٩ ص ١٩٨ .

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٨ . تحقيق السكري . دار الكتب ،
١٩٥٠ .

(٤) اللسان ج ٩ ص ١٩٨ .

(٥) بحثت في ديوانه ص ٢٦ (بتحقيق الشنقيطي . مطبعة السعادة
١٣٢٧هـ) ، فلم أجد هذا البيت ، ووحدت نصيدة كاملة مسن
البحر الطويل عليه وحرف رويه الراء ونفس القافية ، ولكنني
لم أجد هذا البيت منها ، والظاهر أنه سقط ، أو أنه زائد
فيما اطلع عليه ابن منظور .

وأما الشانِس (يَسَوِي) فقد وضعه السيوطيُّ أيضًا في مسنداد الأفعالِ لغير المتصرفِ ، حيث لم يُستعملْ إلا الضارعُ ولكنَّ أبسنَ مالكٍ لم يذكره في التسهيل ^(١) .

وهناك أكثرُ من نحويٍّ ونحويٍّ أنكروا وجودَ هذا الفعلِ ، أو حكموا بندرته وبيان المستعمل هو سَاوَى يُسَاوَى . قال الفراءُ : هذا الشيءُ لا يُساوي كذا . ولم يعرف يَسَوَى كذا ^(٢) وأيدَه في ذلك الأزهريُّ وقال : " وقول الفراءُ صحيح " . وقال الليث : " يَسَوَى نادرة ولا يقال منه سَوَى ولا سَوَى " وقد روى من الشافعي : " وأما لا يَسَوَى فليس بعربي صحيح " ^(٣) .

ونظن - بعد أن رأينا أن (يَسَوَى) غيرُ مستعملةٍ ويساوي هي المستعملة - أن (يَسَوَى) معدولةٌ عن يساوي إن صح هذا التعبيرُ ^(٤) وربما كان هذا المعدلُ لهجةً من اللهجات أو هو للتخفيف من المعد الذي في (يساوي) وأنه كان نطقًا نفيًا من العرب ثم انقرضَ هذا النطقُ بعد ذلك .

(١) معجم الهوامع ٨٣/٢ .

(٢) الصحاح ج ١ ص ٢٤٨٥ .

(٣) اللسان ج ٩ ص ٣٠٢ .

(٤) أخذنا هذا الاصطلاح من قول النحاة في باب الممنوع من الصرف إنَّ عمرَ معدولٌ عن عامرٍ وزفرٌ معدولٌ عن زافرٍ .

نَكْرَ

ورد هذا الفعل في قول الله سبحانه وتعالى : فَلَمَّا رَأَى
 أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ^(١) .

وورد أيضا في قول الأعشى :

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَّرْتَ ^(٢) * * * من الحوادثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالْمَلَمَّةَ ^(٣)

وفي قول أبي ذؤيب :

فَنَكَّرْتَهُ ، فَتَفَرَّنَ ، وَأَمْتَرْتَهُ بِهِ * * * سَطَعًا هَادِيَةً وَهَادٍ جُرْمًا ^(٤)

وفي جميعها استعمل الفعل (نكّر) في زمن الماضي ولم يجس،
 المضارع ينكر بفتح الياء ، وأقول بالفتح لأن المضارع بضم الياء
 جاء كثيرا وهو ماضي أنكّر .

وقد جاء في اللسان " أن نكّر لم تستعمل في غابر ولا أمر
 ولا نهي " ^(٤) . وقد شككت في معنى غابر : هل هي بمعنى الماضي ؟
 فرجعت إلى اللسان أيضا (سادة) غير موجودة أن الفعل تَهَيَّرَ بمعنى
 ذهب وبمعنى مكث زهق ، والغابر الماضي والغابر الماضي وهو مسن

(١) هود - ٧٠ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ، القصيدة الثالثة عشرة . تحقيق د. محمد
 محمد حسين بيروت ط ٢ ١٩٦٨ .

(٣) شرح المفطليات ص ٨٦٧ .

(٤) اللسان ج ٧ ص ٩١ .

الأضداد . وقال الأزهري " المصروف والكثير أن الغابر الباقسي
قال : وقال غير واحد من الأئمة أن يكون بمعنى الماضي " (١)

وعلى ذلك فإن معنى غابر في قول ابن منظور بمعنى باق
أي مضارع .

وحقيقة الأمر أن نكر وأنكر لغتان، ولكن المضارع يُنكر
(بضم الياء) مستعمل للثنتين ولم يجيء المضارع من (نكر). والذي
يبدل على ذلك :

١ - أن الطبري في تفسيره للآية الكريمة " نكرهم وأوجس
منهم خيفة " (٢) قال : " نكرت الشيء وأنكرته وأنكرتُسه
وأنكرته بمعنى واحد . فجاء بالمضارع يُنكر بضم الياء للماضي
الرباعي وجعله للثلاثي أيضا ولم يجيء له يُنكر بفتح الياء ، وأنه
عندما تعرض لبيت الأمشى .

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والملعا
قال : " فجمع بين اللغتين " أي أنكر ونكر (٣)

٢ - كسر القرطبي ما قلده الطبري وزاد عليه أن نكرت لما شراه
بمعينك وأنكرت لما شراه بقلبك (٤)

(١) اللسان ج٦ ص ٢٠٥ .

(٢) هود / ٧٠ .

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان ٠٠٠) ج٥ ص ٢٨٨ تحليلي
محمود شاكر دار المعارف ١٩٦٠ .

(٤) تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) ج٩ ص ٦٦ دار الكتب
المصرية ٩٢٩ .

٣ - قال شارح ديوان الأعشى عندما علق على بيته الصاهسسيق
 " نِكْرَهْ وَأَنْكِرَهْ : جهله ولم يعرفه ^(١) " فلفظ الرباعي علسى
 الثلاثي مما يدل على أنهما بمعنى واحد .

فإذا عرفنا أنَّ (نِكْر) و(أَنْكِر) لغتان جار لنا أنَّ نقول إنَّ
 الثلاثيَّ هو الأصلُ ، وأنه كان لهجةً من اللهجات القديمة ، وكان له
 مضارعٌ (بفتح الياء) ثم تعدى الماضى بالهمزة فأصبح (أَنْكَسِر)
 ومضارعه يُنكِر (بضم الياء) ، ثم أصبح هذا اللفظ هو المضارع لكل
 من الثلاثي نكر والرباعي أنكر ، وذلك بعد أن هُجِر المضارعُ يَنْكَسِر
 (بفتح الياء) ، وصار الاستعمالُ مقصوراً على ما فيه لفظ (نِكْر) .

(١) شرح ديوان الأعشى القصيدة الثالثة عشرة .

هـ

فنى عن القول أن (هَدَّ) فعل متصرف بمعنى هدم وكسر^(١) ،
ولكنه فى استعمالٍ خاصٍ دالٍ على المدح لم يجرى هذا الفصلُ إلا
ماضياً ، وذلك فى مثل " مررت برجلٍ هَدَّكَ من رجُلٍ " ، أى
أثقلك وصفُ محاسنه^(٢) وواضحٌ أنَّ هناك علاقةً معنويةً بين
الفعل (هَدَّ) بمعنى المام وبين معناه فى المدح " أثقلك أو
أعجزك وصف محاسنه " وأنشد ابنُ الأعرابي شطراً عن الطويل :
وَلِيَّ صَاحِبٍ فِي الدَّارِ هَدَّكَ صَاحِبًا^(٣) .

فـ (هَدَّكَ صَاحِبًا) و (هَدَّكَ مِنْ صَاحِبٍ) لا فرق بينهما
إلا فى الحرف (من) وهو حرف جر زائد .

على أن هناك استعمالاً آخرَ لهذا الفعل ، وفيه يكون أيضاً
غيرَ متصرفٍ وذلك عند دخول لام التوكيد عليه ، فيقال : كَهَدَّ
الرَّجُلُ^(٤) . أى ما أجلده وما أشده ، تماماً كما يقال " لنعمم
الرجل " ، ومنه قول أبي لهب " لهَدَّ ما سَحَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ " ويكُون
الاستعمالُ هنا للتعجب وليس للمدح .

وفى (هَدَّكَ مِنْ رَجُلٍ) لفئتان فمنهم من يُجرىه مجرى المصدر
فلا يثنى ولا يجمع ، ومنهم من يثنى ولا يجمع ، ومنهم من يثنى ويجمع
فيقول : هَدَّكَ وَهَدَّوكَ وَهَدَّتَكَ وَهَدَّتَاكَ وَهَدَّتَكَ^(٥) .

-
- (١) القاموس المحيط ج١ ص ٣٦١ . (٤) السابق ج٤ ص ٤٤٤ .
(٢) الهمع ٨٢/٢ . (٥) القاموس ج١ ص ٣٦١ .
(٣) اللسان ج٤ ص ٤٤٤ . (٦) النهاية فى غريب الحديث ج٤
ص ٢٥٧ .
(٧) اللسان ج٤ ص ٤٤٤ .

نقاشج البحث

وبعد ...

فَلَعَلَّسَ أَكُونُ أَوْلَ من جمع الأفعال غير المتصرفية وشبه المتصرفية ،
وتناولها بالدرس والتحليل والتمحيص والتأصيل ، وبَيَّنَّ
استعمالاتها المختلفة ورصد التطور في هذه الاستعمالات ، واجتهد
في بيان أسباب عدم تصرفها ، وهي أسباب تَمَّتْ بِمَطْلَقٍ لِبَيِّنَةٍ بعض
هذه الأفعال أو لأحكام استعمال بعضها ، أو لَأَنَّ بعضها قد أُمِيتَ
وَحَلَّتْ محلها أفعال أخرى .

ولم أرتض في بداية البحث التسمية الشائعة لهذه الأفعال
وهي (الجامدة وشبه الجامدة) ورأيت أن التسمية اللائقة بهما
هي الأفعال غير المتصرفية وشبه المتصرفية ، ذلك أن الجامد هو ما لم
يؤخذ من غيره ، وهذه الأفعال قد أُخِذت من غيرها ، فكيف تكون
جامدة ؟ ثم إنَّ الجامد عكس المشتق والاشنان قسمان للاسم ،
أما التصرف وعدم التصرف فهما قسمان للفعل ، اصطلح على ذلك
جمهور النحاة ، إلا أنَّهم عندما جاؤا إلى الأفعال موضوع بحثنا
أطلقوا عليها الأفعال الجامدة وهذا ليس وقعوا فيه ، وربما كانوا
يقصدون بالجامد عكس المتصرف ، وليس عكس المشتق .

هذه الأفعال إذاً ليست جامدة ، بل إنَّها اشتقت أو أُخِذت من

غيرها ، من أجل هذا بَحَثْنَا في الاشتقاق فوجدناه نوعين :

(أ) الاشتقاق بمعناه العام Derivation ، كان تشتقُّ من الكلمة اسمَ فاعلٍ أو اسمَ مفعولٍ أو مفعلاً مشبهةً أو ... وهذا هو الاشتقاقُ المتعارفُ عليه مدرسياً ..

(ب) الاشتقاق التاريخي Etymology ، وهو تتبع التاريخي لمعاني المشتقات من الكلمة الواحدة ، أو إرجاعُ معنى مسن المعاني إلى اشتقاقه من كلمة ما لعلاقة دلالية قديمة تجمع بينهما ، وقد ذكّر السيوطيُّ في مُزهره ، ويقاوت في معجم البلدان ، وفندريس في كتابه (اللغة) أمثلةً كثيرةً لهذا النوع من الاشتقاق ، فـ (مِنَى) مثلاً سُميت بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء ، والسُّنْدُ بلادٌ بين الهند وكرمان وسجستان ، قالوا السند والهند كانا أخوين من ولدِ بوفير بن يقظان بن حام بن نوح ، يقالُ للواحد من أهلها سندي والجمع سنسد ، وماريشال إنما كان اشتقاقها من خادم الاصطبل في الألمانية القديمة ... إلى آخر ما جاء في هذه الكتب الثلاثة .

ولم يكن ذكرُ الاشتقاق التاريخي عبثاً أو إطالةً للبحث ، ذلك أننا اعتمدنا عليه في تأصيل أغلب الأفعال موضوع بحثنا ، بالرجوع تاريخياً إلى أصل المادة التي اشتقَّ منها الفعلُ وبيانِ العلاقة الدلالية بين أصل المادة والفعل ، وربما استعنا في ذلك أيضاً بالمقارنة اللغوية .

فاللعل غير المتصرف (لَيْسَ) مثلاً شواه مكوّناً من لا النافية والفعل أيس بمعنى يوجد أو يكون ، بدليل قولهم لَا يَعْرِفُ أَيَسَ مَيْسَنَ

كَيْسَ ، أي لا يعرف ما يكون مما لا يكون . والخليل يرى الأصلَ فيها لا آيس ثم طرحت الهمزة والزنت اللام بالياء وهي في العبرية تتقارب في نطقها مع العربية بعد ابدال السين شيئا .

والفعل (نِعَمَ) يَرْجِعُ إِلَى مادته الثلاثية (ن ع م) التي تَسُدُّ على الترف وسعة العيش ويحبوحتة والرخاء . وكُلُّهَا معانٍ تسدُّ إلى المدح الذي يدل عليه الفعلُ غيرُ المتصرف (نعم) والسدي وجسد بعد وجود هذه المعانسي .

وكذلك الحال في نقيضه (بش) فتجدُ فكرة الاشتقاقِ التاريخي متحققةً أيضا ، فالمادة الثلاثية تشير إلى الضك والضييق والبؤس ، فيُرجَّحُ أنها في زمن ما قد استعملت في معنى متقارب لهذه المعانسي وهي الذم ، ثم استمر هذا المعنى مستعملا إلى الآن .

وحيدا مكونة من حَبٍّ واسم الإشارة ذا ، وواضحٌ أن معنسى المدح قريبٌ من (حب) بل ملتصق بها ، فالإنسان لا يمدح إلا ما يجبُ والفعل (لا يكون) انتزع من استعماله كفعل ناقص ، ووقع في أساليب الاستثناء على حالته تلك دون أن يتعداها إلى ميغسة أخرى (كالماضي مثلا ...) ، ويدل على هذا (الانتزاع) أنه محدود الاستعمال ، إن لم يكن نادره ، في أسلوب الاستثناء ، وهذا لم يتم في فترة محدودة ، بل هو نتيجة للتطور في الاستعمال وهكذا نجد أن فكرة الاشتقاق التاريخي متحققة في معظم هذه الأفعال .

والأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة من (كان وأخوتها) هي:

لا يكون وليس ودام وزال وفتى ، وبرج وانفك .

فأما (لا يكون) فهو غير متصرف في حالة خاصة به . وذلك
 عندما يكون فعلاً من أفعال الاستثناء . ولا يوجد شاهد على ذلك .
 وكذلك الحال بالنسبة للفعل (ليس) فلم أرَ شاهداً على استعماله
 كفعل من أفعال الاستثناء إلا قولَ روية :

عَدَدَتْ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّيْشِيِّ * * * إِذَا فَهَبَ الْكِرَامُ لَيْسِي
 وحديثَ رسولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " يُطَبِّعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ
 لَيْسَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ " وقوله : " ليس أبا الدرداء " وقد
 بحثت عن الحديث الأول في صحيح مسلم فلم أجده ، ووجدته في إحياء
 علوم الدين بشي آخر ، لم يستعمل فيه (ليس) ، والشأن قال عنه
 محققُ المغني إنَّه لم يجده في كتب الصحاح ، وورد في معظم تراجم
 سيويه . وهذا يدل على أن هذين الفعلين قد وُفعا أصلاً للنسخ
 وليس للاستثناء ، ويدل على ذلك أيضاً أن إعرابهما واحدٌ ليس
 الاستثناء والنسخ . وربما كان استعمالهما في أسلوب الاستثناء
 راجعاً إلى أنَّ معنييهما واحدٌ ، وهو عدم الوقوع وتفي الكسوف
 المطلق ، وهو ما سَوَّج للنحاة أن يقولوا بأنهما جاءا في بعض
 الأساليب للاستثناء .

واختلاف النحاة في حرفية (ليس) أو فعليتها راجعٌ إلى الأصل
 الذي تتكون منه ، فهي مكونة - كما بيَّنت - من الحرف لا والفعل
 ليس ، لذلك غلبَ بعضُ النحاة الحرفية عليها ، وغلبَ بعضهم الفعلية ،
 وكان لكل فريق شواهدٌ من الاستعمال يؤيد بها رأيه ، والحقيقة
 أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يفتح تعريفاً جامعاً مانعاً لكل اللفظة ،
 بحيث يفتح كلَّ لفظ تحت عنوان محدد ؛ اسم أو فعل أو حروف ،
 ذلك أنَّ الحدودَ اللغوية إنما وُفعت بوجه عام ، ولم تحسب ورود

كلمة مثل (ليس) فيها كَدْرٌ من خصائص الحروف وقدّر من خصائص الأفعال، ومن غير الممكن أن نضع تعريفاً جامعاً لها ولأمثالها مانعاً غيرها من الدخول في هذا التعريف. وذلك لأن (ليس) ليست أصلاً في ذاتها .

والفعلُ (دام) متصرفٌ، وله كثيرٌ من الاشتقاقات وذلك في كل معانيه ، إلا حيث يكون فعلاً ناقصاً من أخوات (كان) ، فإنه حينئذ لا يجيء إلا في زمن الماضي ، ولا يحاوره إلى المضارع أو الأمر أو اسم الفاعل وما كان ذاك إلا لسببه — (ما) الممدرية الظرفية التي لا تدخل في الألب الأعم إلا على الفعل الماضي ناقصاً كان أم تاماً ، وربما تدخل — في بعض الأحيان — على المضارع ، شريطة أن يكون مسبقاً — (لم) ، وغير بعيد عنا قول النحاة " لم حرف نفى وجزم وقلب " فالمضارع في تلك الحالة إنما هو ماضي في زمانه .

على أن الصبان لم يفرق بين استعمال (دام) الناقصة في الماضي وبينها في المضارع (يدوم) أو في الممدر (دوام) ولكنه لم يأت بشاهد على ذلك .

يبقى بعد ذلك من أخوات كان : زال وانفك وفتى وبرج وهي شبه متصرفية ؛ أي أنّ تصرفها غير كامل ، فلم يستعمل منها الأمر أو الممدر ، وجميعها تعطي معنى واحداً وهو الزوال والذهاب والتلاشي والانقضاء ، فكاننا عندما ندخل عليها حرف النفي (ما) تطبق القاعدة التي تقول : " نفي النفي إيجاب " ، ومن ثمّ فهن تدل

على الاستمرار . أما عن عدم مجيء الأمر أو المصدر من هذه الأفعال فامرٌ يرجع إلى طبيعة استعمالها ، إذ لا بد أن يكون قبلها نفيٌ، ومعرفةً أن (لا) النافية لا تدخل على فعل الأمر، إذ إنه حينئذٍ يصبح فعلاً مضارعاً مجزوماً بـ (لا) التي أصبحت ناهيةً نحو : العبي ولا تعلبوا ، وكذلك الحال في تلك الأفعال ، فالامرُ من زال : زال ، فإذا أدخلنا (لا) قبل الأمر صارت بمشابهة نهي ، وصار الفعل بعدها مضارعاً مجزوماً بها كقول الشاعر :

صَاحِ شَعْرًا وَلَا تَزَلْ دَاكِرَ الْمَوْتِ * * * يَتَكَيَّفُ فِيهِ ضَلَالٌ مُبِينٌ

أو بقيت نافيةً والفعل بعدها يكون مضارعاً مرفوعاً كقول الشاعر :

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا * * * وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسَ كَدَيْكٍ وَأَوْمَالِي

أي : لا أبرح .

هذا عن (لا) . أما (ما) النافية ، فهي لا تدخل على الأمر بوجه عام . ولما كان المضارع يفارع اسم الفاعل جازاً استعمال اسم الفاعل من هذه الأفعال . هذا عن الأمر أما عن المصدر فإن استعماله ناقصاً ، أي عاملاً عمل (كان) ، أمرٌ لم يجز استعماله ، لأن التركيب حينئذٍ لا يجمع بذلك والمعنى لا يتأتى . ويتضح ذلك في قولنا " لا زوال لجرى محمد " إذا استبدلناها بـ " لا يزال محمدٌ جارياً " أو " مازال محمدٌ جارياً " فاستعمال المصدر في الجملة الأولى بعد المعنى ، وجعله قريباً غير سائغ ، هذا بالإضافة إلى استعمال حرف الجر (اللام) في (الجرى) الذي نقض عمل (زال) .

وأمبحت الجملة مثالا على (لا) النافية للجنس أكثر من كونها
شاهداً على (زال) الناقصة .

ومن الأفعال موضوع بحثنا أفعال المقاربة : كاد وكسرب
وأوشك فهن شبه متصرفة . فأما (كاد) فيأتي منها الماضي
والمفارع ، والاشنان متقاربان في الاستعمال ، أما اسم الفاعل
فلم نره مستعملاً إلا في بيت كثير عزة :-

أَمُوتُ أَسَى يَوْمَ الرَّجَامِ، وَإِنِّي * * * يَقِينًا لَرَهْنٌ بِالَّذِي أَنَا كَائِدٌ

ومع ذلك فإن هناك رواية أخرى لهذا البيت تنتهي بـ(كابد)

ولقد رأينا أن نفي (كاد) نفي ، وإثباتها إثبات بعكس
ما يرى بعض النحويين . وهناك لهجات في (كاد) فقد ذكر سيوييه
(كيد) بكسر الكاف كما هي مكسورة في (كيدت) ، وأورد ابن منظور
لغة لبني عدي فهم يقولون : كُدت بلم الكاف .

وأما كَرَبَ فتأتي في الماضي ليس غير ، وهي قليلة الاستعمال ،
أما الشائع فهما الفعلان كاد يكاد، ويوشك .

ومادة (كرب) في الأصل تدل على الضيق والفم والحسن
لما العلاقة بينها وبين (كرب) بمعنى قَرَبَ ؟ ان العلاقة تكمن في
اللفظ وليس في المعنى فكلمة (كرب) هي نفسها كلمة (كرب) بعهد
إبدال القاف كافاً ، ثم إن القاف والكاف - موقع الاختلاف - مسن

مخرج واحد أو من مخرجين متطابقين على ما بيئنا في البحث ،
وعلى ذلك فنظن أنَّ الأمل هو (قَرَبَ) المتصرف، ثم إنَّه لننطق معين
فردى أو لجماعة ، خَلَّفُوا القافَ فصارت كافاً، ويدلُّ على ذلك أيضاً
أن صاحبَ المخصم ذكر تحت عنوان (القرب) الفعلين قرب وكرب ولم
يفرق بينهما .

والأفعال الشروع : شَرَعَ وَأَنْشَأَ وَطَبَّقَ وَأَخَذَ وَعَلِقَ وَهَبَّ وَجَعَلَ
وَهَلَّلَ . ومن النحاة من زاد عليها قام وتعد ، وجميعها غير
متصرفة ، فهي ملازمة لصورة الماضي وذلك إذا استعملناها للشروع ،
أما إذا استعملت لغير الشروع فهي متصرفة . ولما كان لهذه
الأفعال معانٍ متعددةً عندما تستعمل لغير الشروع، فقد رأينا أنَّها
استعملت للشروع نقلاً وليس ارتجالاً ، وقد بحث في نفس الاطمئنان
إلى هذا الرأي أنَّ فكرة النقل والارتجال متحققة في ظاهرتين
لغويتين : العَلَمُ وأسماء الأفعال ، هذه واحدة، وأخرى أنَّ شواهد
استعمال هذه الأفعال للشروع قليلة، بل نستطيع أن نقول إنَّ
شأده ، وينجدم بالنسبة إلى بعضها في حين أنَّ استعمالها لغير
الشروع له شواهد كثيرة بيننا في موضعها ، كلُّ هذا يقوي الظنَّ
أنَّ استعمالها للشروع كان نقلاً وليس أملاً ، ثم إنَّها عندما
استعملت للشروع لزمت صيغة واحدة لا تتعداها ، بعد أن كانت
متصرفة في الأفعال الأخرى . وقد بيننا كلَّ ذلك بالشواهد ،
ورأينا أن الفعل (عَلِقَ) مثلاً قد شغل من لسان العرب ما يزيد على
أربع صفحات تشمل استعمالاته المختلفة وشواهد هذه الاستعمالات في

غير الشروع ، أما استعماله للشروع فلا شاهد له إلا البيت الذي أنشده
الأشموني وهو غير معروف القائل :

أَرَاكَ عَلِمْتَ تَطْلِمُ مَنْ أَجْرَنْتَنَا * * * وَظَلِمُ الْجَارِ إِذْ لُلُ الْمُجِيرِ

وهذه الأفعال وإن كانت منقولة وليست مرتجلة ، فإن هناك
مبرراً لهذا النقل وهو أن من معانيها ما يُتلمس فيه البدايات
أو الشروع، وقد بيننا ذلك في موضعه ، ويبدو أن الفعل (طَلِمَ)
دون غيره من أفعال الشروع ، استعمل للشروع ارتجالاً وليس نقلاً ،
لأن المعنى الغالب عليه في المعاجم هو معنى الفعل لزم الذي يُعطي
معنى الشروع أيضا .

وعسى وحرى واخلولق أفعال للرجاء غير متصرفة . فأمّا
عسى لمعناها في غير الرجاء كما في اللسان : عَسَا الشَّيْخُ يَعْسُو ، أي
كَبُرَ، وعسى النبات أي غُلُظٌ وَيَبَسٌ وعسى الليل اشتدت ظلمته ، ولكسى
نوثق العلاقة بين معنى الشروع وتلك المعاني رأينا لذلك
احتمالين :

الأول : أن نتلمس هذه العلاقة بشيء من التلطف وحسن
المنعة ، وذلك أن عسا الشيخ بمعنى كبير ؛ أي بلغ النهاية أو قاربها
وعسى النبات أي غُلُظٌ وَيَبَسٌ أي بلغ النهاية أيضا أو قاربها ،
وبالنسبة ليل ، أي اشتدت ظلمته أي بلغت الذروة بعد انتهاء النهار
فهل تعنى (عسا) أو (عسى) بذلك بلوغ الشاية أو قرونها ؟ ويكون
في ذلك شبهة بالرجاء ، فهو أيضا يدل على بلوغ الشاية أو مقاربة
بلوغها . لو أننا نملك من أدوات البحث ما يمكننا من معرفة
الاستعمالات المختلفة لهذا الفعل وتطورها وترتيبها التاريخي -
أقول لو أننا نملك ذلك - لقطعنا بصحة هذا الاحتمال ، ولقلنا
إن هذه الاستعمالات تعزو إلى الاشتقاق التاريخي لهذه الكلمة من
حيث المعنى .

الثانى : أن تكون (عَسَا) أو (عَمَى) اختصاراً لكلمة اكْبَهَرَ
 كانت تُستعمل لتلك المعانى جميعاً ومنها الرجاء ، ثم اُختزلت أو
 اُختصرت حتى صارت على صورتها هذه ، ويؤيد ذلك أبحاثُ بعضي
 اللغويين الذين يَرَوْنَ أنَّ التطوّر فى بنية الكلمة كان نحو الاختزال
 والاختصار لا نحو التكثير أو التضخم ، مثال ذلك أنَّ (سـوـف)
 يقال فيها (سـفـا) و (سـنـ) و (سـو) ، ويقال فى (كـيـفـ) (كـيـ) .
 يضاف إلى ذلك أنَّ هناك الفاظاً مشتقة من هذا الفعل تدل
 على الرجاء ، وذلك نحو (المُعَسِّية) كمُحَسِّنة ، وهى الناقة يشك أنها
 كَيْبٌ أو لآ و(المِعْسَاءُ) الجارية المراهقة التى يظن من رآها أنها
 توحشات ، فالناقة يُرجى لبنها والفتاة يُرجى طهرها . والحجازيون
 يلزمون على الأفراد والتذكير ، أمّا بنو تميم فيطابقون بينها
 وبين الاسم قبلها : زيد على ... الفتاة عست - الفتيان عسين ...
 ونظراً أنَّ لغة بنى تميم هى الأقدم ، فإسنادُ الفعل إلى ضمير
 يَرْجِعُ إلى المسند إليه أمرٌ منطقي ويتمشى مع استعمال الأفعال
 الأخرى نحو الزيدان ضربا والهندات ضربين ، إلّا أنَّ عدم تصرف هذا
 الفعل ولزومه صيغة واحدة وهى صيغة الماضي قد جعلسه عند
 تطور الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الفعاشير وكأنه قد
 ثبت على صورة واحدة - وهى عسى - لا يتعداها . وقد بينتُ
 بعد ذلك الاستعمالات المختلفة لعسى من حيث كونهما فعلاً أو حرفاً .

والفعل (اخلولق) نادرُ الاستعمال إنَّ كَمْ يَكُنْ غيرَ مستعملٍ
 إطلاقاً ، وَظَنِّي أَنَّهُ مصنوع ، فقد صاغه النحاة من (أَخْلَقَ) علسى
 وزن الفعول ، كأعشب وأعشوب ، وهذه الطريقة ذكرها ابنُ

جنس وغيره كثيرا ، فقال : كيف تبنى من كذا على وزن كذا؟
 وَيَتَوَى ذلك أَنَّ المَشَالَ الوَحِيدَ لهذا الفعل في كتب النحو اخْلَوْلَقْتَ
 السماءَ (أَنْ تُمِطَرَ) . ويبدو أن هذا المَشَالَ له علاقةٌ بالمثال الذي
 ورد في لسان العرب (اخْلَوْلَقَ السحاب) ، أي استوى وارتقت جوانبه
 وصار خليقا بالمطر ، وربما كان هذا المَشَالَ مفسرا لاستعماله عند
 النحاة - وليس عند عامة العرب - كفعل من أفعال الرجاء ؛ ذلك
 أن (اخْلَوْلَقَ السحاب) يدلُّ على أن المطرَ آتٍ ، والماءُ - كما هو
 معلوم - مَعْقِدُ الرجاء عند العرب ومبْعَثُ الأملِ فيهم .

والفعل (حَرَى) غيرُ مستعمل أيضا ، وربما كان من الاسم
 (حَرَى) الذي يستعمل معه أيضا (أحرى) بمعنى (أخلق) ونظير
 أن (حَرَى) استعمل في فترة لغوية محدودة ، وبقي على حالته تلك
 لا يتصرف ثم أميت ولم يرد ذكرُ (حري) و (اخْلَوْلَقَ) في القرآن .

ومن الأفعال غير المتصرفة (تَعَلَّمَ) بمعنى (اعلم) و (هَبَّ) (بمعنى
 ظن) وهما من أفعال القلوب نسبة إلى القلبِ موطنِ الفهمِ
 والمعاني العقلية عند العرب .

فأما الفعل الأول وهو (تَعَلَّمَ) ، فإنه غيرُ مشصرفٍ ويبقى في
 صيغة الأمر بشرط أن يكون معناه (اعلّم) . والفرق بين تَعَلَّمَ وَعَلِمَ
 أن الأول بمعنى تكلف العلم ، والفعلان يدخلان في دائرة الأسموس
 العقلية التي موطنها القلب عندهم . ويبدو أن بعض القبايل العربية
 كانت تستعملُ فعلَ الأمر تَعَلَّمَ مكانَ اَعْلَمَ ، ولا يزال السعوديون

يقولون: (اعلمك) ، ولا يقدمون بها التعليم أو التدريس مثلاً ، بل يقدمون أمرك .

وأما الفعل الشانئ (هَبَّ) فلا يتصرف إلا إذا كان بمعنى (ظن) ، أما إذا كان بمعنى أعطى أو أنعم فهو يتصرف ، كذلك يجرى الفعل (وهَبَّ) مع أفعال التمييز : جعل واتخذ وترك .. ويبدو أن (هب) بمعنى (ظن) كان شيراً متصرفاً لتخصيصه بهذا المعنى دون غيره .

ومن الأفعال غير المنتزعة نعم وبئس وهما منقولان - كما بينا - من نَعِمَ وبئس . وبسبب هذا النقل لزما صورة واحداً لا يتعديانها ، واكتسبا في الوقت نفسه شيئاً من ماضي الاسم التي تظهر في دلائل الكوفيين ، وشيئاً من خصائص الفصائل التي تظهر في دلائل البصريين . وهذا ولا حيزاً يشبهان نعم وبئس في المعنى وبأتيان على صورة الماضي ليس غير وقد تناولناهما من حيث التركيب والإعراب والاستعمال ورجحنا أنهما لاسم يستعملان حتى العصر الإسلامي وأن كلاً من (نعم) و (بئس) أقدم في الاستعمال منهما .

ومن الأفعال غير المنتزعة التي أحقها النحاة بنعم وبئس - فعلان الأول : الفعل الماضي على وزن (فعل) بضم العين ، فالفعل الماضي لا يجرى على هذه الصورة - ويكون متصرفاً - إلا إذا دل على غريزة أو طبيعة أو شبه ذلك . والميقتان الأخرتان (فعل) بكسر العين و(فعل) بفتحها ، إذا حولتا إلى صيغة (فعل) بضم

العين ، فإنَّ هذه الميعة لا تتصرف دليلاً على أنها منقولة نحو
 قَضُو الرجلُ وعَلِمَ (بضم الصاد واللام) بمعنى ما أَضَاهُ وما أَعْلَمَهُ .
 وهذا المعنى يوضح لنا أن من النحاة من ألحق هذا الميعة سميعة
 التعجب (ما أفعله) ، ولم يرتفع إلحاقها بالمدح والذم ، ولا لسرق
 عندي فهي تفيد المدح والتعجب منه ، أو الذم والتعجب منه فمن
 الوقت نفسه .

الثاني : سَاءَ وهو فعلٌ يبقي في حالة الماضي إذا كان للذم .
 ويتصرف في غير ذلك ، ويُشبه في ذلك (لا يكون) فهو لا يتصرف في
 الاستثناء ، ويتصرف في غير ذلك وقد جاء الفعل (سَاءَ) غير
 المتصرف في القرآن كثيراً . وقد ساوى القرطبي بين (سَسَاءَ)
 و(بَسَسَ) في تفسيره للآية " فما قرينا " وهذه الآية تدل على
 أن (سَاءَ) فيرُ متصرف ، وذلك لسبب بسيط وهو اقترانه بالفاء .
 فالفاء - كما هو معروف - تقترن - فمن ما تقترن - بجسواب
 الشرط إن كان ماضياً غير متصرف .

وميفتا التعجب القياسيان في العربية (ما أفعله) و(أفعل)
 به) وهما فعلا فيرُ متصرفين ، لأنَّ التعجب قد لزم هاتين الميقتين
 ولم يتعداها إلى صيغ قياسية أخرى . وهاتان الميقتان من أقدم
 صيغ العربية وتمثلان اللبنة الأولى في بناء النحو بدليل ورودها
 في حوار أبي الأسود الدؤلي مع ابنته " ما أحسن السماء " وما
 أشد الحر " حيث أخطأت الابنة ونطقت الجملة برفع النون والذال

واختلفت النحاة في (ما أفعله) ؛ هل هي اسمٌ أو فعلٌ .
 واختلفهم ليرُ منهجى ، فقد جمعت خصائص من الاسم وخصائص
 من الفعل ، وكان الدكتور تمام حسان على حق حينما عدّها اسماً

خاصاً من أقسام الكلام أسماء (الخالفة) . ولم نرتض تأصيل النحاة لصيغة (أفعل به) ، لأنه تأصيل لا أمل له في اللغة وليس مطابقاً لواقع الاستعمال اللغوي . ولقد وضع النحاة شروطاً للفعل الذي يصاغ على (ما أفعله) أو (أفعل به) وهو شروطٌ مبنيةٌ على استقرار ورود هاتين الصيغتين في كلام العرب ، وقد علمنا لوجود هذه الشروط تعليلاً لغوياً يمسُّ واقعَ الاستعمال، ويبعدُ عن الفلسفة والمنطق ، وقد نقلنا في تعليلتنا لهذه الشروط بعضَ أقوالهم فسي ذلك .

ويبقى بعد ذلك بابُ الاستثناء ، وفيه أفعالٌ غيرُ متصرفة وهي ليس ولا يكون - وقد تناولناهما في أول هذا البحث في باب كان وأخواتها - وعدا وحاشا . وهذه الأفعال لها معانٍ كثيرةٌ ، وبعضُ المعاني له صلةٌ بالاستثناء فهي تدلُّ - فيما تدلُّ - على المجاوزة أو البعد أو الترك ، وهو ما يتفق مع معنى الاستثناء ، وهي في ذلك غيرُ متصرفة لخصوصيتها بمعنى واحد وهو الاستثناء .

على أن هناك أفعالاً أخرى غيرَ متصرفة أو شبه متصرفة لا تُندرجُ تحت باب من أبواب النحو :

من هذه الأفعال الفعلان وَدَرَ وَوَدَعَ ، فالمستعملُ منها الأمر والمضارع ، أما الماضي فلم يستعمل ، فهما شبه متصرفين من ناحية الاستعمال ليس غير ، إذ إنَّ القياسَ لا يابى مجيء الماضي أيضاً كما هو الحال في وَزَنَ يَزِنُ وَزْنًا ، إلّا أن الاستعمال هجر الماضي

منهما واستعاض عنه بـ (ترك) . وباستقراء النصوص التي ورد فيها الماضي (ودع) والمصدر (ودعا) تبين لنا أنهما لم يكونا مهجورين في فترة نزول القرآن ، وعلى حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) واستمر استعمالهما حتى السنين الأولى من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، وبعد ذلك هجر استعمالهما ولم يبق مستعملاً إلا المضارع والأمر .

ومنها (كَذَبَ عَلَيْكَ) وهو أسلوبٌ خاصٌّ في الإعراب يكون فيه الفعل (كَذَبَ) غير متصرفٍ ، وقد هُجِرَ الآن ولم يعد مستعملاً، وجميع شواهد لم يتعدَّ زمانها زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين من بعده . وربما كان هذا الأسلوب (كَذَبَ عَلَيْكَ) مستقرباً اليوم، ولكنه لم يكن كذلك حين استعمل ، وربما كان مشابهاً للتعبير الذي يستعمله عوامنا اليوم (عليك الحرام أن تفعل كذا) أي يحل الحرام إن ... ، كما أن (كذب عليك) معناها : يحل بك الكذب . وواضح أن بين الكذب والحرام علاقة وثيقة .

ومنها الفعل (تبارك) ، ومادته بَرَكَ يَأْتِي مِنْهَا مَعْنَى كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ الْفِعْلَ (تبارك) غير متصرفٍ ، فلا يَأْتِي مِنْهُ مَضَارِعٌ وَلَا أَمْرٌ وَلَا اسْمٌ فَاعِلٍ .. وقد جاء في القرآن الكريم مقصوداً إسناده إلى الله ليس غير ، وربما كان هذا هو سبب عدم تصرفه للإشعار بأن التمجيد والرفعة إنما هي لله دون غيره ، ولإشعار أيضا بأن هذا الفعل - وإن كان قد توقف عند صيغة الماضي - يدل على الحال والاستقبال أيضا ، مثله في ذلك مثل الفعل (كان) في القرآن الكريم

عندما يكون اسمه لفظ الجلالة مثل " وكان الله سميعا بصيرا " .
 " وكان الله عليما حكيمًا " .

و(قَلَّ) فعلٌ متصرفٌ إلاَّ أن من النحاة من جعله غيرَ متصرفٍ في أسلوب خاص به لا يتعداه وهو " قَلَّ رجلٌ يفعلُ ذلك " بمعنى " ما رجلٌ يفعلُ ذلك " ولما كان الفعلُ (قَلَّ) هنا يساوي (ما) الحرفية في المعنى فقد مُنِعَ من التصرف لشبهه بالحرف . ولمْ نُؤسِدِ الشُّعَاةَ في ذلك ، لأنهم لم يأتوا بشاهدٍ واعتمدوا على مثال من صنعهم ، ولم يذكر سببويه هذه المسألة في كتابه ثم إنَّ قولهم إنَّ (ما) تساوي (قل) فيه نظرٌ ، فعلاقة المساواة هذه تجدها في المسائل الرياضية وهي بعيدةٌ عن اللغة أو قُلْ غريبةٌ عليها .

والفعل (سَقَطَ) غيرُ متصرفٍ في استعمالٍ بعينه ، ويبدل حينئذٍ على الحسرة والندم ، وهذا الاستعمال هو (سُقِطَ في يده) ويكسبون الفعل (سَقَطَ) في هذا الاستعمالِ مقصوراً على الماضي الذي لم يُتِمَّ ساعته دون إسناد أية شواهد له ، فلا يُقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون ... وهذا التركيب لم يعرفه العربُ إلاَّ بعد نزول القرآن حيثُ جاء في الآية السابعة والأربعين بعد المائة من سورة الأعراف " ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا ... " ولمْ يُعرف قبل ذلك .

ومن النحاة من يَعدُّ (عَمَّ) في (عم صباحاً) غيرَ متصرفٍ لا يأتى منه مضارعٌ ولا ماضي ، أي أنهم لم ينطقوا بـ(وَعَمَّ) (يَعْمُ) . ومن النحاة من لا يعد (وعم وعم عم) أصلاً مستقلاً بنفسه ، بل إنَّ

(يعم) عندهم محذوفٌ من (ينعم) ، ولذلك أجازوا (عم صباحاً) بفتح العين وكسرها كما يقال انعم وانعم . ونحن لا نعيل الى هذا الرأي ، كما أنّ القول بأن المضارع فيرُ مستعمل مردودٌ بقول امرئ القيس :

..... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

ثم كرر المضارع بعد ذلك مرتين .

أما الماضي فلم نعر على شواهد لاستعماله ، ولكننا لا نستبعد استعماله فقد ذكر الأزهري عن يونس بن حبيب أنه قال وَعَصَتْ أَدَارَ ، أَعِمُّ وَعَمَّا أَي قَلَّتْ لَهَا انْعَمَى .

ومن النحاة من يرى الفعل (ينبغي) فعلاً غير متصرفٍ مقصوداً على المضارع ليس غير ، ولا نرى رأيهم ، بل إنّ ماضية مستعملٌ أيضاً بدليل ما جاء في نوادر أبي زيد الأنصاري وما نرى عليه بعض أصحاب المعاجم ، أما الأمر منه فالقياس لا يابس مجيشه (انبع) ولكنه فيرُ مستعملٌ لأن معناه في الأمر بعيدٌ عن أية مناسبة تستدعي استعماله ، وما كان لإنسان أن يخاطب آخر أو يأمسه بقوله : انبع . وهذا يماثل فعل الأمر (انكسر) .

ومن الأفعال غير المتصرفة التي تبقى في حالة المضارع المنسوب إلى المتكلم الفعل (أهلم) بمعنى أقبل ، وهو جواب لمن قيل له (هلم) وفيه عدة لغات ولم أجد شواهد لاستعماله ، والمنعشة والقياس لا يابيان مجي الماضي فيقال هلممت كصهرت وشملت على وزن فعلت . وهلم لم يزل مستعملاً حتى الآن ، ولكن جوابته أهلم هو الذي هجر ، ولم يعمد مستعملاً .

ومنها - في رأي بعض النحاة - (ها) بمعنى (خذ) وفيها لغات ثلاث - بينها في موضعها - وهي فيها ملازمة لمصيبة الأمر دون الماضي أو المضارع ، ولا تُعَدُّ في هذه اللغات أسماء أفعال . وكما أن (أَهْلُمُّ) ردٌّ وجوابٌ عن (هَلُمَّ) فإن (هَاءَ) لها جوابٌ وهو (أَهَاءُ) وهو فعل متصرفٌ لم يأت منه إلا المضارع المنسوبُ إلى المتكلم . وهذا الفعل بلغاته الثلاث قد أميت ولم يبق منه إلا العنصرُ الإشاري الذي نجدُه في أول أسماء الإشارة .

والفعل (هات) بقى هو وحده دون ماضيه هَاتِي ومضارعيه يَهَاتِي اللذين أميتا ، وقد ذُكِرَ في أكثر من مرجع وعده الزمخشري وشارح مفصله ابن يعيش - دون النحاة - اسم فعل ، وجَعَلَا (هَيْتَا) أصل مادته ، وهذا خطأ، فإن أصله الثلاثي : هتا مثل عطفا . وربما كانت الهاءُ التي في أول (هات) هي التي أوهمت الزمخشري وابن يعيش أنه اسم فعل، لأن كثيراً من أسماء الأفعال والأصوات تبدأ بهذا الصوت (الهاء) ، ومن أجل ذلك هذا التوهم رأى بعض النحاة أن الهاءَ فيه مبدلةٌ من الهمزة فالأصل آتِي يُؤَاتِي ، ولا نستبعد ذلك لهنالك كثيرٌ من حالات هذا الإبدالِ مدعمة بالشواهد .

و(تَعَالَى) لعل أمر غير متصرف بشرط قصره على أساليب النداء بمعنى : ائهِلْ . أما إذا استعمل في غير النداء فهو متصرف .

و(يَهَيْطُ) فعل مضارع غير متصرف بمعنى يميح وقد أميت هذا الفعل ، بعد أن كان مستعملاً ، يدل على ذلك أن ما اقتصرن بهذا الفعل من أفعال (وهي ساط وساط وعاظ) مستعملةٌ ولها شواهد في كتب الأدب : ويبدو أن (يهيظ) كان من نطق عسوام العرب ، بدليل اختلاف عين المصدر عندهم وهو أيضاً غير مستعمل :

مُهَيِّطَةٌ وَمُعَايِطَةٌ وَمَعَايِطَةٌ وَمَسَايِطَةٌ .

كذلك الفعل (يَسْوِي) بمعنى (يساوي) وقد أنكر أكثر من نحوي ولغوي وجودَ هذا الفعلِ أو حكموا بندرته . ونظن أن يسوي معدولةٌ من يساوي وهذا الاصطلاح -العدل- أخذناه من أسباب الممنوع من الصرف كأن تقول : عمرٌ معدولٌ عن عامرٍ وزلزلٌ معدولٌ عن زافرٍ ، وربما كان هذا (العدل) - إن صحَّ هذا التعبيرُ - لهجةً من لهجات العرب، أو هو للتخفيف من المد الذي في يساوي ، أو أنه كان نطقٌ نقيضٌ من العرب ثم انقرض هذا النطق بعد ذلك .

و(نَكَّرَ) لم يستعملَ إلا ماضيًا . ونكرَ وأنكرَ لغتان، ولكنَّ المضارعَ (يُنَكِّرُ) يستعملُ للثنيين، ولم يجرِ المضارعُ من (نكَّرَ) الذي هو الأمل في رأينا ، ثم تعدى بالهمزة وأصبح (أنكر) واستعمل مضارعه للثنيين الثلاثي والرباعي بعد أن هجر (يُنَكِّرُ) بفتح الياء .

و(هدَّ) فعل متصرف بمعنى هَدَمَ وَكَسَرَ ، ولكنَّه في استعمال خاص دال على المدح لم يجرِ إلا ماضيًا ، وذلك في مثل " مررتُ برجلٍ هَدَّكَ من رجلٍ " ، أي " أثقلتُ وصفَ محاسنه " وواضحٌ أنَّ هناك علاقةً معنويةً بين الفعل (هدَّ) بمعناه العام وبين معناه في المدح " أثقلتُ أو أعجزك وصفَ محاسنه " ، على أني لم أجد شاهدًا على هذا الاستعمال ، بل رأيتُ شاهدًا على استعماله للتعجب كالقول أبي لهب " لَهْدَ مَا تَحْرِكُكُمْ صَاحِبُكُمْ " .

هذا وبالله وحده التوفيق .،،

سهرس بالمصادر والمراجع

- (١) الاشتقاق لابن دريد : تحقيق عبدالسلام هارون : ط المثنى
بغداد ١٩٧٩ .
- (٢) الاشتقاق لعبدالك أمين : لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٥٦ .
- (٣) الأشباه والنظائر للسيوطي : حيدر آباد الهند ، ١٣٥٩ هـ .
- (٤) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : دار الثقافة بيروت ١٩٧٤ .
- (٥) أقسام الكلام العربي : د. فاضل مصطفى السائق ، الخانجسي
مصر ، ١٩٧٧ .
- (٦) أمالي السيد المرتضى : ط السعادة بمصر ، ١٩٠٧ .
- (٧) أمالي الزجاجي : ط القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .
- (٨) إنباه الرواة على أنبياه النحاة للوزير جمال الدين القلظي
تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم : دار الكتب
١٩٥٠ .
- (٩) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري : ط صبيح ١٩٥٣ .
- (١٠) أوفح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام : تحقيق محمد
محيي الدين ، ط السعادة بمصر ، ١٩٤٩ .
- (١١) البحر المحيط لأبي حيان : مطبعة السعادة مصر ١٣٢٨ هـ .

- (١٢) البرهان في علوم القرآن : لبدر الدين الزركشي : تحقيق
محمد أبي الفضل ابراهيم إحياء الكتب العربية ،
• ١٩٥٩
- (١٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي : تحقيق
محمد أبي الفضل ابراهيم ط الحطبي ، ١٩٦٤ •
- (١٤) تاج اللغة ومحاح العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد
الجوهري : تحقيق احمد عبدالغفور عطا دار الكتاب
بمصر •
- (١٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك : تحقيق كامل
بركات دار الكتاب بمصر ، ١٩٦٧ •
- (١٦) التطور النحوي لبرجشتراسر مطبعة السماح بمصر ١٩٢٩ •
- (١٧) الجامع لأحكام القرآن للطبري دار الكتب ، ١٩٤٠ •
- (١٨) جامع البيان في تأويل القرآن للقرطبي : تحقيق محمد
شاكر واحمد شاكر دار المعارف بمصر دون تاريخ •
- (١٩) حاشية الجمل على الجلالين وبهامشه اعراب القرآن للعكبري
المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٣ •
- (٢٠) حاشية الصبان على شرح الأشموني • المكتبة التجارية بمصر
دون تاريخ •
- (٢١) خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي : تحقيق
عبدالسلام هارون دار الكتب العربي ، ١٩٦٩ •
- (٢٢) الخصائص لابن جني • تحقيق محمد علي النجار ط دار الكتب
• ١٩٥٥

- (٢٣) دراسات نحوية في خصائص ابن حني للدكتور أحمد سليمان
دار النشر الجامعي ، ١٩٨٥ .
- (٢٤) ديوان الأعمى : تحقيق د. محمد محمد حسين، بيروت
١٩٦٨ .
- (٢٥) ديوان الحماسة لأسى تمام تحقيق محمد عبدالمنعم خلفا جى ،
ط ، صحیح ، ١٩٥٥ .
- (٢٦) ديوان كثير عزة شرح الدكتور إحسان عباس، دار الشقافة
بيروت .
- (٢٧) ديوان لبيد : شرح الدكتور احسان عباس ط الكويت .
- (٢٨) شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي ؛ ط الحلبي
بمصر ، ١٩٥٥ .
- (٢٩) شذور الذهب لابن هشام ، التجارية الكبرى بمصر ١٩٥٧
- (٣٠) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك التجارية الكبرى بمصر
١٩٦٤ .
- (٣١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك تحقيق محمد محيى
الدين ط .
- (٣٢) شرح التصريح على التوضيح : خالد الأزهرى : التجارية
الكبرى بمصر دون تاريخ .
- (٣٣) شرح ديوان امرىء القيس للأسناد حسن السندويي، التجارية
الكبرى بمصر ، ١٩٥٢ .
- (٣٤) شرح ديوان جرير محمد اسماعيل الماوي، التجارية الكبرى
دون تاريخ .

- (٣٥) شرح ديوان الفرزدق : عبد الله ابراهيم الصاوي التجارية
الكبرى ، ١٩٣٦ .
- (٣٦) شرح ديوان المتنبي للكعبري . ط الحلبي ، ١٩٥٤ .
- (٣٧) شرح شواهد المغنى للسيوطي : المطبعة البهية بمصر ، دون
تاريخ .
- (٣٨) شرح الكافية للرفي الاسترابادي : ط استنبول : دون تاريخ
- (٣٩) شرح القمائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري :
تحقيق عبدالسلام هارون دار المعارف ، ١٩٦٨ .
- (٤٠) شرح المعلقات السبع للزوزني مكتبة القاهرة ١٩٦١ .
- (٤١) شرح المفصل (مفصل الرمخشي) لابن يعيش المنبرية بالقاهرة
دون تاريخ .
- (٤٢) شعر الأخطل تعليق وشرح الأب أنطون صالحاني اليسومسي :
المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٨٩١ .
- (٤٣) شواهد التوضيح والتصحیح لابن مالك . دار العروبة بمصر
١٩٥٧ .
- (٤٤) الصاحبى فى فقة اللغة وسنن العرب لابن فارس : تحقيقى
مصطفى الشويعى بيروت ، ١٩٦٤ .
- (٤٥) المقدم الفريد لابن عبد ربه : دار الكتب العلمية بيروت ١٩٦٥
- (٤٦) علم اللغة للدكتور على عبدالواحد وافى : مكتبة النهضة
١٩٤٤ .
- (٤٧) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : جورجى زيدان :
ط الهلال سنة ١٩٥٨ .

- (٤٨) في علم اللغة التقابلي للدكتور أحمد سليمان : دار المعرفة
الجامعية ١٩٨٥ .
- (٤٩) في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي :
ط بيروت ، ١٩٦٤ .
- (٥٠) القاموس المحيط للفيروز آبادي .
- (٥١) الكتاب لسيبويه : ط المشنى مصورة عن ط بولاق سنة ١٣١٦ هـ .
- (٥٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأناويل في وجوه التأويل
لجار الله الزمخشري : بيروت دون تاريخ .
- (٥٣) لسان العرب لابن منظور .
- (٥٤) اللغة لفندريس ترجمة الأستاذين القصاص والدواخلي الأنجلو
المصرية ١٩٥٠ .
- (٥٥) اللغة والنحو للدكتور حسن عون مطبعة رويال بالاسكندرية
١٩٥٤ .
- (٥٦) اللغة العربية : معناها ومبناها للدكتور تمام حسان . الهيئة المصرية
للكتاب ١٩٧٣ .
- (٥٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سزكين الخانجي ١٩٥٤ .
- (٥٨) مجمع الأمثال لأبي الفحل النيسابوري المعروف بابن الأثير
الناشر : عبد الرحمن محمد . الأزهر . مصر
١٩٥٢ .
- (٥٩) مختار الشعر الجاهلي : جمع الأستاذ معطفى السقا . الحلبي
مصر . ١٩٤٨ .

- (٦٠) المخصص لابن سيده المرسي بولاق ١٣١٩ .
- (٦١) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي . نهضة مصر ١٩٥٥ .
- (٦٢) المزهر للسيوطي تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ط الحلبي
دون تاريخ .
- (٦٣) معجم البلدان لياقوت الحموي ط بيروت ١٩٥٥ .
- (٦٤) مغنى اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام تحقيق مسـانـن
المبارك وآخرين بيروت ، ١٩٧٩ .
- (٦٥) المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها . لأبراهيم
وآخرين ط الأميرية بولاق .
- (٦٦) المفطليات للمفضل الضبي : تحقيق شاكـر وهارون دارالمعارف
١٩٦٣ .
- (٦٧) معاني القرآن لأبي زكريا الفراء : تحقيق محمد علي النجار
الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر دون تاريخ
وهناك طبعة أخرى للهيئة المصرية العامة للكتاب .
- (٦٨) النحو الوافي للمرحوم عباس حسن ط دار المعارف ١٩٦٣ .
- (٦٩) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري. تحقيق إبراهيم
السامرائي : دار المعارف بغداد سنة ١٩٥٩ .
- (٧٠) النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات بن محمد الجـزـري
المعروف بابن الأثير . ط الخيرية بمصر دون تاريخ .

- (٧١) النواذر في اللغة لأبي زيد الأنصاري بيروت ١٩٦٧ .
- (٧٢) النواسخ الفعلية والحرفية . للدكتور أحمد سليمان . دار المعارف ١٩٨٤ .
- (٧٣) معجم الهوامع شرح جمع الحوامع للسيوطي : طبيــــــــــــــــسروت
دون تاريخ .

الدوريات :

- مجلة مجمع اللغة العربية : الجزء الرابع ١٩٢٧ .
- الجزء الحادي عشر ١٩٥٩ .

مراجع أجنبية :

- 1 - A. Dictionary of Theoretical Linguistics. by M.El - Kull, Librarie Liban 1982.
- 2 - Fundamental Problems of Phonetics. by G.C. Catford Indian University Press 1982.
- 3 - A. Grammar of the Arabic Language. Translated of the German of Caspri by W. Wright - London 1875.
- 4 - A. Grammar of the Classical Arabic Language B.M. Howell London. 1883

	إهداء *
٧	مقدمة
١١	الفصل الاول
١٣	هذه الأفعال : هل هي جامدة أو غير متصرفة
٢٩	الفصل الثاني
٣١	كان وأخواتها
٤١	دام
٤٥	زال وانفك وفتى* وبرح
٤٩	الفصل الثالث
	أفعال المقاربة
٥٩	الفصل الرابع
	أفعال الشروع
٧٣	الفصل الخامس
	أفعال الرجاء *
٨٩	الفصل السادس
	أفعال القلوب
٩١	تعلم وهب
٩٥	الفصل السابع
	أفعال المدح والذم
٩٧	نعم وبئس
	حيدا ولا حيدا
١٠٤	فعل
١١٤	سا *

١١٩	الفعل الثامن
١٢١	صيغتنا المتعجب
١٣٥	الفعل التاسع
١٣٧	أفعال الاستثنا *
١٤٧	الفعل العاشر
١٤٩	أفعال متفرقة
١٥١	وذر - ودع
١٥٦	كذب عليك
١٦١	تبارك
١٦٤	قل
١٦٧	سقط في يده
١٧١	عم صباحا
١٧٥	ينبغي
١٧٨	أهلم وها
١٨٣	هات وتعال
١٨٩	يهيظ ويسوي
١٩٣	نسكر
١٩٦	هدد
١٩٧	نتائج البحث
٢١٧	فهرس بالمصادر والمراجع

1

2

3



To: www.al-mostafa.com